تاريخ الحرب البلقانية

المصور

بين الدولة العثمانية ودول الاتحاد البلقاني

بقلم

سليم العقاد

الجزء الاول

يشتمل على خريطتين حربيتين واربعة عشر رسماً

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩١٣

جلالة السلطان محمد خان الخامس

سلطان العثمانيين

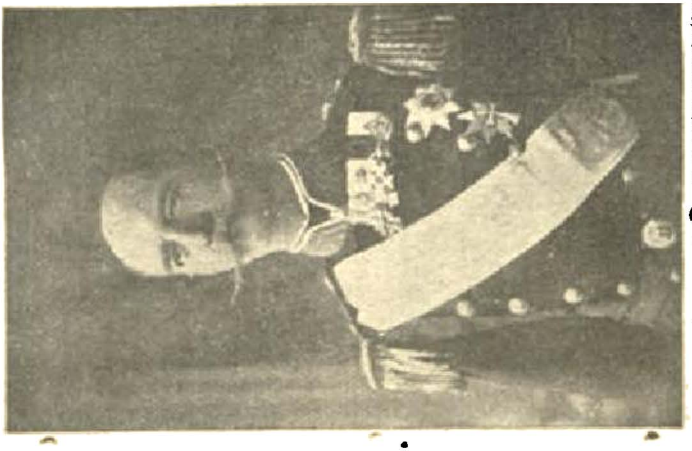

جورج الاول ملك اليونان

فردينان الاول قيصر بلغاريا

ملك الجبل الاسود

بطرس الاول ملك الصرب

سمو الامير يوسف عز الدين افندي
ولي العهد العثماني

احمد مختار باشا الغازي

الصدر الاعظم حين اعلان الحرب

البرنس قسطنطين

ولي العهد اليوناني وقائد الجيش الاول

الجنرال سافوف

قائد الجيش البلغاري العام

الجنرال رادكو ديمتريياف
قائد الجيش البلغاري الثالث

الجنرال فوكوفيتش

قائد جيش الجبل الاسود الثالث

الجنرال بونابوف
الروسي

الجنرال مرتينوفيتش
قائد جيش الجبل الاسود الاول

محمود مختار باشا

قائد الفيلق الثالث

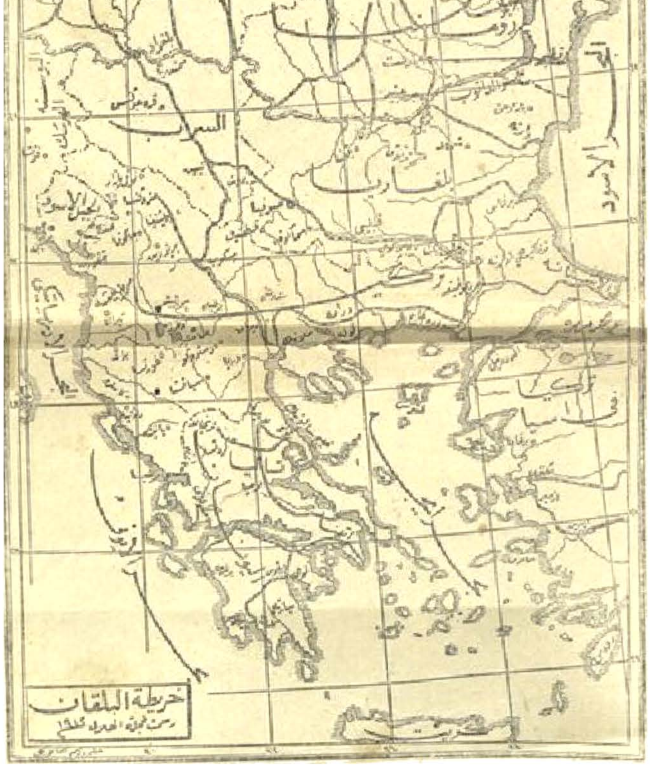
النمسا والمجر
الصرب
بلغاريا
الجبل الاسود
البحر الاسود
خريطة البلقان

تمهيد

— ١ —

كلمة لجامع هذه الصفحات

هذه لمحة من تاريخ الحروب المستعرة لظاها في شبه جزيرة البلقان رأيت ان اختتم بها مواطني قراء العربية في القطرين المصري والسوري وان كانت مما لا يطيب سماعه ولا يحلو تذكاره . أتيت فيها على وصف الوقائع الحربية كما دونها كبار المراسلين العسكريين — الذين رافقوا في ساحات القتال جيوش الدول الخمس المتناجزة — في التواريخ التي وضعوها بلغاتهم بعد التثبّت وانعام النظر. ووطأت لها بخلاصة تاريخية موجزة ضمنتها تحديد شبه جزيرة البلقان ووصف شعوبها وتاريخ الفتوحات العثمانية فيها ثم استدرجت الى المسألة الشرقية فلخصت تاريخها بقدر ما يحتمله المقام من اول نشوئها اي منذ عهد حرب الاستقلال اليونانية في اوائل القرن التاسع عشر الى عهد الحرب العثمانية الروسية فمعاهدة برلين التي كانت حجر الزاوية لكل ما نشأ من الثورات والفتن وما تولد بين شعوب البلقان من العداوات والاحن الى ما تلا ذلك من المعضلات السياسية وما تخللها من المفاوضات الرسمية بين الحكوم

العثمانية وحكومات الاتحاد البلقاني وسفراء الدول حتى اعلان الحرب

اما الوقائع الحربية فقد تتبعت في وصفها حركات الجيوش المتلاحمة يوماً فيوماً وواقعة واقعة واصفاً قوة كل منها منفردة وملتحمة ومتتبعاً اياها في زحفها او تقهقرها مرحلة مرحلة. وقد اودعت هذه الصفحات كل ما تيسر لي العثور عليه من رسوم ابطال هذه الحرب ومشاهير رجالها وخرائط وقائعها المهمة. فان اكن وفيت هذه المهمة حقها وأديت واجب الخدمة او بعضها فذلك كل ما اردت . والا فهو جهد المقل وما على باذل جهده من سبيل

٢

نبوءة كاتب

في اوائل شهر تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩١٢ كتب المسيو كلود فارير من مشاهير كتاب الفرنسيس واحد الضباط في سطول البحر المتوسط فصلاً في جريدة الانترانسيجان قال فيه :

« الحرب صائرة لا محالة فليتق ذلك الناس وليتنازل رجال البورصة الى تصديقي . ربما لا يكون ذلك اليوم . وربما لا يكون غداً (ولا يذهب عن بال احد اني اكتب هذه الكلمة « غداً » في هذا اليوم الذي هو الثالث من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٢) بيد انها صائرة لا محالة . اجل ان الحرب ستستعر نارها لان رجلاً متقد الذكاء يريدها ويتعمدها ويعد الاهبة لها بمهارة تفوق التصور . ولأن هنا

الرجل — واعني به فرديناند قيصر بلغاريا — سوف لا يعدم وسيلة عاجلة كانت أو آجلة — لانتهاز الفرصة السانحة التي يتوقعها ويرجوها منذ نحو ربع قرن الا وهي ساعة خروج بلغاريا من احد ميادين القتال منصورة ظافرة — مثل بروسيا بعد معركتي سادوفا وسيدان — فتجمع من حولها دول البلقان — ما عدا رومانيا واليونان — مبعدة الاتراك الى خارج أوربا ومحققة لحسابها الخاص الامنية التي طال ما علل بها قياصرة الروس نفوسهم الا وهي الاستيلاء على بيزنس القديمة عاصمة العثمانيين اليوم

قال الكاتب وانه ليسوءني ذلك كثيراً لاني لا اعرف شعباً خصّ بانبل الصفات كالشعب التركي . وعلى رؤوس الاشهاد أجاهر بأني في هذه الحرب الجائرة ستكون اماني منصرفة الى الضعيف ضد القوي . والى المسلم ضد المسيحي

الفصل الاول

شبه جزيرة البلقان

ليست في القارة الاوربية كلها بقعة تسلسلت هضابها وتوعرت مسالكها وشعابها وتشعبت فيها المشاكل وتوفرت اسبابها مثل البقعة المعروفة بشبه جزيرة البلقان. تحدها شمالاً جبال البلقان ثم تمتد الى الجنوب مستضيقة شيئاً فشيئاً حتى البحر. وهو يحوطها من جهاتها الثلاث غرباً بحر الادرياتيك وجنوباً بحر ايجه او الارخبيل وشرقاً بحر مرمرا والبحر الاسود

هذه البقعة لم تبرح في كل حين قبلة ابصار الفاتحين لوقوعها في اقصى القارة الاوربية الجنوبية الشرقية والى جانب القارة الاسيوية وما زالت الى هذا اليوم مهد القلاقل والفتن بسبب تعدد عناصر سكانها واختلاف اديانهم وتباين منازعهم ومطامعهم. ولا غرو فان شبه جزيرة البلقان يشمل ست حكومات: تركيا. ورومانيا. وبلغاريا والصرب. واليونان. والجبل الاسود

تاريخ البلقان

عاصرت شبه جزيرة البلقان الدول التي تمدنت قديماً وكانت في اثناء التمدن اليوناني عدة ممالك اهمها مملكة اليونان ومقدونيا وابيريا وايليرية وتراقية. واتشبت بينها حروب عديدة الى ان ظهر الاسكندر

فدخل معظمها في سيطرته . ثم صارت الى الدولة الرومانية وقسمت الى ولايات اهمها اخائية وابيرية ومقدونيا ودلماتيا وتراقية وميسيه . وما زالت على ذلك الى ما بعد اقسام المملكة الرومانية الى شرقية وغربية فكانت في جملة المملكة الشرقية او البيزنطية . ثم طرأت عليها احوال مختلفة الى ان ظهر الاسلام فلم يستطع الخلفاء الراشدون ولا الامويون والعباسيون والفاطميون ولا السلاجقة فتحها فلما نشأت الدولة العثمانية فتحتها قطعة قطعة [1] كما سيجيء

جبال البلقان

البلقان سلسلة جبال متسعة على حدود سهول بلغاريا العظيمة الى جنوبي الطونة الاسفل ويسميها الاتراك امينة طاغ . وقد وصفت الجغرافية العمومية جبال شبه جزيرة البلقان قالت :

في ضاحية صوفيا — قلب شبه جزيرة البلقان — هضبة مسطحة معروفة باسم موزي منها تبدو الى الشرق سلسلة جبال البلقان والى الجنوب الشرقي سلسلة جبال رودوب . والى الجنوب سلسلة جبال بريم والى الغرب هضبة قوصوه المسطحة — التي يفصل نهر موراڤا بينها وبين هضبة موزي — ثم تمتد غربي هضبة قوصوه سلسلة جبال مبتدئة من البوسنه — حيث تتصل باخر تفرعات الالب الدينارية المخترقة البوسنه والهرسك حتى الجبل الاسود — وذاهبة جنوباً على خط مستقيم مخترقة البانيا ومتصلة بسلسلة جبال بندوس في بلاد اليونان

(١) الهلال الجزء ٢ من السنة ٢١

مضايق البلقان وأنهاره

في البلقان مضايق كبيرة كالمضيق المعروف بباب تراجان الجارية المواصلات الآن بين فينا والاستانة منه . ومنها المضايق المعروفة باسم نادربند وكزنباد وبسَرجك صوفيا الخ . وفي دائرة المعارف البستاني ان الروسيين كابدوا في حربهم الاخيرة مشقات وخسائر كبيرة في عبورهم البلقان وكان تغلبهم على تلك الصعوبات مما اكسبهم شهرة في الفنون الحربية لا سيما الجنرال غوركو الذي عد عبوره من الطريق التي عبر منها من الامور العجيبة

أما انهار البلقان فاعظمها الدانوب في الشمال وهو يفصل بين صربيا والمجر وبين رومانيا وبلغاريا ويصب في البحر الاسود . ثم الساف ويمر ببلغراد ويصب في الدانوب . ثم مارتزا في الجنوب وهو مع ملحقاته يصب في بحر ايجه . وموراڤا ودرين ويجريان شمالاً الاول يصب في الدانوب والثاني في الادرياتيك . وقرهصو وسترومه وڤاردار وتصب في خليج سلانيك وخليج كسندره

الفصل الثاني

شعوب البلقان

قلنا ان شبه جزيرة البلقان تتناول ست حكومات مستقلة هي تركيا ورومانيا وبلغاريا والصرب واليونان والجبل الاسود . وقد اتحدت الحكومات الاربع الاخيرات على تركيا وبقيت رومانيا وحدها على الحياد . وسنلم في هذا الموضع بتاريخ كل واحد من هذه الشعوب بقدر ما يحتمله المقام (١)

الدولة العثمانية وفتوحاتها في البلقان

نشأت الدولة العثمانية في آخر القرن الثالث عشر للميلاد باسيا الصغرى . وكان القسم الشرقي منها في حوزة السلاجقة والغربي في سلطة الروم فاستولى السلطان عثمان الاول على القسم الشرقي . واستتبع خلفاؤه عمله في افتتاح القسم الغربي فاستولى الامير سليمان ابن السلطان مراد على غاليبولي وما يليها من الحصون واستولى السلطان مراد على ادرنه . وقهر البلغاريين والصربيين في معركة قوصوه التي قتل فيها (١٣٨٩) وكانت نتيجتها خضوع الصرب والبلغار والمجر واكثر ملوك البلقان وامرائه للعثمانيين

(١) هذه النبذة مقتبسة مع خرائطها ورسومها عن مجلة الهلال الغراء

واستنصر ملك المجر فرنسا فنصرته وامدته بجيش بقيادة الكنت دي نافير فتك بدأة ذي بدء بعشرة آلاف راجل وخمسة آلاف فارس من العثمانيين ثم التقى بجيش يقوده السلطان بايزيد فكانت بينهما معركة تغلب فيها العثمانيون وابادوا خصومهم عن آخرهم وقدرت خسارتهم في هذه الحرب بستين الف مقاتل

وكان قد ظهر تيمرلنك في اسيا فعاد السلطان بايزيد اليها لملاقاته فاسر تيمرلنك بايزيد وجعله في قفص من حديد فمات في الطريق

هونيادس القائد المجري

وفي عهد السلطان مراد الثاني (١٤٢١) حاصر العثمانيون القسطنطينية

ولكنهم لم يستطيعوا فتحها ثم استأنفوا الكرة على البلقان فدخل امير الصرب وامير يانيا في طاعتهم . ثم جازوا الصرب الى ترنسلفانيا وحاصروا هرمنستاد فقاومهم البطل المجري هونيادس وانتصر عليهم فانضم امراء البلقان تحت لوائه ثم عبروا الدانوب وقطعوا جبال البلقان وتغلبوا على العثمانيين ثانية فعقد السلطان مراد الصلح معهم وتخلى عن بلاد كثيرة . بيد ان المجريين نقضوا الصلح وزحفوا على ادرنة فحاصروها واتشبت المعركة سنة ١٤٤٤ فدارت فيها الدائرة على المجريين وقتل معظمهم فيها ملكهم

اسكندر بك القائد الالباني

وفي سنة ١٤٤٧ افتتح العثمانيون كورنثية وسلانيك وزحفوا على

البانيا فالتقوا بالجيش الحجري ثانية فكسروه . وكان قد ظهر اسكندر بك القائد الالباني الشهير فباغت العثمانيين مراراً فاهلك منهم كثيرين

وجلس سنة ١٤٥١ السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية (١٤٥٧) فقوض اركان الدولة البيزنطية وتم للعثمانيين على عهده ومن بعده فتح شبه جزيرة البلقان بجملتها الا اماكن قليلة

وسنة ١٥١٧ دخل السلطان سليم الاول القاهرة ودوخ مملكة المماليك وكانت شاملة مصر وسوريا والحجاز

وتغلب السلطان سليمان الاول من بعده على المجر في جهات كثيرة واستولى على رودس وحاصر فينا عاصمة النمسا ولكنه عاد عنها دون ان يظفر منها بطائل. وكان هذا آخر عهد الفتوحات العثمانية كما سيجيء في الكلام عن المسألة الشرقية

الولايات العثمانية الاوربية

اما الولايات الباقية في حوزة الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان فهي في التقسيم الاداري العثماني سبع ولايات ومتصرفية . وهي كلها تعرف باسمي مقدونيا والبانيا. وهذا بيان مساحة كل منها وعدد سكانها:

	مساحتها	سكانها
الاستانة	١٥٠٥	١٢٠٣٠٠٠
متصرفية جتالجه	٧٣٣	٦٠ ٠٠٠
ادرنه	١٤٨٢٢	١٠٢٨٢٠٠

سلانيك	١٣٥١٠	١١٣٠٨٠٠
مناستير	١١٠٠٠	٨٤٨٩٠٠
قوصوه	١٢٧٠٠	١١٣٨١٠٠
اشقودره	٤١٧٠	٢٩٤١٠٠
يانيا	٦٩١٠	٥٢٧١٠٠
	٦٥٣٥٠	٦٢٣٠٢٠٠

من هذا العدد ثلاثة ملايين ونصف من المسيحيين ومليونان ونصف من المسلمين والباقون من سائر الطوائف

بلغاريا

البلغاريون أمة قديمة اصلها من المغول كالمجريين والفنلنديين وكانوا يقطنون جهات قازان على ضفاف نحو فولكا في روسيا اوربا ثم نزحوا جنوباً غرباً حتى نزلوا بلاد البلقان في القرن السابع للميلاد وهو عهد ظهور الاسلام . وتكاثروا وقويت شوكتهم حتى كانوا قبيل القرن العاشر دولة شديدة البطش خافتها دولة الروم البيزنطية وسائر جيرانها . فلما توفي ملكها سيمون سنة ٩٢٧ اخذت في التقهقر فافتتحها الروسيون ثم استقلت في القرن الحادي عشر ثم دخلت في حوزة الروم وصارت جزءا من المملكة الرومانية الشرقية ثم استقلت ثالثة في اواخر القرن الثاني عشر واتسعت سلطتها الى ان افتتحها العثمانيون سنة ١٣٨٢ فاستمرت تحت حوزتهم الى سنة ١٨٧٨ فصارت بمعاهدة برلين امارة

١٨٧٨

ممتازة كان البرنس فرديناند ثاني امرائها فاعلن في سنة ١٩٠٨ استقلال بلغاريا التام ونودي به ملكاً

وبلغاريا واقعة بين البحر الاسود والصرب ومقدونيا ورومانيا . مساحتها ٣٧٠٨٠ ميلا مربعاً وسكانها اربعة ملايين و٣٥٦٢٣ نسمة . وعاصمتها صوفيا وعدد سكانها ١٠٢٧٦٩

الصرب

كانت بلاد الصرب في اوائل ادوارها جزءا من المملكة اليونانية يحكمها امراء من اهلها . وفي سنة ١٠٤٠ استقلت بقيادة امير صربي اسمه ستيفان بويسطام وتولى حكمها ابنه ميخائيل فكان اول ملوكها . وما زالت مستقلة حتى افتتحها السلطان مراد الثاني (١٣٨٩) فبقيت في حوزة العثمانيين اربعة قرون وبضعة عشر عاماً كانت في خلالها تحاول التملص من تلك السلطة فلا تنجح . الى ان ظهر فيها في اواخر القرن الثامن عشر رجل من زعماء اللصوص يعرف بجورج الاسود — قره جورجتش — فدعا الصربيين الى الثورة ففازوا بالاستقلال سنة ١٨٠٥ وسموه حامي ذمار الصرب والآخذ بثارها . بيد ان العثمانيين حاربوه واستعادوا البلاد بعد مذبحة هائلة (١٨١٤) وفر جورج الى روسيا . ثم ثار الصربيون سنة ١٨١٥ بقيادة رجل من رعاة الخنازير اسمه ميلوك او برينوفتش رأس بعزمه وحزمه حزب الاستقلال وحارب العثمانيين ١٤ سنة فمنحه الباب العالي سنة ١٨٢٩

نوعاً من الاستقلال واقره اميراً على الصرب فجعل الحكومة ارثاً في نسله . وفي سنة ١٨٥٦ دخلت الصرب في حماية الدول بمقتضى معاهدة باريز مع التوسع في استقلالها . وسنة ١٨٧٨ استقلت تمام الاستقلال ومساحة الصرب ١٨٦٥٠ ميلاً مربعاً ويحدها من الشمال النمسا ومن الشرق الفلاخ والبلغار ومن الجنوب البانيا ومن الغرب البوسنة وقد اصبحت اليوم للنمسا ايضاً . وعدد سكانها مليونان و٦٨٨٠٢٥ نسمة وعاصمتها بلغراد وسكانها سبعون الفاً

اليونان

لليونان تاريخ عريق في القدم متصل بالعصور الخرافية ولهم مفاخر ليست لسواهم في البلقان . كانوا في اقدم ازمانهم دولاً وقبائل فاستعمروا معظم شواطئ البحر المتوسط حتى نازعهم الرومان وغلبوهم فدخلت اليونان في حوزة الروم ثم صارت في جملة المملكة الرومانية الشرقية . الى ان استولى العثمانيون على شبه جزيرة البلقان في اواسط القرن السادس عشر فكانت بلاد اليونان في الجملة

خضع اليونان للعثمانيين مرغمين فجعلوا يتحينون الفرص للاستقلال . فلما اذنت نواميس الاجتماع بتقهقر الدولة العثمانية كان اليونان اول من حاول خلع نير الطاعة من امم البلقان فنالوا استقلالهم الحقيقي سنة ١٨٢٩ بعد جهاد طويل وحروب استمرت سبع سنين اشتركت فيها مصر بعمارة ارسلها محمد علي باشا بقيادة ابنه ابراهيم باشا الى المورة

سنة ١٨٢١ ولكن الدول نصرت اليونان بمعاهدة لندن سنة ١٨٢٧ فانتهت تلك الحروب بمعاهدة ادرنة سنة ١٨٢٩ واعترفت تركيا باستقلال اليونان

ولما كانت تعد نفسها بقية الدولة البيزنطية التي اغتصبها العثمانيون تنبهت في ابنائها مطامع الاجداد فتوجهت آمالهم الى استرجاع ذلك الملك وحاربوا الدولة سنة ١٨٩٧ فلم يفلحوا الى ان حانت لهم فرصة سانحة فاشتركوا مع حكومات بلغاريا والصرب والجبل الاسود رجاء تحقيق تلك الغاية

مساحة اليونان مع جزائرها ٢٥ الف ميل مربع وسكانها مليونان و٦٣١٩٥٢ نسمة وعاصمتها اثينا وسكانها ١٢٠ الفاً

رومانيا

لم تدخل المملكة الرومانية في الاتحاد البلقاني ضد الدولة العثمانية ومع ذلك فلا بأس في سرد لمحة من تاريخها تتمة للفائدة . فقد يكون لها شأن غداً مع بلغاريا متى قامت تطالبها بحصتها في قرص الحلوى

ينتمي الرومانيون الى الامبراطور تراجان الروماني قاهر الداسيين والبرتيين في القرن الاول للميلاد . انشؤوا في القرن الثاني عشر امارتي مولدافيا وفلاخيا ثم دانوا للعثمانيين فكانوا من ١٣٩٤ الى ١٧١٦ يؤدون لهم الجزية ثم اصبحوا بعد ذلك تحت سيطرتهم بعد ان حالفوا القيصر الروسي بطرس الاول ضدهم . وفي سنة ١٨٢٩

احتل الروس بلادهم ثم منحوهم بموجب معاهدة ادرنة الامتيازات التي كانوا قد خسروها منذ ١٧١٦ والحق بانتخاب امرائهم المعروفين باسم هوسبودار . فكان انهم اختاروا الكولونل كوزا اميراً على الفلاخ ومولدافيا معاً وسموه البرنس اسكندر جوان . فاعترفت الدولة بهذا الادغام سنة ١٨٦١ ثم كانت ثورة ١٨٦٦ فتنازل البرنس المذكور واختار الرومانيون البرنس شرل دي هوهنزولرن بدلاً منه ثم قرر موتمر برلين استقلال الولايتين استقلالاً تاماً ودعاهما باسم رومانيا . وفي سنة ١٨٨١ جعلت الامارة مملكة ونودي باميرها ملكاً باسم شرل الاول وهو ملكها الحالي

اما سكان رومانيا فيناهزون السبعة ملايين وعاصمتها بكرش أو بخارست وسكانها نحو ٣٠٠ الف

ولها جندية قوية تنظمت سنة ١٩٠٨ فاصبح كل شاب من ابن ١٩ الى ٢١ يدخل في التمرين العسكري ثم يخدم سنتين في فرق المشاة وثلاث سنين في الفرق الاخرى ثم ٤ أو خمس سنوات في الرديف الاول ثم ١٠ سنين في الرديف الثاني. ثم يصير الى المستحفظ في سن ٣٨ فيبقى فيه ٤ سنوات .

والجيش مؤلف من خمسة طوابير مشاة وطابورين من الفرسان وطابور المشاة مؤلف من فرقتين يلحق بها فرقة كوكبة من الفرسان . وعدد الجند في السلم تسعون الفاً . اما في حال الحرب فيبلغ الى ضعفي ذلك

الجبل الاسود

بلاد جبلية وعرة اهلهـا اشداء تعودوا الشقاء وهم من العنصر الصقلبي واكثرهم فلاحون رعاة

والجبل امارة مستقلة منذ القدم لم يستطع العثمانيون فتحها الا بعد فتح القسطنطينية بثلاثة ارباع القرن (١٥٢٦) على يد السلطان سليمان القانوني لكنهم لم يخضعوا اهله ولا استفادوا من ذلك الفتح بسبب وعورة الجبل وشدة بأس اهله في الدفاع عن استقلالهم . ثم جاهر الجبليون بالعصيان وولوا عليهم اسقفاً منهم اسمه دانيلو بتروفتش (١٦٩٧) تولى السيادة الدينية والسياسية معاً وتحالف مع الروس ثم استبد اعقابه بتلك الامارة دينياً وسياسياً حتى تولاها بطرس بتروفتش الثاني (المتوفى سنة ١٨٥١) فخلفه ابن اخيه دانيلو الاول — بعد اتفاق روسيا مع حكومة النمسا — فتنازل عن السلطة الدينية ولقب نفسه « هوسبودار » اي امير بدلاً من فلاديكا « اي الاسقف الامير » وكانت تركيا تعد الجبل الاسود من ولاياتها فاراد دانيلو التخلص من هذه السيادة الاسمية فتمرد فحاصره العثمانيون (١٨٥٢) بقيادة عمر باشا القائد الشهير فتظاهر بالسكينة فارتدعنهم (١٨٥٣) ثم عصوا فعاد العثمانيون لحاربتهم (١٨٥٨)

وكان الجبليون قد ملوا استبداد اميرهم فقتلوه سنة ١٨٦٠ فخلفه ابن اخيه البرنس نقولا وهو ملك الجبل الحالي فاعترف مكرهاً بسيادة

تركيا (١٨٦٢) ثم تمرد . وكانت بينه و بين الدولة حروب انتهت باستقلال الجبل الاسود رسمياً بموجب معاهدة برلين . وفي سنة ١٩١٠ نادى بنفسه ملكاً

ولا تزيد مساحة الجبل على ٣٦٣٠ ميلامربعاًوسكانه ٢٤٧ الف نسمة وعاصمته ستنجه وسكانها ٤٥٠٠ نسمة

هذه هي الدولة التي شهرت الحرب على الدولة العثمانية في الثامن من شهر تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٩١٢

الفصل الثالث

المسألة الشرقية

بلغت السلطنة العثمانية اوج العظمة والمجد في عهد السلطان سليمان خان الاول[1] الذي افتتح بلغراد (عاصمة الصرب اليوم) ثم بودابست (عاصمة المجر) ثم زحف بجيشه على فينا (عاصمة النمسا) فضيق عليها الحصار ولكنه عجز عن فتحها فعاد عنها . وكان ذلك العهد آخر عهد الفتوحات العثمانية المجيد

اتحدت اوروبا على العثمانيين الفاتحين بدأة ذي بدء فارجعتهم

(١) جلس هذا السلطان في سنة ١٥٢٠ م و٩٢٠ هـ وتوفي سنة ١٥٦٦م و٩٧٤ هـ

الى جنوب الدانوب. ثم تعاقبت روسيا والنمسا على مناجزتهم فاستعادت الاولى بلاد المجر شيئاً فشيئاً وجعلت الثانية نفوذها بديلاً من نفوذ العثمانيين في ولايات الدانوب ومدّدت حدودها حتى نهر بروت (وهو الفاصل اليوم بين روسيا ومولداڤيا الرومانية) وجعلت الملاحة في مياه البوسفور حرة. وكان ذلك في بدء القرن التاسع عشر وهو عهد نشوء المسألة الشرقية

السياسة الاوروبية في الشرق

انقسمت الدول الاوربية في ما يتعلق بالسياسة الشرقية قسمين وجرت على سياستين. الاولى قاعدتها التدخل في الشؤون العثمانية. والثانية قاعدتها حفظ البلاد العثمانية وصيانتها. فكان الروس والنمسويون من انصار السياسة الاولى لطمع الاولين بالبوسفور وطموح الآخرين الى ثغر سلانيك. وكان الانكليز والالمان والفرنسيون من انصار السياسة الثانية. اما انكلترا فلخشيتها على سيادتها في البحر المتوسط ورغبتها في مراعاة عواطف مسلمي الهند وهم يناهزون الستين مليوناً. واما المانيا فلانها منظمة الجندية العثمانية وصاحبة الكلمة المسموعة في عاصمة السلطنة. علاوة على كونها ذات مصالح خطيرة في آسيا الصغرى اهمها خط بغداد الحديدي. واما فرنسا فلرغبتها في صيانة نفوذها في الشرق وحماية مصالحها الصناعية والتجارية وضمان اموالها الطائلة

سياسة الاصلاحات

يتبين مما تقدم ان اختلاف المصالح وتباين المنازع جعل سياسة اوربا في الشرق غير سياستها في الغرب . فالمانيامتخالفة في الشرق مع حليفتها النمساوروسيا كذلك مع حليفتها فرنسا . كما ان ايطاليا مماكسة للنمسا في ما يتعلق بالبانيا وفرنسا ذات مصالح كثيرة مماكسة للمصالح الانكليزية او الروسية . فتلافياً لهذه الحالة اتفقت الدول الخمس على سياسة جديدة تنهجها وهي التي دعتها بسياسة الاصلاحات وخلاصتها مطالبة الدولة العثمانية باجراء الاصلاحات في شبه جزيرة البلقان واذا اقتضت الحال اكراهها عليه . بيد ان تعدد العناصر في البلقان واختلاف الاديان كانا عثرة في هذا السبيل ومدعاة لفشل هذه السياسة من جهة ولاضطرار الدول الى التدخل من جهة أخرى . وكانت نتيجة هذا التدخل استقلال اليونان سنة ١٨٢٢ واستقلال الصرب سنة ١٨٢٩

حرب القرم واستقلال رومانيا

وخشيت اوربا عاقبة هذه السياسة فقررت الرجوع الى سياستها الثانية « صيانة البلاد العثمانية » وتأييدها بالقوة . ولاجل هذه الغاية شهرت الدولة العثمانية وفرنسا وانكلترا والبيامون الحرب على روسيا في سنة ٥٥ — ١٨٥٤ (وهي حرب القرم) ولكن كانت النتيجة

مناقضة لما كانت تسعى هذه الحكومات الاربع اليه لان هذه الحرب ادت الى استقلال رومانيا

الحرب العثمانية الروسية

وفي سنة ١٨٧٧ شهرت روسيا الحرب على الدولة العثمانية بحجة حماية البلغاريين والصربيين فتم لها النصر ولولا تدخل انكلترا لكانت دخلت الاستانة

وانتهت هذه الحرب بعقد معاهدة الصلح في سن ستيفانو وكان في جملة محتوياتها الاعتراف باستقلال رومانيا والصرب مع ضم ولاية نيش الى الثانية منهما. واعطاء الجبل الاسود ميناء على بحر الادرياتيك ومساحة كبيرة جداً من الاراضي. وجعل بلغاريا حكومة مستقلة وجعل الروملي ومكدونيا وجبال البانيا تابعة لها واعطاءها ميناء على بحر ايجه . وفي الختام دفع غرامة حربية قدرها مليار واربع مئة مليون روبل

مؤتمر برلين

بهذه المعاهدة ـ ونعني معاهدة سن ستيفانو ـ فازت سياسة التدخل الروسية على السياسة الاوربية الثانية ـ سياسة حفظ البلاد العثمانية ـ وانشأت روسيا في البلقان حكومات مستقلة مدينة لها باستقلالها . بيد ان اهاليها لم يكونوا كلهم بلغاريين بل كان فيهم اليونانيون والارنؤوط والصربيون (ممن انتحلوا الاسلام او بقوا على نصرانيتهم) فكان

اليونانيون ينظرون بغضب الى تفوق العنصر الصقلبي . والصربيون ينظرون بحسد الى البلغاريين لانهم نالوا بقاعاً كثيرة كان الصربيون يطمعون بها . ورأت انكلترا ان في بلوغ البلغاريين — وهم صنائع الروس — الى سالونيك تهديداً لسيادتهم في البحر المتوسط ورأى النمسويون فيه ايضاً حاجزاً حصيناً دون تحقيق احلامهم فاتفقوا ثانية على التدخل وعقدوا لهذه الغاية موتمر برلين في الثالث عشر من حزيران (يونيو) سنة ١٨٧٨ فجعلوا بلغاريا امارة مستقلة تحت رعاية الباب العالي وجعلوا حدودها الدانوب شمالاً وشمال البلقان جنوباً . وجعلوا الروملي الشرقية ولاية مستقلة . وابقوا مقدونيا للباب العالي . واعطوا تساليا لليونان . وجعلوا ولايتي البوسنه والهرسك ولواء نوفي بازار تحت رعاية النمسا . وقبرص تحت رعاية انكلترا . وخفضوا الغرامة الحربية الى ثماني مئة وثلاثين مليون روبل فقط . . . ثم اكرهوا الدولة العثمانية على منح الحرية الدينية والسياسية في ولاياتها المختلفة فاعلن السلطان عبد الحميد الدستور للمرة الاولى فكان (اي الدستور) من قصيري الاعمار

مطامع بلغاريا — استيلاؤها على الروملي الشرقية

على ان هاتين المعاهدتين (سن ستيفانو وبرلين) هما في الحقيقة السبب الاصلي لهذه الحرب البلقانية الحاضرة لان بلغاريا لما رأت عدم نزوع الدول الاوربية الى تحقيق امنيتها بان تكون دولة كبيرة عقدت

العزيمة على ان تتولى هذا الامر بنفسها فوجهت عناية خاصة الى تنظيم داخليتها وتعزيز جنديتها استعداداً اليوم العصيب

وكان متولياً امارة بلغاريا في ذلك العهد البرنس اسكندر دي باتنبرغ نجل البرنس اسكندر دي هيس حفيد قيصر روسيا فاعلن الدستور في تيرنوفه واوعز الى القائدين الروسيين الجنرال سكوبليف والجنرال كولبار — وكان قد اوفدهما القيصر الى بلغاريا — بان يعودا الى روسيا . وبعد ان اتم تجهيز الجيش زحف سنة ١٨٨٥م على فيلبي حاضرة الروملي الشرقية فاستولى عليها واخذ واليها اليكو باشا الى صوفيا اسيراً

ومما يروى في هذا الصدد ان الامير البلغاري لما كان زاحفاً على الروملي الشرقية تردد . وكان المجلس معقوداً على احدى قمم البلقان والى جانبي الامير بتكو كرافيلوف رئيس النظار وستيفان ستمبولوف رئيس مجلس النواب . ورأى ستمبولوف تردد الامير فوجه اليه نظرة احد من نظرة النسر وقال له بلهجته الخشنة : ايها الامير . وقع الامر وامش الى فيلبي اذ ليس امامك غير طريقين الاولى تذهب بك الى درمستاد التي منها اتيت والثانية تصل بك الى الروملي الشرقية ... »

الحرب البلغارية الصربية

وكان اللورد سالسبري قد وعد البرنس اسكندر بتأييده فلم يبد الباب العالي الا معارضة سطحية

اما الصرب فامتعضت من توسع جارتها فقام ملكها ميلان يطلب الموازنة في البلقان ثم اجتاز بجنوده حدود بلغاريا ونشبت الحرب بين الشعبين . بيد ان البلغاريين كانوا اقوى جيشاً فصدوا الصربيين ثم دخلوا بلادهم . وكانت المعركة الفاصلة في سليفنتزا في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٨٥ وكاد البلغاريون يزحفون على عاصمة الصرب فحالت النمسا دون متمناهم . وفي الثالث من شهر اذار (مارس) سنة ١٨٨٦ تمّ عقد معاهدة الصلح في بكرش (عاصمة رومانيا) ثم تلا هذه المعاهدة اتفاق سياسي اعترفت فيه الدولة العثمانية بان الروملي الشرقية تابعة لبلغاريا

بيد ان روسيا لم تغتفر للبرنس اسكندر سياسته فاضطر ان يستقيل ودخل في الجيش النمسوي باسم الكنت دي هرتنوْ

تعيين البرنس فردينان

وعاد الجنرال كولبار الروسي الى صوفيا معتمداً سياسياً ولكنه لم يحسن السياسة فاختار مجلس السبرانية اميراً المانياً جديداً وهو البرنس فردينان دي سكس كوبورغوتا . وكانت روسيا تود ان يكون الامير روسياً فقاسى البرنس فردينان بدأة ذي بدء عرق القربة في التوفيق بين المصالح النمسوية والمصالح الروسية في بلغاريا . خصوصاً ان رئيس وزارته ستمبولوف كان معروفاً بمجافاة روسيا واستمر متولياً رئاسة

الوزارة البلغارية مدة ثماني سنوات . ثم اضطر ان يستقيل في اول حزيران (يونيو) سنة ١٨٩٤ (اي قبل مقتله بسنة واحدة) فوثقت من بعده عرى الصداقة بين روسيا وبلغاريا — بعد وفاة القيصر الروسي اسكندر الثالث — وكان انتحال البرنس بوريس (ولي عهد بلغاريا) المذهب الارثوذكسي عربون الصلح بين الحكومتين

الحرب العثمانية اليونانية

وفي سنة ١٨٩٧ اعلنت الحرب بين العثمانيين واليونان فلزمت بلغاريا الحياد فكافأها الباب العالي بتساهله معها في انشاء قنصليات ومدارس بلغارية عديدة في مقدونيا وبقبوله بتعيين غير واحد من الاساقفة البلغاريين فكان لها من أولئك القناصل والمعلمين والاساقفة عضد كبير

الثورات في ولايات مقدونيا

وبعد الحرب استأنفت بلغاريا سياستها الاولى فعينت معتمداً سياسياً في العاصمة اليونانية ثم اجتهدت في التقرب من حكومتي الصرب والجبل الاسود وكانت روسيا والنمسا قد اتفقتا سنة ١٨٩٧ على حفظ الحالة الحاضرة في الولايات البلقانية غير ان بلغاريا ما برحت تدس الدسائس وترسل العصابات البلغارية تعيث في تلك الولايات فساداً فكانت ثورة سنة ١٩٠٣ ثم تلتها في سنة ١٩٠٤ ثورة أخرى .

وخشيت بلغاريا ان تداهمها الحرب على حين غرة فاشترت كميات كبيرة من الاسلحة والذخيرة باثمان فاحشة

تنظيم الجندرمة وتعيين المستشارين الماليين

ورأت اوربا استفحال الحالة في مقدونيا واخفاق حسين حلمي باشا (الذي كان قدعين مفتشاً عاماً للولايات المقدونية الثلاث سنة ١٩٠٢) في سياسته فسعت لدى الباب العالي ونالت بعد عناء كبير موافقته على تنظيم الجندرمة في مقدونيا بواسطة ضباط اجانب . ثم رامت ان يعين مستشارين اجانب في دوائر المالية فلم يسلم الباب العالي بتعيينهم الا بعد مظاهرة بحرية قامت بها في مياه متلين (مدلي) الدول العظمى كلها ما عدا المانيا

وفي سنة ١٩٠٧ تبادلت روسيا والنمسا المفاوضات بشأن مشروع اصلاح جديد يتناول دوائر العدلية العثمانية فلم تتفقا عليه

اعلان الدستور العثماني

وكان في اثناء ذلك ان الكنت دارنتال خلف الكنت غولوشكي في رئاسة وزارة النمسا والمجر فبدا له ان ينشيء سكة حديدية في لواء نوفي بازار ترويجاً التجارة النمسوية فكاشفت روسيا انكلترا بهذا الامر حتى لا تبقى المسألة المقدونية منحصرة بينهما و بين النمسا

بل تصبح ذات صبغة اوربية فكانت مقابلة ريفال في تاسع حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٨ واتفق العاهلان — ادوار السابع ملك انكلترا ونقولا الثاني قيصر روسيا - على التوسع في مسألة المراقبة الاوربية في مقدونيا . وخشي حزب تركيا الفتاة عاقبة هذا التداخل فتسرع في ما كان يستعد له فكان الانقلاب العثماني المشهور في ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ وقطعت جهيزة قول كل خطيب

ضم البوسنه والهرسك — المناداة بالبرنس فردينان ملكاً

وابت النمسا ان تعود بالخيبة والفشل فاعلنت في الخامس من شهر تشرين الاول (اكتوبر) من السنة نفسها ضم ولايتي البوسنة والهرسك الى مملكتها نهائياً واعادت للباب العالي لواء نوفي بلزار . وفي اليوم نفسه اعلنت بلغاريا استقلالها التام وتادت باميرها البرنس فردينان قيصراً على البلغاريين

خيبة الآمال

وكان اكثر العثمانيين ابتهاجاً بالدستور سكان الولايات المقدونية لانهم أملوا ان ينقضي به عهد الثورات والفتن فلم يكن من ذلك شيء . فان العصابات المقدونية كانت تعيث في كل جهة قتلاً واسراً ثم كانت الثورة الالبانيــة وما تبعها من الحملات العسكرية بقيادة جاويد باشا وشوكت طورغود باشا فاعملت جنودهم سيوفها في رقاب من اطاع

ومن عصى على السواء فعمت الفوضى ولجأ الاكثرون الى الجبل الاسود والصرب وبلغاريا

اقتراح الكنت برختولد

وكان في اثناء ذلك ان برز الكنت برختولد وزير خارجية النمسا والمجر باقتراح جديد يرمي الى نشر اللامركزية في الولايات المقدونية فخشيت بلغاريا وسائر حكومات البلقان ان يكون هذا المشروع الجديد حائلاً دون تحقيق احلامها فاسرعت مع ما بينها من التنابذ والتنافس الى عقد الاتفاق البلقاني عملاً بالمثل العامي المأثور : انا واخي على ابن عمي وانا وابن عمي على الغريب

ثم كانَ ما كانَ من المذابح في اشتيب وفي كوتشانا وما تلاها من اهتمام الباب العالي في تعزيز حامية ادرنه وحشد الجيش حولها بحجة التمرينات فطفح الكيل واصبحت الحرب على قابَ قوسين او ادنى

السياسة الاوربية العامة

ولم تكن السياسة الاوربية العامة بمعزل عن التأثير في الحالة التي وصفناها فانزحف الفرنسويين على فاس (مراكش) سوَّل لايطاليا التهجم على طرابلس الغرب . ولكنها لم تفعل الا بعد الاتفاق مع روسيا وكان الواسطة بينهما ملك الجبل الاسود عم الملك فكتور عمانوئيل الايطالي وصديق القيصر الروسي نقولا الثاني

الفصل الرابع

قبل الحرب

المسألة الشرقية

قال احد الساسة في وصف المسألة الشرقية : « ان هذه المسألة ستبقى شوكة في جنب اوربا الى الابد » . وقال سياسي روسي : « قبح الله المسألة الشرقية . انها كداء النقرس اذا لم يصبك في قدمك اصابك في رجلك وهنيئاً لمن لا يصيبه في احشائه »

معاهدة برلين

وجاء في التاريخ العام للافيس ورامبو وصف لمعاهدة برلين فحواه ان هذه المعاهدة كانت : « اثراً من آثار الانانية والطمع ومظهراً ذميماً من مظاهر الاحقاد النفسانية جديراً بالازدراء . فهي التي ولدت كل هذه المسائل السياسية : مسألة بلغاريا . مسألة مقدونيا . مسألة نوفي بازار الخ فكانت سبباً في المشاكل المتنوعة والحروب الدموية التي اثارتها المطامع والغايات ولا غرو فان السياسة الاوربية في مؤتمر برلين لم يكفها ان نبذت مبادئ الحق والعدل ورغبات الشعوب

المتحكمة فيها بل نبذت ايضاً الفكر الرشيد والرأي السديد ومبدأ النفع العام » اهـ

اثارت هذه المعاهدة بخشونتها وجورها مطامع الشعوب البلقانية على ما سبق لنا بيانه في الفصل الثاني فشرعت في الاستعداد سراً وعلانية حتى اذا تمت اهبتها واجتمعت كلمتها واتحدت اربعتها شددت الهجة في مطالبة الدولة العلية بالاصلاح في مقدونيا والبانيا وهي غير الاصلاح تريد وفي غير الاصلاح تطمع حتى احرج مسلكها الباب العالي فعقد العزيمة — في آخر ساعة — على امتشاق الحسام

الاتحاد البلقاني

ترتقي الفكرة في عقد اتحاد بلقاني الى عهد الحاق الروملي الشرقية ببلغاريا سنة ١٨٨٥ بيد انهُ لم يكن في ذلك العهد اتحاداً موجهاً ضد الدولة العثمانية بل بالعكس كان يجب ان تكون الدولة العثمانية زعيمته

وتوالت السنون والمشاكل السياسية في شبه جزيرة البلقان لا تزداد الا اتساعاً فبدا لحكومتي بلغاريا والصرب ان تستأنفا المفاوضات سنة ١٩٠٩ وساعدتهما روسيا على تحقيق هذه الامنية بواسطة معتمدها في بلغراد المسيو دي هرتويك لانها اعتبرتها — على مايقول مراسل الطان — بمنزلة جواب للنمسا على ضمها ولايتي البوسنة والهرسك . ولعلها لم يخطر لها قط ان هذا الاتحاد الذي يضم حكومات البلقان سيكون وسيلة لحرب طاحنة تشهرها الدول الاربع

المتحالفة على الدولة العثمانية

ثم كانت الحرب الايطالية فتنبه رؤساء حكومات بلغاريا واليونان والصرب (غيشوف وفنيزيلوس وباسيك) الى وجوب التعجيل فوفقوا الى عقد ثلاثة اتفاقات :

الاول بلغاري صربي . وقد تم توقيعه في شهر اذار سنة ١٩١٢ وكانت نقطة الخلاف فيه اسكوب لان كل واحدة من الحكومتين كانت طامعة بالاستيلاء عليها ثم تنازلت عنها بلغاريا للصرب وتقرر ان تكون الحدود بينهما ممتدة من قرنجه أو قرانيا الى بحر الادرياتيك مارة ببحيرة اوخريدة

وابقيت موقوفة منطقة غير ذات اهمية واقعة بين قرانيا واوخريدة وتقرر أيضاً تحكيم قيصر روسيا اذا اتفق ان الدولتين اختلفتا بعد الحرب

والثاني بلغاري يوناني . وقد بدأت المفاوضات فيه بين حكومتي صوفيا واثينا في شهر تموز سنة ١٩١٢ وانتهت في شهر اب . على ان مواد هذا الاتفاق لم تعرف ولكن يقال ان اليونانية جعلت سالونيك خارج المنطقة التي تطلبها (ولعل ذلك لانها كانت لا تحلم ولا بالمنام بامكان وصولها اليها) .

والثالث بلغاري جبلي . وكانت حكومة الجبل الاسود قد عقدت ١٩١٠ اتفاقاً مع حكومة النمسا والمجر ضمنت فيه الثانية للاولى جانباً من لواء نوفي بازار فعززته باتفاق آخر مع بلغاريا ضمنت لها فيه هذه

الدولة مصالح أخرى (١)

الاتفاقات العسكرية

ويقول مراسل الطان ان الحكومات الاربع عززت اتفاقاتها الآنفة باتفاقات أخرى عسكرية لمدة خمس وعشرين سنة . فلما تم لها كل ذلك اجمعت على مطالبة الدولة العثمانية باجراء الاصلاحات المطلوبة حالاً والا شهرت عليها الحرب في اواخر ايلول (سبتمبر) بعد الحصاد

التحرُّش

يتبين بما تقدم ان دول الاتحاد البلقاني كانت على اتم الاستعداد للحرب في منتصف عام ١٩١٢ فصرفت وجهتها الى السياسة تتحين فرصة سانحة للتحرُّش فوجدت امامها متسعاً ومجالاً رحباً كمذابح اشتب ومذابح كوتشانا ولم يكن عهدها ببعيد . ثم الاصلاحات في مقدونيا الموعود بها مراراً . ثم الذخائر الحربية الصربية المحجوزة . ثم السفن اليونانية . ثم الاختلاف الابدي على تحديد تخوم الجبل الاسود . . . . .

(١) قالت جريدة نيوفري بريس في ٢٨ ايلول لم يكن بين وزراء خارجيات الدول الكبرى من يظن ان عقد الاتفاق البلقاني ممكن غير المسيو ساسانوف وزير خارجية روسيا لان الاتفاق المذكور لم يتم الا في الثلاثين منه . اه

هذه هي أهم الاختلافات التي وضعوها غشاوة على الابصار واتخذوها وسيلة ظاهرة لاعلان الحرب في حين لم تكن الا وسائل ثانوية . أما الاسباب الجوهرية فمعروفة : مطامع كامنة وعداوات متوارثة واحقاد متقدة في الصدور

الاصلاحات

كان الباب العالي قد وعد في خلال شهر ايلول (ستمبر) ١٩١٢ باجراء الاصلاحات الآتية في الولايات المقدونية (عن الطان) :

اولاً : ان ينتخب الموظفون في مقدونيا من الاكفاء الذين يعرفون القضاء او اللواء الذي يعينون فيه بلا التفات الى قوميتهم أو ديانتهم

ثانياً : ان تؤسس المدارس في البلاد وتلقن فيها العلوم باللغة المحلية

ثالثاً : ان تنشأ المدارس الدينية حيث يكون موجب لانشائها

رابعاً : بان يطلب من الولايات أن تقترح على ناظر النافعة (الاشغال العمومية) وناظر الزراعة الاعمال التي يجب اجراؤها كفتح الطرق ومد خطوط الحديد وتطهير الانهر وتسهيل سبل الري وغير ذلك

خامساً ان تنشأ نواح واقضية جديدة

سادساً ان تقضي الجنود المقدونية مدة خدمتها العسكرية في ولاياتها في زمن السلم (اه)

مذكرة بلغارية صربية

هذه الاصلاحات لم تقع موقع الاستحسان من الحكومة البلغارية حتى ان جريدة مير الشبيهة بالرسمية والمعروفة بانها لسان حال المسيو غيشوف رئيس الوزارة اظهرت ارتيابها في استطاعة الباب العالي تحقيق هذه الاصلاحات بدون مساعدة موظفين اوربيين علاوة على ضعف ثقتها في ميل الباب العالي الى انجاز وعوده. فبعثت حكومتا بلغاريا والصرب بمذكرة مشتركة طلبتا فيها من الباب العالي اعطاء مقدونيا استقلالاً داخليًا. واتبعتها الصرب بمذكرة خاصة انذرت فيها الحكومة العثمانية بانها ستشهر الحرب عليها بعد ٤٨ ساعة اذا لم تسلمها ذخائرها الحربية المحجوزة ثم بدأت فعلاً بارسال جنودها الى الحدود

الفصل الخامس

المفاوضات الرسمية

تطلبات حكومات البلقان

اتى المسيو باسيك رئيس الوزارة الصربية في حديث له مع مكاتب جريدة نيويرك هرلد على ما تطلبه حكومة بلغراد وحلفاؤها من الباب العالي قال :

« ان حكومة الصرب لا تألو جهداً في حماية الصربيين المقيمين بالبلاد العثمانية وضمان راحتهم ولئن كنا على ثقة ان لا سبيل غير

الحرب الى بلوغ الغاية المقصودة الاوهي نشر الحكم الذاتي في صربيا القديمة حيث الاكثرية من الصربيين . وعندنا ان صربيا القديمة يجب ان تشمل ولاية قوصوه ولواء نوفي بلزار والقسم الشمالي من ولاية اشقودرة الى سواحل الادرياتيك حيث لا تزال الى الآن حصون صربية قديمة ثم القسم الشمالي الغربي من ولاية مناستير وفي الجملة بحيرة اوخريدة

وعلاوة على ذلك فاننا نطلب الحكم الذاتي أيضاً لمقدونيا والبانيا وتساليا وابيروس وتعيين حكام مسيحيين فيها كما يجب ان يتألف في كل من هذه الولايات مجلس تراعى فيه أهمية العناصر المختلفة

هذا ما تطلبه الصرب بالاشتراك مع حلفائها . ونحن عاقدون العزيمة على تضحية كل مرتخص وغال في سبيل تحقيق هذه الغاية (اه)

مذكرة عثمانية

أما الوزارة العثمانيـة فرفضت المذكرة الصربية وابقت الحجز على الذخائر والسفن اليونانيـة ثم بعثت الى الدول العظمى ببلاغ هذا ملخصه :

« لا يصعب التنبؤ بان الاحتجاجات الشفاهية الشديدة التي احتجت بها الدول لدى الممالك البلقانية لاتأتي بالغرض المقصود فلذلك يرى (الباب العالي) انه لا يمكن تهدئة هياج الشعب في تلك الممالك الا بوسائل شديدة تتخذها اوربا . وان صبر الامة العثمانية والجيش

قد نفد بسبب التهييج الجنائي المستمرّ منذ سنوات فهما مستعدان لقتال » اهـ

مذكرة روسيا والنمسا

وكانت الدول الاوربية قد جعلت المفاوضات في الاختلافات البلقانية في عهدة حكومتي روسيا والنمسا فبعثتا بمذكرة الى حكومات البلقان هذا تعريبها :

ان حكومتي روسيا والنمسا تصرحان لممالك البلقان بما يأتي

اولاً ان الدول تستنكر كل تدبير يقوّض اركان السلم استنكاراً شديداً

ثانياً تتخذ المادة الثالثة والعشرين من معاهدة برلين اساسةً لتحقيق الاصلاح في الولايات العثمانية الاوربية حبًّا في مصلحة العناصر المختلفة ولكن يجب ان يفهم ان ضروب الاصلاح التي تحقق لا تجيء مجحفة بسيادة السلطان ولا بسلامة املاك السلطنة العثمانية . وعلاوة على ذلك فان هذا التصريح يحفظ للدول الحق في ان تعود الى البحث في الاصلاح بحثاً اجماعيًّا

ثالثاً ولكن اذا نشبت الحرب بين ممالك البلقان والسلطنة العثمانية فالدول لا تسمح في نهاية الحرب باجراء تعديل في املاك تركيا باوربا عما هي عليه الآن

وستفاوض الدول بالاجماع الباب العالي حسبما ورد في التصريح المتقدم (اه)

الجبل الاسود يعلن الحرب

ورأت حكومة الجبل الاسود انه لايجمل بها الاجابة على المذكرة الروسية النمسوية بالرفض فتخلصت من هذا الجواب باعلان الحرب على الدولة العثمانية وكان ذلك في الثامن من شهر تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٢

بلاغ اعلان الحرب

وهذا مفاد البلاغ الذي رفعه الى نظارة الخارجية العثمانية المعتمد الجبلي في الآستانة :

« اتأسف ان الجبل الاسود افرغ كل مساعيه لازالة سوء التفاهم وحل الاختلافات العديدة التي كانت تقع دائماً مع السلطنة العثمانية بالوسائل السلمية ولكن بلا جدوى

فيامر الملك تقولا اتشرف ان اخبركم ان حكومة الجبل الاسود تقطع كل علاقاتها مع السلطنة العثمانية ابتداء من اليوم تاركة لسلاح الجبليين الحصول على الاعتراف بحقوقهم وحقوق اخوانهم في السلطنة العثمانية الحقوق التي انكرت عليهم اجيالاً عديدة

اني مغادر الاستانة . والحكومة الملكية ستعطي المندوب العثماني في ستنجه جوازات السفر

في ٨ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٢

بلامنتز

خطاب الملك

وهذا تعريب البلاغ الذي وجهه الملك الى شعبه مكاشفاً اياه باعلان الحرب :

« ان آمالي بالوصول الى وسيلة سلمية يتمكن بها الصربيون — سكان الصرب القديمة — من تحرير نفوسهم ونجاتهم مما هم فيه من العذاب والشقاء لم تتحقق فلذلك لم يبق لي الا ان امتشق الحسام : ذلك الحسام الذي لا ريب في ان له تاريخاً مجيداً . ذلك الحسام الذي تبعه الجبليون بسالة الى نكشتش وانتيفاري ودولسينيو مع ان تقويض اركان السلم في اوربا يحملني عناء شديداً

يا اهل الجبل الاسود . ان الحرب التي نشهرها حرب عادلة وقد قضي الامر . ان الله سبحانه والحظ الذي يرافق العنصر الصربي ، يقدرنا على ايصال هذا الحظ الى اخواننا الذين في الشقاء

فعسى ان تتم احلام صباي الاولى كما انبأت بهذا اليوم العظيم في الاشعار التي نظمتها حينئذ — بعون الله وبركة القديس بطرس شفيع الجبل الاسود وسائر القديسين . وان تشعل في صدور شعبي نار الايمان ليزحفوا الى ما وراء حدود الجبل الاسود

عاش للجبل الأسود وعاش الاتفاق البلقاني اه

قولا

الاصلاحات الجديدة

وخاطب سفراء الدول الباب العالي فعلاً في الاصلاحات التي صحت عزيمته على اجرائها فوعد باجراء الاصلاحات المنصوص عنها في نظام الولايات الذي كان وضعه المفوضون العثمانيون سنة ١٨٨٠ بالاشتراك مع اللجنة الدولية في الروملي الشرقية ثم طوي الى هذا اليوم . ورفض العمل بما تضمنته المادة ٢٣ من معاهدة برلين . اما نظام الولايات فهذا اهمّ ما فيه :

« في المادة الاولى ان العثمانيين كلهم متساوون امام القانون . ولهم حقوق وعليهم واجبات متساوية بلا تمييز بين العناصر والاديان

« وان الحرية الفردية مضمونة . ومثلها حرية المسكن وحرية الصحافة وحرية التعليم

« وان لا تجبى الضرائب بلا قانون

وفي المادتين الثانية والثالثة تثبيت لسلطة الولاة مع طريقة تنظيم الادارة الداخلية في كل ولاية

ثم بموجب هذا النظام يجب ان يكون الولاة مسيحيين في الولايات التي تكون الاكثرية فيها مسيحية . أو يكون الوالي مسلماً ومعاونه وبعض رؤساء الدوائر مسيحيين

اما المجلس العمومي المنصوص عنه في هـذا النظام فهو نوع من البرلمان المحلي . واعضاؤه اما اعضاء طبيعيون كالمفتي والاسقف والحاخام وكبار الموظفين . واما منتخبون لاربع سنوات . واما معينون بمعرفة الوالي . وهؤلاء يجب ان لا يزيدوا على ربع عدد الاعضاء المنتخبين . وهذا المجلس ينتخب ثلاثة من اعضائه فيختار الوالي منه رئيساً

ومن صلاحيـة المجلس وضع القوانين اللازمة في كل الدوائر الداخلية (ما عدا الجيش) ورفعها الى الحضرةالسلطانية للموافقةعليها

وعدا ذلك فان لكل من الطوائف المختلفة مجالس ملية ولـكل محلة من المدن ولكل قرية هيأة اختيارية » . هذه المجالس كلها يكون موكولاً اليها امر صيانة حرية المسيحيين وسلامتهم وتأكيد اسباب راحتهم ورفاهيتهم اه

مذكرة السفراء الى الباب العالي

فلما تلقى سفراء الدول العظمى جواب الباب العالي في هذاالصدد بعثوا اليه بالجواب الثاني :

« ان الموقعين لهذا سفراء حكومات النمسا والمجر وانكلتراوفرنسا وروسيا والمانيا قد كلفتهم حكوماتهم ابلاغ حكومة الباب العالي بان هذه الحكومات الخمس استلمت اعلان حكومة الباب العالي عن رغبتها في اجراء الاصلاح وانها مستعدة لان تفاوضها في تطبيق هذا

الاصلاح وفقاً للمادة ٢٣ من معاهدة برلين ونظام سنة ١٨٨٠ وفي الاصلاحات التي تتطلبها الولايات العثمانية في البقعة الاوربية والوسائل التي تكفل انفاذها صيانة لمصلحة الشعب لا سيما انه تبين ان اجراء هذه الاصلاحات لا يمسُّ صيانة الدولة العثمانية

الامضاءات

بلافتشيني جيررد لوثر بومبار . جيرس فانجنهيم

الاستانة في ١٠ اكتوبر ١٩١٢

جواب نظارة الخارجية العثمانية للسفراء

فاجابت نظارة الخارجية العثمانية سفراء الدول بما يأتي :

« رداً على المذكرة التي قدمها سفراء حكومات النمسا والمجر وانكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا الى حكومة الباب العالي بتاريخ ١٠ الجاري بناء على اشارة حكوماتهم يتشرف ناظر خارجية حكومة جلالة السلطان بان يبلغهم — ما لا يخفى على دولهم — وهو ان الحكومة العثمانية اعترفت بضرورة اجراء الاصلاحات التي تتطلبها الولايات العثمانية في البقعة الاوربية

وقد بلغ اعترافها بوجوب اجراء هذه الاصلاحات حدًّا حملها على ان تتولى اجراءها بنفسها من غير دخول اجنبي وترى ان انفاذها على هذا الشكل يساعد على ارتقاء البلاد وتقدم احوالها الاقتصادية

ويؤيد الوفاق والاتفاق بين العناصر المختلفة التي تتألف منهـا هذه الولايات طبقاً لروح الدستور العثماني

ولا يغرب عن البال انه اذا كانت كل المساعي التي بذلت الى اليوم لم تأتِ بالثمرة المقصودة تماماً فذلك لان الاضطراب وعدم الامن اللذين أحدثتهما الجرائم المتنوعة — ومصدرها اماكن الثورة التي لا جدال في الغرض الحقيقي من احداثها — كانت سبباً في العثرات التي القيت في سبيل بلوغ الغاية

ومع ذلك فالحكومة السلطانية تقدر غاية الحكومات الخمس الودية حق قدرها بتقديمها هذه المذكرة في الاحوال الحاضرة وهي تشترك معها اشتراكاً قلبياً لدفع خطر حرب تحدث اضراراً جسيمة يجب على العالم المتمدن ان يدفعها بكل الوسائل

وتعتقد الحكومة السلطانية انها فعلت الواجب عليها بسبقها الى تسهيل المساعي الانسانية التي بذلتها الدول لازالة ويلات الحرب التي يرغبن في درئها

والحكومة العثمانية وان كانت لا تود أن تعتذر بان مواد كثيرة من مواد معاهدة برلين نفذت على غير ما كان مقصوداً منها يوم وضعها وان المصالح العثمانية أصيبت باضرار جسيمة في اوقات كثيرة وكانت لا تود أن تدقق لتعلم الى أية درجة حفظت المادة ٢٣ من تلك المعاهدة قيمتها الحقيقية — فانها تصرح بانها عزمت بمطلق ارادتها ورغبتها أن تقدم مشروع ١٨٨٠ بكل تفصيلاته التاريخية الى مجلس النواب حين

اجتماعه القادم للموافقة عليه وصدور الارادة السنية بوضعه موضع الاجراء

ولكن الحكومات الكبرى على ثقة بان الحكومة العثمانية تطبق هذا النظام تطبيقاً تاماً بالدقة الكاملة منذ صدوره

وانه لمن الظلم الفاضح أن يقوم الاهمال والتسويف اللذان اتصف بهما دور ماض حجة على الحكومة العثمانية الدستورية التي تود اليوم أن تقطع كل صلة لها بالخطيئات الماضية أو أن يكون هذا الشك وسيلة لاتخاذ وسائل لا تنطبق على مصلحة البلاد العثمانية وهذه الشعوب نفسها . اه

جواب حكومة بلغاريا

وكانت بلغاريا قد تلقت بلاغ الباب العالي بشأن الاصلاحات الجديدة فاجابت عليها بتاريخ ١٤ ت ١ بالمذكرة الآتية والذيل الذي الحقته بها قالت :

« يتشرف موقع هذا رئيس النظار وناظر الخارجية والمذاهب فيسأل حضرة وكيل اشغال سفارة الدولة العثمانية بان يبلغ الحكومة السلطانية المذكرة الآتية والذيل الملحق بها

انه رغم المساعي التي قامت بها الدول الست على يد حكومتي النمسا والمجر وروسيا لدى حكومات البلقان واعدة بان تتولى هي اجراء الاصلاح في الولايات العثمانية الاوربية رأت حكومات بلغاريا واليونان والصرب واجباً عليها ان تخاطب حكومة جلالة السلطان

لتصرح لها بان اجراء اصلاحات حقيقية وتنفيذها تنفيذاً صادقاً يكفل وحده اصلاح احوال الشعوب المسيحيين في الولايات العثمانية ويضع الامن والراحة في تركية اوربا ويحفظ السلم بين السلطنة العثمانية وحكومات البلقان التي كثيراً ما سلكت الحكومة العثمانية ازاءها مسالك تحكم وتغطرس لا مسوغ له

وحكومات بلغاريا واليونان والصرب — وان لم يكن الجبل الاسود مشتركاً معها في مذكرتها (وهذا ما نأسف له) بسبب الحوادث التي وقعت — تدعو حكومة الباب العالي لان تشرع حالاً بالاتفاق مع الدول وحكومات البلقان في اجراء الاصلاح الذي ورد ذكره في المادة ٢٣ من معاهدة برلين في تركية أوربا جاعلة قاعدتها في اجرائه احترام العناصر المتباينة وذلك بان تهب تلك الولايات الاستقلال الاداري وأن يعين لها حكام عموميون من البلجيكيين أو السويسريين ومجالس عمومية منتخبة وجندرمة (ضابطة) وبوليس وأن يكون التعليم حراً وأن يعهد في انفاذ هذه المطالب الى هيأة من المسيحيين والمسلمين منتخبة بالمساواة تحت مراقبة الدول وسفراء حكومات البلقان الاربع في الاستانة . وحكومات بلغاريا واليونان والصرب تأمل ان الدولة تعلن بانها تقبل هذه المطالب ومطالب الذيل الذي ألحق بهذه المذكرة وتتكفل بوضعها موضع الاجراء في مدة ستة اشهر وان تصدر الاوامر بمنع حشد الجيوش ليكون صدورها دليلاً على رضائها بها

ويغتنم موقع المذكرة الفرصة لان يعرب لكم الخ غيشوف

وهذا تعريب الذيل :

اولاً : تأييد استقلال العناصر في السلطنة مع كل ما يتبعه

ثانياً : تمثيل كل عنصر في السلطنة في مجلس النواب تمثيلا يكون متناسباً مع عدده

ثالثاً : قبول المسيحيين من كل المذاهب في الولايات التي يسكنها المسيحيون

رابعاً : اعتبار مدارس الطوائف المسيحية كالمدارس الاميرية تماما بالبلاد العثمانية

خامساً : تتكفل الحكومة العثمانية بعدم تغيير مركز العناصر في الولايات بنقل عدد من المهاجرين المسلمين بها

سادساً : استخدام الجنود في ولاياتهم مدة الخدمة العسكرية وانشاء فرق مستقلة من المسيحيين وتوقيف التجنيد من الا ن الى ان ينطبق هذا الطلب

سابعاً : انشاء الجندرمة في ولايات تركيا اوربا بقيادة ضباط من البلجيكيين او السويسريين

ثامناً : تعيين ولاة من البلجيكيين أو السويسريين في الولايات التي يقطنها المسيحيون يكونون معروفين للدول ويعاونهم مجلس عمومي ينتخبه أهل الاقضية

تاسعاً : انشاء لجنة عالية في الصدارة تعين من المسيحيين والمسلمين

بالتساوي يعهد اليها في مراقبة هذه الاصلاحات ويراقب السفرا ووكلاء حكومات البلقان اعمال هذه اللجنة اه

انقطاع المفاوضات

على ان هذه اللهجة الشديدة اغضبت الدولة العثمانية فضربت صفحاً عن الرد على المذكرة البلغارية وكلفت سفراءها في عواصم الحكومات البلقانية المجيء الى الاستانة وقطعت المفاوضات

الفصل السادس

الجيش العثماني

جلالة السلطان محمد الخامس

هو الامير محمد رشاد افندي ثالث انجال السلطان عبد المجيد وشقيق السلطانين مراد الخامس وعبد الحميد الثاني. ولد في الثالث من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٤١ (٢١ شوال ١٢٦٠)

ولع منذ الصبا بدرس اللغتين العربية والفارسية علاوة على التركية والفرنسوية فنبغ فيهما وخصوصاً الفارسية فان له فيها قصائد غراء

ولما جلس السلطان عبد الحميد في الثلاثين من شهر آب (اغسطس) ١٨٧٦ على عرش السلطنة بعد خلع اخيه السلطان مراد الخامس سمي الامير محمد رشاد افندي قائداً اكبر للجيش العثماني . بيد ان السلطان عبد الحميد الذي كان يرى في كل واحد من اعضاء اسرته خصماً له — انتزع منه هذا المنصب . ومنذ ذلك العهد قضي على ولي العهد السلطنة ان يبقى سجيناً في قصر زنكرلي قيو فكان لا يخرج منه الا نادراً

قضى الامير نحو ثلاثين سنة في الاسر فصرفها في مطالعة آداب اللغات الشرقية ثم درس شعراء الفرس كما تقدم

فلما كان السابع والعشرون من شهر نيسان (ابريل) ١٩٠٩ اجتمع المجلس العمومي الوطني في الآستانة — المؤلف من أعضاء مجلسي الاعيان والمبعوثان — فتليت فيه فتوى شرعية بتوقيع شيخ الاسلام محمد ضياء الدين أفندي بخلع السلطان عبد الحميد والمناداة بولي العهد سلطاناً على العثمانيين باسم السلطان محمد خان الخامس

وجلالته ربعة القامة لحيم قوي البنية أزرق العينين . وأخلاقه طيبة ومما يمتاز به التساهل والجودة ودماثة الخلق وحب الاحسان

وانجاله أربعة : الامير ضياء الدين أفندي (١٨٧٣) والامير نجم الدين أفندي (١٨٨١) والامير عمر حلمي أفندي (١٨٨٣) والاميرة رفيعة سلطان (١٨٨٧) .

الامير يوسف عز الدين افندي

ولي العهد

ولاية العهد في السلطنة العثمانية هي من عهد السلطان احمد الاول للارشد فالارشد من أمراء آل عثمان . فولي العهد الحالي هو الامير يوسف عز الدين أفندي ابن السلطان عبد العزيز

ولد سموه في سنة ١٨٥٧ وتولى في عهد أبيه قيادة الحرس السلطاني ثم عين عضواً في شورى الدولة . اما في عهد عبد الحميد فلم يكن أحسن حظاً من أمراء بيت الملك

وهو معتدل القوام مع ميل الى القصر . ابيض البشرة . أشقر الشعر . اشهل العينين . نحيف الجسم ومع ذلك فهو قوي البنية . وهو كثير التأنق في ملابسه ويلبس الثياب الملكية واحياناً ثوب المشيرية العسكري

ويقال انه من العلماء وان له تآليف كثيرة ولكنها غير مطبوعة

التجنيد

الجندية في البلاد العثمانية اجبارية على كل بالغ سن الحادية والعشرين . وكانت قبل الدستور (١٩٠٨) مفروضة على المسلمين فقط — مع استثناء عرب الحجاز واليمن والالبانيين وسكان الاستانة — وكان يستوفى من المسيحيين بدل نقدي لا يزيد على ريالين

مجيديين (ثمانية فرنكات ونصف) فلما أعلن الدستور أصبحت اجبارية على الجميع من مسلمين ومسيحيين بلا استثناء . انما كان يمكن التخلص من الخدمة بدفع خمسين ذهباً عثمانياً (٢٣ فرنكاً) بدلاً نقدياً عن الخدمة النظامية وثلاثين عن الخدمة في الاحتياط أو الرديف

مدة الخدمة

أما مدة الخدمة فثلاث سنين في الجيش النظامي (الترتيب الاول) وست سنين في الاحتياطي وثماني سنين في الرديف ومثلها في المستحفظ

أما افراد الترتيب الثاني فيعتبرون من الرديف من سن ٢١ الى ٣٨ وعليهم قضاء ستة أو تسعة أشهر في الجيش النظامي . كما ان افراد الرديف بجملتهم يتحتم عليهم التمرن في كل عام شهراً كاملاً

اقسام الجيش

كانت وزارة الحربية في عهد عبد الحميد وفي اول عهد الدستور جارية في تقسيم الجيش على خطة لو عني بتنفيذها لكان للعثمانيين في ميدان القتال جيش لا تقف امامه قوات الدول البلقانية المتحالفة يوماً واحداً

كان الجيش العثماني بموجب الخطة المقررة يجب ان يكون سبع اورط او مفتشيات موزعة على اربعة جيوش . اثنان يحميان البلاد العثمانية الاوربية من سواحل بحر مرمرا الى سواحل بحري الادرياتيك

وابجه . واثنان يرابطان في آسيا الصغرى

اما الاول وهو جيش تراقية فكان اربعة فيالق موزعة على الترتيب الآتي :

الاول في الاستانة وضواحيها . الثاني في رودستو . الثالث في قرق كليسة . والرابع في ادرنه

وكانت هذه الفيالق الاربعة مؤلفة بحسب النظام من اثنتي عشرة فرقة نظامية واحدى عشرة احتياطية وست رديفية وخمسة الوية من الفرسان . فيكون المجموع مئتين وعشرين الف مقاتل

واما الجيش الثاني وهو جيش مقدونية فكان قوامه اربعة فيالق وثلاث فرق مستقلة فكان مجموع فرقه بصرف النظر عن الرديف اثنتين وثلاثين ومجموع المقاتلة فيه ثلاث مئة واربعين الف مقاتل وخمس مئة مدفع (١)

اما الجيشان الثالث والرابع فكان يجب ان يكونا في آسيا الصغرى فاذا اشتبكت حرب واحتاجت الدولة الى نجدات كان لها فيهما عضد كبير

توزيع الفيالق

وزيادة في الفائدة نأتي على طريقة توزيع الفيالق الاربعة عشر على الجيوش الاربعة

(١) الليوتنان واغنر من الجيش النمساوي ومراسل جريدة ريخسبوست الحربي

فالجيش الاول مركزه الاستانة ويتناول تراقية وآسيا الصغرى من البحر الاسود الى جنوبي الخط الحديدي بين الاستانة وبولنوزلو وهو اربعة فيالق نظامية : الاول في الاستانة . والثاني في رودستو . والثالث في قرق كليسة . والرابع في ادرنه . ويشمل ايضاً مفتشية الرديف في الاستانة وقوامها ١٤ فرقة منها ثماني من الترتيب الاول (أي الذي خدم المدة النظامية) وست من الترتيب الثاني

والثاني مركزه سلانيك. ويتناول مقدونيا وولايتي ازمير وسورية . وهو اربعة فيالق نظامية ايضاً . فالفيلق الخامس في سلانيك والسادس في مناستير . والسابع في أسكوب . والثامن في دمشق الشام

ويلحق بهذا الجيش ثلاث فرق نظامية مستقلة . فالفرقة ٢٢ في كوزياني . والفرقة ٢٣ في يانيا . والفرقة ٢٤ في اشقودره (البانيا) ثم ثلاث مفتشيات رديف . الواحدة في سلانيك وفيها ١٣ فرقة . والثانية في دمشق وفيها سبع فرق من الترتيب الاول . والثالثة في ازمير وفيها ثماني فرق

والجيش الثالث في ارمينية . ومركزه ارزنجان . ويضم ثلاثة فيالق نظامية . التاسع في ارضروم والعاشر في ارزنجان والحادي عشر في وان

وتلحق به مفتشية رديف تتناول ثماني فرق من الترتيب الاول

والجيش الرابع في ما بين النهرين وخلدا . ومركزه بغداد . وهو فيلقان نظاميان . الثاني عشر في الموصل والثالث عشر في بغداد

وتلحق به مفتشية رديف في بغداد تتناول اربع فرق من الترتيب الاول

ويبقى الفيلق الرابع عشر . وهو فيلق مستقل في اليمن ومركزه صنعاء

والفرقة الثانية والار بعون وكانت في طرابلس الغرب (قبل اليوم)
والفرقة الثالثة والار بعون في الحجاز ومركزها مكة المكرمة

ويتولى رئاسة كل جيش من هذه الجيوش الاربعة قائد عام تحت امرته قواد الفيالق ومفتشو الرديف ومفتش المدفعية (الطوبجية) العام . وهو يحكم منطقته بواسطة مفتشي الرديف . والمنطقة تقسم الى دوائر فرق ومراكز طوابير

وقواد الفيالق يتولون القيادة في مراكز تعينهم وتحت امرهم قواد الفرق ومفتش مدفعية الفيلق وحكيمباشي و بيطري باشي

قوات الفيالق النظامية

يتألف كل من الاربعة عشر فيلقاً نظامياً الآنفة من : ثلاث فرق مشاة .الاي رماة (نشانجي) وهو ثلاثة طوابير . لواء فرسان ويكون الايين أو ثلاثة . مدفعية الفيلق وهي ثلاثة بلوكات . طابور هندسة . وطابور لبناء الجسور . وطابور رجال التلغراف . وطابور قطارات . وآلاي صحي بمستشفياته

قوات الفرق النظامية

الفرقة النظامية ثلاثة الايات . والالاي ثلاثة طوابير . ويضاف اليها طابور من الرماة فالجملة عشرة طوابير

ويلحق بالفرق الاي مدفعية ويكون بلوكين أو ثلاثة . وبلوك فرسان (وقد يكونون من المشاة الراكبين) . والاي القطارات . والاي صحي

وهناك علاوة على ما تقدم ٥٨ فرقة رديف كل منها يؤلف في الغالب من ثلاثة الايات كل الاي ثلاثة طوابير بمدفعيتها وفرسانها

القوات الحقيقية الموجودة

بيد ان كل هذه القوات الكبيرة كانت حين اعلان الحرب حبراً على ورق لان الحكومة العثمانية بوغتت بالحرب مباغتة قبل أن يتسع لها الوقت الكافي لاتمام تنظيم جنديتها

ثم ان الفتن الداخلية في البانيا واليمن كانت قد انهكت قوى الجيش من قبل أن يخوض غمرات القتال . ثم كانت الحرب الطرابلسية فبقي الجيش شهوراً متوالية تحت السلاح ولم يكن بالامكان سوقه الى طرابلس الغرب . فلما كانت اوائل أيلول (سبتمبر) سرحت وزارة مختار باشا الغازي مئة وعشرين الفاً من الجنود النظامية [1] فعادت الى آسيا الصغرى وابقت على حدود بلغاريا والصرب عشر فرق من الرديف

---

(١) منشور الوزارة الاتحادية بعد سقوط وزارة كامل باشا

كانت عبأتها في آخر ساعة — في ٢٣ من الشهر المذكور — بحجة التمرينات ثم لم تلبث ان رأت من اندفاع الحكومات البلقانية في تعبئة جيوشها ما أدركت معه ان الحرب ناشبة قريباً لا محالة فقرعت سنها ندماً ولات ساعة مندم

وعلى الجملة فلم يكن في مقدونيا من ذلك الجيش الكبير حين اعلان الحرب سوى نحو مئة الف مقاتل كما ان القوات الموجودة في تراقية كانت أضعف من أن تستطيع الثبات في وجه الجيوش المتحالفة الزاحفة من كل صوب. فكان الفيلقان الاول والثالث امام قرق كليسه. والثاني بين قرق كليسة وادرنة . والرابع في ادرنه

النجدات

وكان الجيش في الاستانة وضواحيها معسكران لاستقبال النجدات التي شرع باستقدامها من اسيا الصغرى بكل سرعة . الاول في محطة السركجي للطوابير القادمة بطريق البوسفور . والثاني في سن ستيفانو للطوابير القادمة بطريق خليج ازميد وبحر مرمرا

حديث ناظر الخارجية العثمانية

وكان ان اجتمع في هذا الحين بجبرائيل نورادنكيان أفندي ناظر الخارجية العثمانية المسيو لوزان مدير جريدة الماتين فقال له الوزير:

ليس في أوربا كلها أمة تذرعت بالحلم والصبر الجميل كالامة العثمانية . فمنذ شهرين جازت عصابات مسلحة حدودنا فقتلت جنودنا

ونهبت مدننا وأحرقت احدى كنائسنا وخربت غير واحد من استحكاماتنا . هذه العصابات كانت تنتمي الى حكومة الجبل الاسود التي تزعم انها متمدنة . . . ومع ان الاهانة كانت علنية وفي كل صقع تعتبر تحرشاً لم يستخفنا الغضب بل تلقينا الاساءة بطول الاناة حتى اوشكت ان تكون ضعفاً فدفنا قتلانا وجددنا بناء كنيستنا واستحكاماتنا وسكنا خواطر الاهلين الثائرة . فماذا كانت النتيجة ؟

ثم عدد الوزير الاصلاحات التي أجراها هو ورصفاؤه الوزراء او وعدوا باجرائها في البلاد المقدونية وفي جملتها مخاطبة الدولة البريطانية بطلب ستة عشر مستشاراً يكونون معاونين للولاة في الست عشرة ولاية عثمانية . واستتبع فقال : بيد ان حكومات البلقان غرها حلمنا فكانت كلما زدناها تساهلاً تزيدنا عدواناً . اما الان وقد شاءت الحرب فلتكن . إن هذه الحرب لم نتطلبها نحن ولا رغبنا فيها وانما كانت على غير رضانا وعلى غير رضى اوربا كلها وخصوصاً فرنسا فان رئيس وزارتها (المسيو بوانكاره رئيس الجمهورية الحالي) بذل اقصى جهده في تلافيها فما افلح . هذه الحرب التي ليست تبعتها واقعة علينا سنخوض غمارها بكل ما أوتينا من الحزم والوطنية . فاذا طال اجلها وكثرت ضحاياها فليس ذلك من امانينا ولا جناح فيه علينا وانما نود أن تكون الحرب كما يجب أن تكون بين أمم متمدنة . فاذا دخلنا بلاد الاعداء اعتبرنا انفسنا فيها ضيوفاً غرباء واذا قدر لنا الانكسار تلقيناه بالاذعان والتسليم ويفعل الله ما يشاء »

خطاب السلطان للامة والجيش

ونجعل مسك الختام في هذا الفصل الخطبة البليغة التي خطها جلالة السلطان الاعظم محمد الخامس بيده الكريمة وخاطب بها الامة العثمانية والجيش [1] . قال أيده الله :

يعلم العالمون ان الدولة العثمانية محبة للصلح والسلام وان العثمانيين كافة يحترمون حقوق كل امة ويراعون عواطفها ومذاهب قومها . فهم يطلبون من كل أمة ان تراعي عواطفهم وتحترم حقوقهم المثل بالمثل. ان العثمانيين لا يضمرون لدولة من الدول شراً ولا يريدون ايقاع الاذى بشعب من الشعوب فمن حقوقهم المقدسة أن يطلبوا من الامم والحكومات الاخرى أن تقابل اخلاصهم بالاخلاص وان لا تفعل ما يخل باخلاصهم ان العثمانيين لا يريدون ان يحولوا دون ارتقاء أمة واخذها باسباب العمران والتمدن وهم ايضاً لا يأذنون لاحد ان يحول دون ترقيتهم وسعادتهم في معترك الحياة . اننا رغم الغوائل التي تعترضنا في سبيل اصلاح بلادنا لا ندخر وسعاً في بذل ما يعود بالسعادة والرفاه على شعبنا المحبوب . ولكن بينما نحن دائبون في هذا السبيل القويم جعل بعض الدول الصغيرة المجاور لملكنا ينظر الى جهادنا في اصلاح

---

(١) عن المقطم : ويقضي عليَّ الواجب باسداء الشكر الجزيل الى حضرة الفاضل خليل افندي ثابت مدير المقطم الذي تلطف فامدني بمجموعة هذه الجريدة الغربية الكبرى فاقتبست منها اكثر ما دونته في هذه الصفحات من المحررات الرسمية

ما فسد من أمور بلادنا نظراً غير مشروع لانه لا يروقه أن يرى التمدن العصري في الممالك العثمانية آخذاً بها وروح الالفة والاتحاد مبثوثة بين سكان ولاياتنا . هذه الدول التي تريد الانتفاع من مصائبنا قامت تذر في العيون رماداً وتسدل على اصلاحنا لبلادنا حجاباً كثيفاً فقالت فينا سوءا ونظرت الينا شذراً

ولقد تعامت حكومات البلغار والصرب واليونان والجبل الاسود عبدة الخيال والوهم عن ان العثمانيين منذ ستة عام وهم يفدون وطنهم بارواحهم بل يبذلونها في مقاتلة اعدائهم . تعامت عما بذلته الحكومة العثمانية احتفاظاً بحياتها وتجاهلت انه مرت بنا سنة ونحن نحارب دولة اخرى معادين مستبسلين محافظة على ولاية جعلها نكدطالعها بعيدة عنا نسيت ذلك كله وتعامت عنه وقامت تحشد جيوشها على حدودنا . فهذه الحال قضت ان ادعو اولادي الاعزاء وجنودي المحبوبين حماة هذا الوطن ومثال الحمية والناموس وعنوان الشجاعة في العالم الى الدفاع عن الوطن . وبناء على هذا اصدر الان ارادتي السنية بحشد جنود الفيلق الاول والفيلق الثاني النظامي والرديف والمستحفظ . وجنود الفيلق الثالث في احوالها الثلاث النظامي والرديف والمستحفظ

ان آباءكم واجدادكم الذين اراقوا دماءهم المقدسة في سبيل سعادتكم ورفاهكم — اولئك الذين قدموا ارواحهم فداءكم — حفظوا لكم ارض هذا الوطن المقدس الى اليوم فعليكم ان تذودوا عنه وان لكم لشرفاً عظيماً اذ خولتم اليوم المحافظة على الوطن . ولقد كتب الله

لكم سعادة الدفاع عن الشرف والناموس ووالله انها لمنحة عظيمة

ان هذا الوطن الذي تؤلف اجزاؤه من رفات اجدادكم ودماء اباءكم والذي هو قبر كبير المرته نفوس ابائكم الغزاة المجاهدين يستصرخكم لكي تحفظوه لابنائكم واحفادكم من بعدكم ولئلا تلوث اقدام الاعداء تلك الاجسام الطاهرة وفي عروقكم دم يجري

ان اعداءنا يجتمعون على حدودنا ويتأهبون لسحق كل شيء مقدس لنا . لاغتصاب ميراث آبائنا واجدادنا من يدنا ومحو سعادة ابنائنا واحفادنا ورفاهم

ان لي ثقة عظيمة جداً بانكم تحافظون على الوطن محافظة ابائكم وجدودكم العظماء وانكم تقطعون بسيفكم العثماني البتار تلك الايدي الاثيمة التي امتدت الى حدودنا ومسقط رؤوس ابائنا وامهاتنا . لاجرم انكم ستكونون يا اعزائي خير اخوة متحدين وخير مثال لاخوانكم المجاهدين في طرابلس الغرب اولئك الذين اظهروا بسالة ادهشت العالم وبينوا لنا وللانسانية عامة انهم خير خلف لابائهم . فانا واثق ان ارواح ابائكم الطاهرة ستباركم اذا اضفتم الى ظفرهم ظفراً جديد بحماستكم وشجاعتكم المشهورة . واسأل الله تعالى ان يكتب النصر لكم ويبهج العثمانيين جميعاً بفتوحاتكم الجديدة انه اكرم مسؤول

محمد رشاد

الفصل السابع

الجيش البلغاري

التجنيد

الخدمة العسكرية اجبارية في بلغاريا على كل بالغ من العشرين الى السادسة والاربعين .

ومدتها ست وعشرون سنة موزعة كما يأتي :

في الجيش النظامي سنتان في فرق المشاة وثلاث سنين في الفرق الاخرى . بيد ان هذه المدة هي اسمية فقط . اما في الحقيقة فلا تزيد في الاولى عن ١٨ شهراً وفي الثانية عن ٣٠ شهراً

في الاحتياطي ١٨ سنة في فرق المشاة و١٦ في الفرق الاخرى

الترتيب الاول من الميليس ٣ سنين في المشاة و٤ في سائر الفرق

الترتيب الثاني ثلاث سنين في كل الفرق

أما البدل العسكري النقدي فيستوفى من المسلمين فقط

ويبلغ ارباب الاسنان الذين تحق عليهم الخدمة في كل سنة تسعين الفاً يجند منهم الثلث فقط ويحال الثلثان الآخران على الاحتياط .

وتفادياً من ان تبقى الجنود الاحتياطية بدون تدريب وهي عليها المعول في الحرب تستدعى في كل سنة مدة تتراوح بين ١٠ و١٥ يوماً تدرب في خلالها على الفنون الحربية

وكانت الميزانية البلغارية العمومية في سنة ١٩١١ بالغة مئة وسبعين مليون كورون [1] خصص منها للجندية وحدها سبعة وثلاثون مليوناً ونصف مليون

المشاة

الجيش البلغاري في زمن السلم تسع فرق موزعة على ثلاث مفتشيات أو جيوش . الجيش الاول مركزه صوفيا عاصمة المملكة . والثاني مركزه ستارا زاكورا . والثالث مركزه روسجق

والفرقة في زمن السلم لواءان . واللواء آلايان . والآلاي طابوران . أما في زمن الحرب فتزاد الالوية وتتضاعف الطوابير . فلما قررت الحكومة البلغارية تعبئة الجيش جعلت الفرقة ثلاثة الوية وجعلت الالاي اربعة طوابير . فاصبح عدد المقاتلة في كل فرقة من فرق المشاة التسع اربعة وعشرين الفاً

ويلحق بالفرقة :

١ً — مدفعيتها . وهي اربعة بلوكات كل بلوك ثلاث بطاريات وكل بطارية اربعة مدافع . اما المدافع ففرنسوية في البلوكات الثلاثة التابعة للألوية النظامية ومن عيار ٧٥ مليمتراً . والمانية في البلوك الرابع التابع للواء الاحتياطي وهي من عيار ٨٨ سنتيمتراً من الطراز القديم

٢ً — فرسانها . وهم مبدئياً ثلاثة بلوكات . ولكن هذه البلوكات قابلة التغيير

(١) الكورون فرنك و ٥ سنتيمات

٣ — ممهدو الطرق وهم بلوكان

٤ — المهندسون ويؤلفون بلوكاً واحداً يتناول في الجملة رجال التلغراف والمركبات السيارة والهوائيين .

٥ — بلوك رجال الدرك (الجندرمة)

٦ — رجال الصحة ومستشفياتهم النقالة

٧ — مركبات الذخيرة والمؤن

٨ — الهيئة الادارية

وهذا بيان مستوف لكيفية توزع الفرق التسع مع تبيين ارقام آلاياتها النظامية والاحتياطية والمدفعية واحداً واحداً

الفرقة الاولى . صوفيا

اللواء الاول	الالايان ١ و ٦
« الثاني	« ١٦ و ٢٥
لواء الاحتياط	« ٣٧ و ٣٨
الاي المدفعية	الآلاي الرابع

الفرقة الثانية . فيلبي

اللواء الاول	الالايان ٩ و ٢١
« الثاني	« ٢٧ و ٢٨
لواء الاحتياط	« ٣٩ و ٤٠
الاي المدفعية	الآلاي الثالث

الفرقة الثالثة . سليفن

اللواء الاول	الالايان	١١ و ٣٢
« الثاني	«	٢٤ و ٢٩
لواء الاحتياط	«	٤١ و ٤٢
الاي المدفعية	الالاي السادس	

الفرقة الرابعة . شوملا

اللواء الاول	الالايان	٧ و ١٩
« الثاني	«	٨ و ٣١
لواء الاحتياط	«	٤٣ و ٤٤
الاي المدفعية	الالاي الخامس	

الفرقة الخامسة . روسجق

اللواء الاول	الالايان	٢ و ٥
« الثاني	«	١٨ و ٢٠
لواء الاحتياط	«	٤٥ و ٤٦
الاي المدفعية	الالاي الاول	

الفرقة السادسة . فراتزه

اللواء الاول	الالايان	٣ و ١٥
« الثاني	«	٣٥ و ٣٦

لواء الاحتياط	الالايان	٤٧ و ٤٨
الاي المدفعية	الالاي الثاني	

الفرقة السابعة . دوبنتزه

اللواء الاول	الالايان	١٢ و ٢٦
« الثاني	«	١٤ و ٢٢
لواء الاحتياط	«	٤٩ و ٥٠
الاي المدفعية	الالاي السابع	

الفرقة الثامنة . ستارا زاكورا

اللواء الاول	الالايان	١٠ و ٣٠
« الثاني	«	١٣ و ٢٣
لواء الاحتياط	«	٥١ و ٥٢
الاي المدفعية	الالاي الثامن	

الفرقة التاسعة . بلافنا

اللواء الاول	الالايان	٤ و ١٧
« الثاني	«	٣٣ و ٣٤
لواء الاحتياط	«	٥٣ و ٥٤
الاي المدفعية	الالاي التاسع	

وعلاوة على ما تقدم قد زيد الجيش البلغاري حين اعلان

للحرب فرقتان جديدتان . العاشرة والحادية عشرة . تألفت الاولى من لوائين من رجال الاحتياط الذين اقبلوا لحمل السلاح من كل صوب حتى زادوا كثيراً عن العدد المطلوب . وتألفت الثانية من ثلاثة الوية تناولت سائر الطوابير المحفوظة وبعض الكتائب المنتخبة من رجال الترتيب الاول . وكان معظم هولاء بين الثامنة والثلاثين والاربعين من سنيهم

اما سلاح المشاة فبندقية مانليشر وهذه ذات خمسة قراطيس من عيار ٨ مليمترات . ويحمل منها كل جندي مئة وخمسين .

الفرسان

تتألف فرقة الفرسان في زمن السلم من احد عشر الاياً . منها اربعة كل منها اربعة بلوكات وهي تؤلف فرقة الاستكشاف . وسبعة كل منها ثلاثة بلوكات وهي تؤلف كواكب السواري الموزعة على فرق المشاة . وتعززها بعض بلوكات احتياطية

بيد ان هذه الفرقة نالها نصيبها من التغيير فلم تبق على حالتها الاولى بل جعلت خمسة الايات . ثلاثة كل منها اربعة بلوكات . واثنان كل منها ثلاثة بلوكات . فالمجموع والحالة هذه ثمانية عشر بلوكا لم يكن لديها من رجال المدفعية الراكبين سوى الاي واحد مدافعه متراليوز مكسيم

ويركب فرسان البلغار الفرسان الروسية القوية ويحملون بندقية مانليشر القصيرة

المدفعية

قال الكولونيل بوكليل : « تتناول المدفعية الحربية تسعة الايات مدافع ميدان موزعة على اربعة بلوكات كل بلوك بطاريتان . وثلاثة الايات مدافع جبلية موزعة على ثلاثة بلوكات . وثلاثة طوابير قلاع وهناك ثلاثة الايات مدافع ميدان من عيار ١٢

وقال الكولونيل بتبرن — الذي شهد الوقائع الحربية بصفة مراسل لجريدة الالستراسيون — كان لكل فرقة من فرق الجيش البلغاري مدفعية منقسمة الى اربعة بلوكات . اما الفرق التي كانت زاحفة في جهة جبال رودوب فكانت مستصحبة علاوة على ما تقدم نحو خمس عشرة بطارية من المدافع الفرنسوية السريعة

وفوق ذلك فقد جهزوا ثلاث بطاريات في كل بطارية اربعة مدافع من المدافع الثقيلة السريعة الانطلاق من عيار ١٢٠ مليمتراً

وكان مخصصاً لكل بطارية في زمن السلم خمسون جوادا روسياً كبيراً فلما اعلنت الحرب واعوزت البلغاريين الخيول استعاضوا عنها بفحول الجواميس فعاد استخدامها عليهم بفوائد كثيرة

الفصل الثامن

التعبئة البلغارية

اجرت الحكومة البلغارية في شهر ايلول (سبتمبر) من سنة ١٩١٢ تمرينات حربية مهمة في شمالي البلقان بين شوملا وتيرنوفو. فلما انتهت التمرينات لم يرجع الى الثكنات الا العدد القليل من الجنود. وكانت فرقة الفرسان — التي اشتركت بالتمرينات — في جملة الفرق المتخلفة

فلما كان الثلاثون من الشهر المذكور اصدرت حكومتا البلغار والصرب في وقت واحد امرهما بتعبئة الجيش. فقابلت الحكومة العثمانية أمر التعبئة بالقاء الحجز على العدد الحربية المشحونة الى الصرب[1] وعلى البواخر اليونانية التي كانت راسية في مواني البحر الاسود وبحر مرمرا[2] فاعتبر هذا الحجز تحرشاً وعدواناً وبدأت المناوشات بين خفراء الحدود من عثمانيين وبلغاريين وصربيين وكان ذلك قبل اعلان الحرب ببضعة عشر يوماً

(١) ضبط من هذه العدد ٤٠٣١ صندوقاً في كومانوفاو ١٩٨٢ في اسكوب و ٢٨٨٩ في سالونيك وكان فيها ٧٥ مدفعاً سريعاً ومدفعان جبليان وذخيرة لخمسة وثلاثين مدفعاً جبلياً و ٥٤ كيس بارود بلا دخان و ١١٥٠ كيس بارود اسود ومقدار كبير من الذخائر

(٢) تناول الحجز خمسين سفينة في البحر الاسود ومئة في بحر مرمرا

تجمع الجيوش واعلان الحرب

واستمرت الحكومة البلغارية مدة ثلاثة اسابيع باذلة همة لاتعرف الكلل في حشد جيوشها ونقلها الى الحدود بينا كانت فرقة الفرسان تهبط من شوملا الى الروملي تخفرها من الميمنة والميسرة البلوكات المعروفة ببلوكات خفر الحدود. فلما تمت التعبئة واصبح الجيش متأهباً للزحف قررت حكومة صوفيا اعلان الحرب

وكانت الوزارة العثمانية في الساعة التاسعة ونصف من صباح اليوم السابع عشر من شهر تشرين الاول (اكتوبر) قد اوعزت الى المسيو سرافوف المعتمد البلغاري في الاستانة باخذجواز السفر ومبارحة العاصمة فكان جواب المعتمد المذكور تسليم وزارة الخارجية العثمانية البلاغ البلغاري المؤذن باعلان الحرب

خطاب ملك بلغاريا

هذا تعريب الخطاب الذي وجهه الملك فردينان الى الامة البلغارية مكاشفاً اياها باعلان الحرب :

ايها البلغاريون

في خلال السنوات الخمس وعشرين التي مرت على تقلدي ازمة الملك لم آلُ جهداً في السير بالبلاد البلغارية في سبيل السلام والترقي ـ وكانت اماني الحارة منصرفة الى مواصلة المساعي الى تحقيق هذه

الغاية لولا ان العناية الالهية دبرت غير ما اردت

دنت الساعة الموجبة على الامة البلغارية جمعاء ان توطن النفس على نبذ حسنات السلام والالتجاء الى السلاح في حل مسألة من اعقد المسائل

ان اخواننا في الدين وفي الدم المستوطنين في ما وراء جبال ريلو ورودوب كانوا اقل حظاً منا فهم بعد انقضاء خمس وثلاثين سنة على تحررنا نحن لم يتهيأ لهم الفوز براحة هم بها جديرون . وان كل المساعي التي بذلتها الدول الاوربية أو التي بذلتها الحكومة البلغارية لم تستطع ان تضمن لهؤلاء المسيحيين حقوقهم المشروعة وحريتهم

على ان قلوبنا لا تستطيع أن تبقى غير متأثرة بعبرات هؤلاء الملايين من المسيحيين المستعبدين في البلقان وغير متأثرة بتظلماتهم . ألسنا نحن اخوانهم ؟ أو لسنا نحن مدينين بحريتنا وراحتنا لنقذتنا المسيحية ؟

ان الامة البلغارية لتتذكر الكلمات التي تنبأ بها القيصر المنقذ والعمل المقدس لا بد من اتمامه . وان غيرتنا على السلام قد اضمحلت ولم يبق لنا غير وسيلة واحدة لاستخلاص الامم المسيحية من تحت نير الاتراك الا وهي حمل السلاح . بهذه الوسيلة وحدها نستطيع ان نضمن لهم صيانة راحتهم واملاكهم

بل ان الفوضى في البلاد العثمانية لتهددنا نحن ايضاً . فبعد مذابح اشتب ومذابح كوتشانا سألنا الحكومة التركية اقامة العدل

وضمان الراحة في المستقبل فأمرت بتعبئة جيوشها فبيل الصبر ورأيت ان العواطف الانسانية والدينية والواجب المقدس — واجب مناصرة اخوان يتهددهم الاضمحلال — والشرف الوطني كل ذلك يقضي علي ان ادعو الامة الى حمل السلاح

• إن غايتنا عادلة وعظيمة ومقدسة فانا بعد الاتكال على الله القادر على كل شيء الذي أثق بحمايته لنا وعدم اهماله ايانا اعلن الامة البلغارية ان الحرب لتحرير المسيحيين قد اعلنت على تركيا

وسيكون الى جانبنا كل من جيوش الحكومات البلقانية المحالفة لبلغاريا الصرب واليونان والجبل الاسود — مقاتلة في سبيل الغاية نفسها

ولنا رجاء في ابنا في هذه الحرب التي يشهرها الصليب على الهلال والحرية على الظلم لا نحرم عطف انصار العدالة ومحبي الترقي

قدر الله للجندي البلغاري الشجاع الذي تعضده تلك العواطف أن يتذكر مآثر اجداده المشهورة ويقتدي ببسالة مدربيه الروسيين المنقذين فيسير من نصر الى نصر. الى الامام والله معنا (م)

مواقف الجيوش البلغارية

هذا بيان مواقف الجيوش البلغارية يوم اعلان الحرب

الجيش الاول

هو جيش القلب . وقوامه ثلاث فرق : الاولى والثالثة والعاشرة

وكان معهوداً في قيادته الى الجنرال كوتشيف ورئيس اركان حربه الكولونيل بابابوف فجعل معسكره العام في كرك اغاج

الجيش الثاني

وهو جيش الميمنة وقوامه ثلاث فرق الثانية والثامنة والتاسعة . وكانت قيادته في عهدة الجنرال ايفانوف ورئيس اركان حربه الكولونيل جيكوف فجعل معسكره العام في تيرنوفو سايمن . على ان الفرقة الثانية ابقيت في هاسكوى ولم تلحق في بدء الحرب بجيشها

الجيش الثالث

وهو جيش الميسرة وقوامه ثلاث فرق : الرابعة والخامسة والسادسة وتولى قيادته الجنرال رادكو ديمترياف ورئيس اركان حربه الكولونيل جوستوف وجعل معسكره العام في جبول

وقد انضمت الى هذا الجيش فرقة الفرسان المستقلة بقيادة الجنرال نازليوف وكانت مرابطة جنوباً في ضواحي كاي يلار

بقيت فرقتان أخريان لم تنضما الى احد هذه الجيوش الثلاثة . احداهما الفرقة السابعة بقيادة الجنرال بتروف . وقد ابقيت في قسطنجيل مع متطوعة المقدونيين [1] وثانيتهما الفرقة الحادية عشرة

(١) لا يسعنا الا ان نشير في هذا الموضع الى امر يتعلق بهؤلاء المتطوعة من المقدونيين . فان الحكومة البلغارية منذ باشرت بتعبئة

التي عهد في قيادتها الى الجنرال فتشيف وقد أبقيت في فيلبي

القيادة العامة

كان متولياً قيادة الجيش العامة الاسمية الملك فرديناند قيصر البلغار نفسه . فجعل المعسكر الملكي العام في ستارا زاكورا وجاء اليه منذ ١٤ تشرين الاول أي قبل اعلان الحرب باربعة ايام . اما القيادة العامة الفعلية فكانت في عهدة الجنرال سافوف الذي كانت للبلغاريين في كفاءته ثقة عمياء . ورئيس اركان حربه الجنرال فتشيف

تحوطات الجنرال سافوف

لما أتمت هيأة اركان الحرب البلغارية تعبئتها وجهت عنايتها الى تغطيتها . فان الجنرال سافوف خشي ان يباغت الفرسان العثمانيون طلائع جيوشه وكانت لهم في تراقية خمسة الوية فرسان (أي نحو عشرة آلاف حسام) وكان الفيلقان الثالث والرابع قريبين من الحدود في قرق كليسة وادرنه . وكان البلغاريون لا يزالون جاهلين

الجيش استعداداً لهذه الحرب التي اثارت المطامع غبارها لم تغفل عن استقدام نحو عشرين الفاً من المقدونيين الى عاصمتها فوزعت عليهم الاسلحة والمؤن وتولت تدريبهم على الاساليب العسكرية الاولية . وانتدبت لهم ضباطاً خصوصيين سواء كانوا من ضباط الاحتياط او من النظاميين الذين تجمعهم بالمقدونيين جامعة نسب او مصلحة ما . فكان لها منهم جيش لا تقل منفعته لها عن منفعة اهم فرقها النظامية

في ذلك الوقت قوة هذين الفيلقين الحقيقية ولئن كانوا غير مرتابين في انها عززت في الاونة الاخيرة تحت حجاب التمرينات

آلايات التغطية

وكان لدى البغاريين احد عشر الاي فرسان فارسلت كلها الى الحدود الا واحداً ابقي في جنوبي صوفيا مع الفرقة السابعة (دوبنتزا) وكان ذلك قبل صدور امر التعبئة العامة . اما قوات هذه الآلايات العشرة فكانت : ١ً فرقة ذات اربعة وعشرين بلوكا قوامها ٣٥٠٠ حسام يقودها الجنرال نازلبيموف مفتش الفرسان . ٢ً لواء مؤلف من تسعة بلوكات بقيادة الكولونيل تانيف . فعهد الى الفرقة بمراقبة ضواحي قرق كليسة وشمالي ادرنه . وعهد الى اللواء بمثل هذه المهمة في وادي مارتزا . وعلى هذه الصورة اصبحت بلغاريا في اقل من اسبوع بمأمن من ان تباغت على حين غرة

الفصل التاسع

تأهبات الوزارة البلغارية

مؤتمر بلغاري في عاصمة النمسا

في التاسع والعشرين من شهر ايلول سنة ١٩١١ زار الكونت بوسداري المعتمد الايطالي في صوفيا المسيو تيودور تيودوروف وزير

مالية بلغارية ووزكيل وزارة الخارجية (بسبب تغيب رئيسها المسيو غيشوف في فينا) وكاشفه باعلان الدولة الايطالية الحرب على الدولة العثمانية وأمل ان بلغاريا تحترم في اثناء هذه الحرب قاعدة الستاتوكو (حفظ الحالة الحاضرة) فكان جواب الوزير البلغاري له : لا جرم اننا سنمشي على آثاركم ...

وادرك المسيو غيشوف حرج الحالة السياسية فجمع في العاصمة النمسوية سفراء بلغاريا الاربعة في باريز وفينا وروما وبرلين وهم ستانسيوف وسلاباشيف وريزوف وغيشوف (ابن عمه) واستنزل اراءهم في امر حرب تخوض بلغاريا غمارها . فكان اول المتكلمين سلابشيف سفير فينا فارتأى ان بلغاريا اضاعت في سنة ١٩٠٨—٠٩ الفرصة الموافقة . اما الآن فان علاقات بلغاريا السياسية مع الحكومات البلقانية لا تسوغ لها الاشتباك بحرب مع الدولة العثمانية

وشاركه في هذا الرأي المسيو غيشوف سفير برلين (وهو الذي كان سفيراً في الاستانة وكانت له المساعي المعروفة في توثيق اسباب الجفاء بين الدولتين توصلاً الى اعلان الحرب) وقال ان اعلان الحرب بعد تصريح الدول العظمى بوجوب مراعاة قاعدة الستاتوكو لا يعود باقل فائدة

اما سفير باريز الدكتور ستانسيوف فخالفهما وقال ان بلاغ الدول العظمى بخصوص حفظ الستاتوكو لا يجب اعتباره اكثر مما يستحق خصوصاً ان واحدة من تلك الدول وهي ايطاليا على وشك أن تعبث

بتلك القاعدة ...

وأيد المسيو ريزوف هذا الرأي فقال ان الفرصة التي سنحت لنا في سنة ٠٩ — ١٩٠٨ قد فاتتنا ولن تعود . وكذلك ستنقضي الحرب الطرابلسية ويتجدد على اخواننا المقدونيين عهد الاستعباد ويذهب الدم المهراق هدراً . ولا تعدم تركيا في خلال ذلك وسيلة لاستحصال المال اللازم لانشاء السكك الحديدية الحربية وتعزيز جنديتها فتجتاح بلغاريا الجنوبية ويسوء المصير . ولا تتكلن على الدول العظمى فانها في تلك الساعة تنبذنا نبذ النواة . أما الآن فان تركيا بادية مقاتلها لنا فلنضربها قبل أن تضربنا

ثم اوضح ريزوف لزملائه اهمية الاتحاد مع الحكومات البلقانية فهي وان كانت على غير وفاق مع بلغاريا فلا تدع هذه الفرصة تفوتها للانقضاض على العدو العام

أما رئيس الوزارة فلم يبد رأيه الخاص الى ان عاد الى صوفيا فوجد الرأي العام كالمرجل في اشد غليانه فان الامة كلها كانت تريد الحرب

الوزارة البلغارية

على أثر اعلان بلغاريا استقلالها والمناداة بالبرنس فردينان ملكا في ١٥ ت ١ سنة ١٩٠٨ كانت الوزارة البلغارية في عهدة المسيو مالينوف وكان متبعاً سياسة سلبية ائتماراً بنصائح المسيو اسفولسكي وزير خارجية

روسيا . بيد ان سياسته هذه لم ترق لمعظم الامة الراغبة في الحرب فاوعز اليه الملك فرديناند ان يستقيل ثم جمع رجال الحزبين الوطني والتجاحي يوماً لم تأليف وزارة مختلطة فاختاروا لرئاستها المسيو ستراتياف غيشوف زعيم الحزب الوطني لما هو معروف من حنكته وسداد رأيه. وأبى الدكتور دانيف زعيم الحزب التجاحي أن يدخل بنفسه في الوزارة فدس فيها اربعة من مريديه وتولى هو رئاسة مجلس الصبرانية (النواب) وكانت الوزارات المهمة في عهدة رجال الحزب الوطني فكان في وزارة الخارجية المسيو غيشوف رئيس الوزارة نفسه وفي وزارة المالية المسيو تيودوروف وفي وزارة الحربية الجنرال نيكيفوروف

ولا بأس أن نأتي في هذا الموضع بكلمة موجزة عن كل من هؤلاء الوزراء الثلاثة :

المسيو غيشوف

ستراتياف غيشوف رئيس الوزارة البلغارية ووزير خارجيتها يناهز الستين من العمر وينتمي الى أسرة روملية من أعرق الاسر البلغارية اليوم وأغناها . عرف في أول امره شاعراً مجيداً ثم مالياً خبيراً وتولى ادارة بيت المال في ولاية الروملي في عهد خرستوفتش باشا . فلما ضمت الروملي الى بلغاريا شخص الى صوفيا فعرف فيها سياسياً محنكاً ولم يلبث ان تولى رئاسة الحزب الوطني . ولما عقد الصلح بين بلغاريا والصرب عين معتمداً سياسياً في بكرش فكان له شأن هام في المفاوضات

وكان في بدء توليه الاحكام ميالاً الى المسالمة والى الاتفاق مع تركيا . فلما رأى الامة كلها راغبة في الحرب اعدَّ لها عدتها اللازمة

ومما اتفق لرئيس الوزارة البلغارية انه حبس في فيلبي في شهر ايلول سنة ١٨٧٧ وحكم عليه بالاعدام بسبب فصول نشرها في جريدة التيمس واذاع فيها فظائع ارتكبها الاتراك في خلال سنة ١٨٧٦ ولم ينج من الموت الا بمساعي قنصل انكلترا فيها

المسيو تيودوروف

المسيو تيودوروف وزير مالية بلغاريا يناهز الخامسة والخمسين من سنه وهو من اعلام الحزب الوطني . وهو خطيب مصقع —ويلقبونه « بالنمر » لاندفاعه وشدة تحمسه — قضى سني صباه في باريز وعاد الى بلغاريا بعد ان كان جاوز الثلاثين فتولى رئاسة مجلس النواب سنة ١٨٩٤ ثم بعد سنتين جعل وزيراً للمالية للمرة الاولى فسعى بمساعدة زميله مجاروف وزير السكك الحديدية في تمديد الخطوط في جميع انحاء البلاد فكانت مورد ثروة لا ينفد

ولما دعاه غيشوف لتولي وزارة المالية بذل جهده في اعداد المال اللازم للحرب المقبلة بدون مساعدة خارجية فنجح . ومن اقواله : ان الفلاح عندنا ملاَّك ومواسم السنين الماضية كانت مقبلة ومتى جاء منتصف تشرين الاول ينتهي من كل عمل تقريباً ويبدأ باكل ما يكون قد اعدَّه للشتاء . فاذا نشبت الحرب فلا خسارة عليه واذا

ضبط شيء من ماشيته نال بعد الحرب تعويضاً حسناً . فضلاً عن ان الحكومة تضمن له غذاءه وكسوته »

الجنرال نيكيفوروف

الجنرال نيكيفوروف وزير حربية بلغاريا في الرابعة والخمسين من سنيه تخرج في المكتب العسكري في صوفيا فنال رتبة ملازم . وكان له في الحرب البلغارية الصربية بلاء حسن . وما زال يترقى في مناصب الجندية حتى بلغ اعظمها وهو منصب وزارة الحربية . فلما اعلنت الحرب كان قد اعدّ لها بالاشتراك مع زميله وزير المالية كل ما يستطيع من قوة

الفصل العاشر

قواد الجيش البلغاري

قلنا ان القيادة العامة في الجيش كانت في عهدة الملك فرديناند بمعاونة الجنرال سافوف . ونحن موردون في هذا الموضع بالايجاز تراجم الملك وقواد جيشه .

الملك فرديناند

هو البرنس فرديناند نجل البرنس دي سكس غو بورغوتا والبرنسيس ماتيلد كليمانتين دورليان كريمة الملك لويس فليب . فهو الثاني من

جهة ابيه وفرنسوي من جهة امه

ولد في فينا سنة ١٨٦١ وتلقى العلم في أكاديمي ماري تيريز . وفيها تلقى مبادىء اللغة البلغارية على يد رفيقه في المدرسة ستانسيوف (وهو اليوم سفير بلغاريا في باريز) فلما استدعي لتولي امارة بلغاريا سنة ١٨٨٧ كان ملماً بعض المام بلغة بلاده الجديدة وعاداتها وكان ابن خمس وعشرين

وكانت روسيا في بدء توليه غير راغبة فيه لانها كانت تود اسناد منصب الامارة الى امير روسي . بيد ان البرنس فردينان استطاع ان يذلل تلك الصعوبات بهمته الشماء وحسن سياسته فاصبح خصومه الاولون من اكبر انصاره واشدهم وفاء له واخلاصاً في خدمته . حتى ان كرافيلوف البلغاري الذي كان مشهوراً بعداوته للامير لم يسعه الا ان يقول ذات يوم : عندنا امير من الطبقة الاولى

وفي سنة ١٨٩٣ اقترن الامير فردينان بالاميرة ماري لويز دي برم ورزق منها غلامين وفتاتين . على ان هذا الزواج اغضب روسيا لان الاميرة كانت كاثوليكية فسعى البرنس فردينان في ان ينشأ ولي عهده البرنس بوريس على المذهب الارثوذكسي فاعترفت به روسيا حالاً ثم تبعتها الدول الاخرى

وفي السنة نفسها زار البرنس فردينان السلطان عبد الحميد في عاصمة السلطنة فاستقبل استقبالاً فخماً

ثم توالت الحوادث السياسية التي المعنا اليها في الفصول الآنفة

وتلاها اعلان الدستور العثماني فانتهزت بلغاريا الفرصة واعلنت استقلالها التام ونادت بالامير فردينان ملكاً وكان ذلك في خامس تشرين الاول (اكتوبر) من سنة ١٩٠٨ في مدينة تيرنوفا (١) عاصمة بلغاريا القديمة

الجنرال سافوف

قائد الجيوش البلغارية العام

ولد في ١٤ ت ٢ (نوفمبر) سنة ١٨٥٧ في بلدة سكوفو على الحدود العثمانية وتلقى دروسه العسكرية في المكتب البلغاري في صوفيا . فنال سنة ١٨٧٩ رتبة ملازم في المدفعية ثم شخص الى بطرسبرج سنة ١٨٨٣ فأتم دروسه في مكتب اركان الحرب . وبعد ان شهد التمرينات الحديثة في فرنسا والنمسا وسواها غير مرة اعلنت الحرب بين بلغاريا والصرب فشهد معركة سليفنترا برتبة كابتن (يوزباشي) وخرج منها برتبة ماجور (بنباشي)

(١) افتتح هذه المدينة في ١٧ تموز (يوليو) من سنة ١٣٩٣ جلبي افندي نجل السلطان بيازيد بعد ان حاصر قلعتها ثلاثة اشهر وكانت مقراً لرئيس اساقفة تعينه بطريركية الفنار الى ان صدر في ١٦ ايار (مايو) ١٨٧٣ فرمان همايوني يجعلها كرسياً لاكسرخسية بلغارية مستقلة عن بطريركية القسطنطينية اليونانية

وتوفي بعد حين الكولونل موتكوروف ناظر الحربية فقلدها البرنس فردينان لسافوف فتولاها خمس سنين نظم في خلالها المدفعية تنظيماً حسناً . ثم استقال قبل سقوط ستمبولوف بيوم واحد وشخص الى اوربا ثم زار بلاد البلقان والبلاد العثمانية الى أن تولى ستويلوف الوزارة بعد ثلاث سنين فانتدبه لرئاسة المكتب العسكري البلغاري فاستمر فيها ثماني سنوات واعتنى بنوع خاص بتحريض الطلبة — وهم ضباط المستقبل — على أن تكون وجهتهم دائماً تحرير مقدونيا

وفي سنة ۱۹۰۳ تولى نظارة الحربية ثانية في وزارة الجنرال بتروف فكانت مساعيه منصرفة في مدة السنوات الخمس الى أخذ الاهبة لحرب مع تركيا . وبذل في هذا السبيل مبالغ طائلة فقامت عليه قيامة الحزب المضاد فجاء بمجلس النواب والقى خطبة استمرت ست ساعات اعجب بها خصومه انفسهم وسلموا له تسليم الاعمى

وقد اخرجته سنة منذ حين من الخدمة النظامية فلما اعلنت الحرب القيت اليه مقاليد القيادة العامة لثقة ضباط الجيش كلهم فيه

الجنرال فتشيف

رئيس اركان الحرب

ولد في تير نوفو سنة ۱۸٦۰ وشهد الحرب البلغارية-الصربية فكوفئ على شجاعته برتبة ملازم (۱۸۸٥) . وبعد الحرب ارسل

الى تورين (ايطاليا) التخرج في كليتها الحربية العليا (وكان فيها رفيقاً لمحمود مختار باشا) فنبغ في الانشاء العسكري بنوع خاص وعين رئيس ديوان نظارة الحربية . وله مؤلفات عسكرية كثيرة ثم تقلب في وظائف الجيش وقيادة الفرق الى سنة ١٩٠٨ فعين رئيساً لاركان الحرب فاهتم في امرين تثقيف ضباط اركان الحرب واعداد خطة حربية لمناجزة تركيا . وصرف اهتمامه الى درس مقتضيات الحصار لانه استدرك أن الحرب مع تركيا صائرة لا محالة وأن ادرنة لا بد من محاصرتها حصاراً شديداً

الجنرال بتروف

قائد الجيش الاحتياطي

سياسي حازم وقائد مجرب . ولد في شوملا سنة ١٨٦٢ وتخرج في مدرسة اركان الحرب في بطرسبرج . واقرب الادلة على نبوغه توليه رئاسة اركان الحرب العامة في الحرب البلغارية الصربية على حداثة سنه . وهو أول من تولى هذا المنصب في بلغاريا وتولى وزارة الحربية في وزارة ستويلوف ولكنه لم يلبث ان استقال لعدم استصوابه سياسة التزلف الى روسيا وعدم رغبته في الوقت نفسه في اغضاب هذه الدولة

وعهد اليه مرتين في رئاسة الوزارة . وكان وزير حربيته في المرة الثانية الجنرال سافوف فاستعد لحرب مع تركيا كان في النية

اعلانها سنة ١٩٠٦ لولا تدخل الدول

وقد اصحبه الملك فردينان في هذه الحرب بنجليه البرنس بوريس ولي العهد والبرنس سيريل

الجنرال ديمترياف

قائد الجيش الثالث

ولد في غرتز سنة ١٨٥٩ وتخرج في المكتب العسكري البلغاري فلما أعلن البرنس اسكندر ضم الروملي الشرقية الى بلغاريا كان الكابيتين ديمترياف بمعظم الجيش على الحدود . ولكن بدلاً من ان تشتبك الحرب مع تركيا اشتبكت مع الصرب . ولم تكن في بلغاريا خطوط حديدية لنقل الجيش من الجنوب الى الشمال الغربي فزحف ديمترياف بجيشه مواصلاً السير بالسرى فوصل الى ميدان القتال حين اشتباك المعركة الكبرى فانجد الجناح البلغاري الايسر وكان الفوز الى جانبه

ولما قام البلغاريون — باغراء روسيا — على البرنس اسكندر هاجر ديمترياف الى روسيا وبقي في جيشها عشر سنوات . فلما قامت وزارة ستويلوف وكانت مصافية لروسيا عاد الى صوفيا وعين رئيساً لاركان الحرب (١٩٠٢) وبدأ باعداد خطة هجوميـة للحرب المقبلة ثم عاد حزب ستمبولوف الى تولي الاحكام وكان مقاوماً لعودة المهاجرين فاستقال ديمترياف ولكنه لم يلبث ان عين مفتشاً للجيش

الثالث فعاد الى سابق امره من اعداد معدات الحرب المقبلة واهتم بالتمرينات العسكرية كثيراً . وكانت تمرينات سنة ١٩١٢ اكثر مشقة واصعب مراساً منها في السنوات السالفة . وكان ديمترياف متولياً قيادة الجيش المهاجم شوملا فتمكن من اخذها قبل يومين من الميعاد المضروب له . على ان هذه المعركة الوهمية كانت رمزاً للمعركة الحقيقية التي كان هذا القائد مزمعاً ان يخوض غمراتها بعد اسبوعين واتخذت فيها شوملا بديلاً من قرق كليسة . . .

الجنرال كوتنتشيف

قائد الجيش الاول

قائد مجرب له بين جنوده حرمة واعتبار . ولد سنة ١٨٥٧ في روسجق وتولى في الحرب الصربية قيادة طابور فابلى بلاء حسناً . وقد عرفت كفاءته فعهد اليه في هذه الحرب بقيادة الجيش الاول

الجنرال ايفانوف

قائد الجيش الثاني

ولد في كالوز سنة ١٨٦١ وتخرج في المكتب العسكري في صوفيا . وكان في الحرب الصربية ملازماً . وما زال يرقى في رتب الجندية حتى تولى وزارة الحربية في وزارة ستويلوف فاتم ما كان بدأ به سلفه الجنرال بتروف من تنظيم الجيش

الفصل الحادي عشر

الوقائع البلغارية الاولى

خطة البلغاريين

كانت هيأة اركان الحرب البلغارية واقفة تم الوقوف على حقيقة الحالة في البلاد العثمانية وعالمة حق العلم ببطء التعبئة في الجندية العثمانية من جهة وبسوء حالة الحصون التي تحمي قرق كليسة من جهة ثانية وبمناعة القلاع التي تحمي ادرنة من جهة ثالثة . ولذلك صحت عزيمتها على ان تنهج الخطة الحربية التالية :

يزحف جيش القلب الاول على ادرنة رأساً . ثم يزحف جيش الميسرة الثالث على لوزنكراد (وهو اسم قرق كليسة بعرف البلغاريين وبينما الجيشان الاول والثالث يهاجمان الموقعين يلتف جيش الميمنة (الثاني) على الميسرة العثمانية في ادرنه جنوباً متتبعاً مجرى نهر مارتزا

هذه كانت خطة البلغاريين الرئيسية . ولكن لما تم لهم الفوز السريع غير المتوقع في قرق كليسة وضواحيها رأوا ان ينهجوا خطة جديدة . ومن ذلك اليوم فقط قرروا ان تزحف الميسرة البلغارية على الاستانة رأساً

وكان متحتماً على الجيش البلغاري الثاني ان يبقى من جهة متصلاً بالجيش الاول الزاحف من ضفتي نهر طونجه وان يعنى من جهة

اخرى بتطهير ضواحي اردا ورودوب من مسلمي البلغاريين الذين كشروا عن انيابهم في مقاطعة تومبريج والاستيلاء على اودية قراصو وأردا العليا ثم الالتفاف على نهر مارتزا بين ديموتيكا وأدرنه

وكانت حركة الجنود البلغارية هذه متصلة بجيوش الصرب واليونان الزاحفة في الجهة الغربية والجهة الجنوبية الغربية وكانت الصلة بينها الفرقة السابعة المستقلة التي عهد اليها — بالاشتراك مع متطوعة المقدونيين — بالتطواف في جبال رودوب المقدونية ومطاردة العصابات العثمانية بحيث لا تكون عثرة في طريق الجيوش الزاحفة . ثم الاتجا[ه] جهة سيروز على الخط الحديدي الذاهب من سلانيك الى الاستان[ة]

الخدعة الكبرى

كتمت هيأة اركان الحرب خطتها الحربية الى آخر ساعة فبق[ي] سرها مكتوماً حتى عن قواد الفرق . ولم يكفها ذلك بل امر[ت] باجراء حركات حربية غير حقيقية موّهت بها على البلغاريين والعثمانيين معاً فظنوا ان الزحف سيجري كما توهمته نظارة الحربية العثمانية [في] التمرينات العسكرية الكبرى التي اجرتها سنة ١٩١٠ فانخدع العثمانيو[ن] وكلفهم انخداعهم هذا كثيراً

التمرينات العثمانية

قال مكاتب التيمس في الجيش البلغاري : في سنة ١٩١٠ قا[م] الجيش البلغاري بتمرينات كبرى وكانت خطته فيها كما يلي : افترض

العدو — وكان ممثلاً بجيش ازرق — مجتازاً الحدود في ثلاثة جيوش فحاصر ادرنه بواحد وزحف على الاستانة بالاثنين الباقيين الاول من جنوبي ادرنة والثاني من شماليها ثم التقيا على الخط الحديدي بين حفصة وديمونيكا لمهاجمة الجيش الاحمر الذي افترض وجوده في ضواحي لوله برغاس . وكان عبد الله باشا متولياً قيادة الجيش الازرق وزكي باشا متولياً قيادةالجيش الاحمر. والذي يظهر انالمرشال الالماني فون درغولتز باشا مدير التمرينات ومحمود شوكت باشا ناظر الحربية لم يعتقدا بان في استطاعة جيش كبير ان يجتاز الحدود من البقعة القائمة بين وادي الطونجه والبحر الاسود لاستحالة اجتيازها كما هو مشهور . وا كتفيا باجراء بعض تعديلات في الخطة الدفاعية وبانشاء خطوط حديدية بين مندره وقرق كليسة

السر البلغاري الكبير

وادرك البلغاريون افكار العثمانيين فنيت هيأة اركان الحرب بتثبيتهم في اوهامهم واوعزت الى الجيش الثاني الموكول اليه امر حصار ادرنة بالاحتشاد في هرمنلي والى الجيش الاول المتوهم زحفه من جنوبي ادرنة — بموافاة هاسكوفو . بهذين الامرين موه البلغاريون على الجواسيس العثمانيين وعلى المأمورين العسكريين والمراسلين الحربيين . وباشروا فعلاً بنقل الجنود على هذه الصورة . بيد ان طوابير الجيش الاول كانت حين وصولها الى هاسكوفو تؤمر بالبقاء

في القطارات فلا تلبث ان تستأنف بها السير في جهة جبول او يمبولي

وبين هذا وذاك كان البلغاريون قد حشدوا جيشهم الثالث بعيداً عن الحدود . فزحفت الفرقتان الرابعة والخامسة منه على الاقدام (لان السكة الحديدية بين تيرنوفو وستارازا كورا كانت لم تنجز بعد حين اعلان الحرب) اما الفرقة السادسة فاتجهت في القطر الحديدي جهة سرمنلي بطريق صوفيا ثم من سرمنلي الى سترالجه . وكان ضباطها حتى آخر ساعة يعتقدون انهم لاحقون بالجيش الاول في هاسكوفو فبوغتوا بهذا السر مباغتة وكان اكثرهم استغراباً الضباط العثمانيون الذين لم تكن دهشتهم من سرعة تعبئة الجيش البلغاري وسرعة احتشاده باقل من دهشتهم من ظهور جيش جديد لا يقل عن مئة الف مقاتل زاحف من وجهة غير متوقعة (١)

القوات العثمانية المدافعة

قلنا في الفصل الرابع ان الجيش العثماني النظامي الاول يؤلف

---

(١) خالف مكاتب التيمس في الجيش العثماني زميله في هذا الصدد واثبت ان ناظم باشا كان عالماً ان جهد البلغاريين سيكون منصرفاً قبل كل شيء الى مهاجمة قرق كليسه

من اربعة فيالق : الاول مركزه الاستانة . والثاني مركزه رودستو . والثالث مركزه قرق كليسة . والرابع مركزه ادرنه. وكل فيلق يؤلف من ثلاث فرق والاي رماة

ثم يلحق بهذه الفيالق : ثماني فرق رديف . منها اثنتان من رديف الاستانة وقد ارسلتا الى ميدان القتال حالا . وست من رديف اسيا الصغرى (هركلة . قسطموني . انقره . اوشاق . ازمير . افيون قره حصار) وهذه تأخر وصولها حيناً . على ان بعض اقسام منها شهدت موقعة قرق كليسة وكانت معبأة باسم الفيلق السادس عشر . اما الاقسام الاخرى فلم تصل الى ميدان القتال الا بعد معركة لولي برغاس

هذه القوات المنتشرة بين ادرنه وقرق كليسة وديموتيكا ولولو برغاس والتي جرى احتشادها ببطء كلي كانت تحميها قلاع المدينتين الاولين واستحكاماتها ولم يكن امامها سوى بضع كتائب وفرقة من الفرسان كان معظم قوتها في الجهة الشمالية الغربية من قرق كليسة

القواد العثمانيون

وكانت القيادة الرئيسية العليا في عهدة الفريق ناظم باشا وزير الحربية . والقيادة العامة في ميدان القتال في عهدة الفريق عبد الله باشا . واما قواد الفيالق فهذه اسماؤهم مع بيان مواقف جيوشهم (١)

---

(١) الحرب البلقانية للكولونيل بوكابيل

الفيلق الاول بقيادة الفريق ياور باشا وكان في جنوبي غربي قرق كليسة في ضواحي قواقلي وبنيجة

الفيلق الثاني بقيادة الفريق شوكت طورغود باشا وكان بين تركيه وقره اغاج

الفيلق الثالث بقيادة الفريق محمود مختار باشا وكان في بونارحصار

الفيلق الرابع وكانت منه فرقتان بقيادة الفريق عبوق باشا في لوله برغاس

وقائع الجيش البلغاري الاول

لما اعلنت الحرب كان الجيش البلغاري الاول مرابطاً على مقربة من الحدود على ضفتي الطونجه فكانت الفرقة الثالثة على ضفة النهر اليمنى والفرقة الاولى على الضفة اليسرى وتليهما الفرقة العاشرة في الخط الثاني الى الشمال

واختار الجنرال كوتنتشيف ان يكون معسكره العام في كزل اغاج فاقام فيه مع اركان حربه

فلما كان التاسع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) بدأ بالزحف فاتبعت الفرقة الثالثة نهر الطونجه من الضفتين (وهذا النهر يجري الى ادرنه رأساً) وجعلت الفرقة الاولى وجهتها تشلي ملم مارة ببوجالك وفاسال . اما الفرقة العاشرة فاستمرت في الخط الثاني مقتفية اثر الفرقة الاولى

معركة سليولو

وكانت همزة الوصل بين فرق الجيش الاول وفرق الجيش الثالث الزاحف بقيادة الجنرال ديمتريافي فرقة الفرسان بقيادة الجنرال نازليموف . فلما بلغت هذه الفرقة فسال التقت بطابور عثماني تحميه بطارية مدفعية و بعض بلوكات السواري فاشتبك الفريقان . وعضد الفرسان البلغاريين احد طوابير الالاي الاول (من الفرقة الاولى) فانسحب العثمانيون . ثم عاودوا الكرة في اليوم الثاني (٢٠ ت ١) فلقي حملتهم الاي المشاة الاول بتمامه فارتد العثمانيون في المساء الى تشل مسلم حيث كان قد وصل طابوران عثمانيان اخران

وتوقع البلغاريون هجوم العثمانيين فلم يفعلوا . بل كان الامر على عكس ما توقعوا فان الطوابير الثلاثة انسحبت ليلا بمدفعيتها الى الجنوب ويظهر ان البلغاريين لم يخطوا في ٢١ منه خطوة واحدة بغية تأثرهم

فلما كان ٢٢ منه استتبع الالاي البلغاري الاول الزحف الى الامام حتى اذا وصل الى ضواحي سليولو التقى بقوة عثمانية كبيرة منتشرة بين كرمتليجة وسليولو وجكنلي فالتحم معها بجملته

وقد كانت هذه المعركة حامية جداً ابلى فيها العثمانيون بلاء حسناً وامتازوا بنوع خاص بسداد رميهم واصابته . بيدان البلغاريين لم تؤذهم القذائف العثمانية كثيراً لصفاقة استحكاماتهم ومتانتها

واستمر الالاي البلغاري مقاتلاً النهار بطوله وفرسان الجنرال

لوزليوف يحمون ميسرته . فلما قاربت الشمس المغيب اقبل الالاي السادس لنجدته — فاصبحا لواء كاملا — واشتركت بالقتال في الوقت نفسه في جهة كزمتليجه طليعة السرية الاولى من الجيش الثالث (الذي كان انقسم الى اربعة صفوف او اربع سرايا على ما سيجيء وكانت السرية الاولى تشغل ميمنته) وقوامها اللواء الثاني من الفرقة الرابعة وفيه الالايان السادس والحادي والثلاثون

على ان خسارة الالاي الاول في هذه المعركة بلغت مئتين وخمسين قتيلا في جملتهم ثلاثة ضباط واحد منهم برتبة قائم مقام. ومع هذه الخسارة فان وصول الالاي السادس اغرى البلغاريين بان يهاجموا ليلاً المواقع العثمانية الواقعة في الجهة الغربية من سليولو. فلما كانت الساعة الحادية عشرة حملوا على العثمانيين حملة صادقة فكان الفوز حليفهم . ولما اصبح صباح ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) كان غير باق في المواقع العثمانية الا قوات ضعيفة تهيأ بكل سهولة للواء الاول من الفرقة البلغارية الاولى ان يصدها بمعاونة طليعة ميمنة الجيش الثالث وتمكنا في ٢٤ منه من الوصول الى امام جردلي وكوكيلر (وهما واقعتان في منتصف المسافة تقريباً بين ادرنه وقرق كليسة)

وكان في هذا الليل ما كان في قرق كليسة على ما سيأتي بيانه بالتفصيل فرأى المقاتلة العثمانيون ان دون الثبات عقبات لا سبيل الى تذليلها فانسحبوا في ثلاث جهات مختلفة الى ادرنة غربا والى باباسكي ولولي برغاس جنوباً والى بونار حصار شرقاً (١)

(١) تاريخ الحرب لضابط اركان الحرب دي بيتنبرن

ولخص الكولونيل بوكابيل وقائع الجيش البلغاري الاول قال :

جاز هذا الجيش الحدود في ١٨ و ١٩ ت ١ وزحف في خمسة صفوف بخطين متتابعين في وجهة دميركوي ولماتا بوسا كوى وحجي تالسيان وفاسال الفرقة الاولى الى الميسرة والفرقة الثالثة الى الميمنة فناوشت فرقة الفرسان العثمانية طلائعها محاولة عرقلة زحفها وتأخيرة

فبعد ظهر ٢٠ منه التقت طلائع الفرقة الاولى البلغارية في جنوبي فاسال بطابور عثماني فردته الى سليمن ثم الى تتالار . وفي ٢١ منه تألبت ثلاثة طوابير عثمانية ووقفت في وجه البلغاريين في جنوبي سايمن فصدوها الى ما وراء سليولو . وكانت الطليعة البلغارية قد واقتها نجدة واصبحت الاياً كاملا فضربت اطنابهـا على ضفاف النهرين ريسلجا وغوليمي فهاجمها العثمانيون في ٢٢ منه وكانوا قد جاءهم مدد من الجنوب واستمر القتال النهار كله دون ان ينال فريق من خصمه منالا . فلما كان الليل هاجم البلغاريون في ليلة حالكة الاديم وتحت امطار عرمرمية القوات العثمانية واشترك معهم في هذه الحملة الالايان الاول والسادس فارتد العثمانيون بغير انتظام بعضهم الى اسكي بابا وبعضهم الى قرق كليسة حيث شاركوا جنود الفيلق العثماني الاول في ذعرهم وتشتتهم ليلة ٢٣ — ٢٤ من ذلك الشهر

وفي ذينك اليومين (٢٢ و ٢٣ منه) توقفت ميمنة الفرقة الاولى (الالايان ٤١ و ٤٢) وميسرة الفرقة الثالثة من صد العثمانيين عن بروفوجه وكيبا ودمرانليجة رغم ما نالهم من فرقة الفرسان العثمانية

وفي ليلة ٢٢ منه وصل قلب الجيش الاول وميسرته الى الطريق المؤدية من ادرنة الى قرق كليسة مارة بكوكيلار . اما الجناح الايمن من الفرقة الثالثة فشرع بعد نجاح خفيف في شمال مراسيلر في اجتياز وادي برافودسنكا للاشتراك في مهاجمة ادرنة . كما ان فرقة من الخط الثاني استتبعت زحفها بطريق هاسكوى وكليزلي ووجهتها ادرنة ايضاً حيث تم حصار هذا الموقع المنيع من الجنوب والجنوب الغربي

الفصل الثاني عشر

وقائع الجيش البلغاري الثاني

بدأ الجيش البلغاري الثاني زحفه في التاسع عشر من الشهر بقيادة الجنرال ايفانوف من الجهة الجنوبية الشرقية على الترتيب التالي

زحفت الفرقة الثامنة من ضفة نهر مارتزه اليمنى مارة بهرمنلي ولوبيتز . وزحفت الفرقة التاسعة من الضفة اليسرى مارة بكوترخوسيلو وكريلوفو . وكانت متأخرة في سيرها عن رفيقتها الفرقة الثامنة مسافة غير قصيرة

معركة مصطفى باشا

وكانت الطلائع العثمانية مرابطة في الموضع المعروف بالحجر

الصحي وهو ملاصق للحدود فتبادلت مع الطلائع البلغارية بضع قنابل وقذائف ثم ارتدت بدون مقاومة الى مصطفى باشا حيث اشتبكت ثانية مع الالاي الثلاثين وهو الاي الطليعة البلغارية فصرع غير واحد من رجاله . ثم جاز العثمانيون نهر مارتزا — من الضفة اليمنى الى الضفة اليسرى — وحاولوا ان يهدموا بالديناميت الجسر المؤدي من محطة مصطفى باشا الى المدينة نفسها فلم يفلحوا في المرة الاولى . وقبل ان ينثنى لهم معاودة العمل فاجأهم بلوكان من فرسان الالاي الملكي فارتدوا بغير انتظام ودخل الفرسان البلغاريون مدينة مصطفى باشا على الاثر حيث غنموا مقادير كبيرة من المؤن وفي جملتها مئتا الف كيلو من الحنطة . وكان الملك فرديناند يشهد من فوق آكام بليتزه المعارك الحربية الاولى

وفي ٢٠ منه كانت الفرق التي جازت جبال ررودوب قد بلغت اودية بريكا لنتزه وستر ومه وقره صو . وكانت الفرقة السابعة قد استولت على موقع جمعه بينا كانت كتائب متفرقة من جنود الفرقة الثانية قد استولت على ممر قرج علي القائم على نهر اردا

معركة جورولك

واستمر جيش الجنرال ايفانوف في يومي ٢١ و ٢٢ منه زاحفاً الى ضفتي نهر مارتزه — الفرقة الثامنة جنوباً والفرقة التاسعة شمالاً — الى ان بلغ سلسلة الهضاب والآكام الواقعة الى الجهة الجنوبية من

بلدتي قاضي كوى و بولدور كوى حيث التقت طليعة الفرقة الثامنة بقوة عثمانية تقدر بفرقة كاملة فوقف البلغاريون في تلك الهضاب موقف الدفاع وتولى العثمانيون مهاجمتهم

بيد ان البلغاريين كانت تتوالى عليهم النجدات بدون انقطاع فتربص العثمانيون وتحصنوا في الموقع المعروف برقم ١٥٣

وكان نهر مارتزه على ميسرة الفريقين المتناجزين فلم يبق لهما منفسح الا الى الجنوب فوسع البلغاريون دائرة زحفهم وبالنظر الى وفرة عددهم صمموا على اجراء حركة التفافية حول العثمانيين بحيث يحصرونهم ضمن نطاق ضيق . وقد التقوا فعلاً في الموضع المعروف برقم ١٤٠ بلواء عثماني ذاهب في وجهة كوجونلي وقبل ان تتهيأ لهم مهاجمته باغتتهم الجنود العثمانية من موضعين مختلفين بهجمة عنيفة في الجهة الشمالية الغربية وكانت وجهتها بلدور كوى وقاضي كوى

وفي اثناء ذلك كانت الفرقة التاسعة البلغارية مستتبعة سيرها الى الضفة اليسرى من النهر . فلما وصلت الى المرتفعات المشرفة على قاضي كوى نصبت هناك بطارياتها واصلت العثمانيين الذين كانوا يهاجمون الفرقة الثامنة ناراً حامية فانسحبوا في الحال بدون انتظام الى تحصينات بيازيد تاركين في ميدان القتال مئات من القتلى والجرحى والفاً من الاسرى وكثيراً من الاسلحة والذخيرة في جملتها اربعة مدافع من عيار ٨٨ م

وانتهت المعركة بفوز البلغاريين قبل ان تتم الحركة الالتفافية التي

كانت باشرت بها ميمنتهم

على ان البلاغات الرسمية البلغارية تزعم ان العثمانيين الذين كانوا مرابطين في ٢١و٢٢ منه على ضفتي الطونجه الشرقية والغربية حاولوا اتخاذ خطة الهجوم فاندحروا شر اندحار وغنم البلغاريون منهم اثني عشر مدفعاً و ١٨ صندوق ذخيرة

شهادة اسير عثماني

قال اليوتنان واغنر: كان في عداد الاسرى العثمانيين الاولين الملازم حسين نور الدين بك فقص علي حكاية اسره قال

« اخذت اسيراً في قاضي كوى على نحو ساعتين من مصطفى باشا جنوباً . وكنا هناك طابورين نتوقع صدور الامر الينا بالتقهقر ولئن كنا واثقين من ان العدو لا يزال بعيداً عن الحدود . وكان الضباط مجتمعين في قهوة حقيرة فبلغت اذانهم جلبة في الشوارع القريبة تخللها بعض طلقات نارية متقطعة واصوات « هورّا » فايقنا بوصول الاعداء. فجمعنا رجالنا وتأهبنا للقتال . واقبل البلغاريون من كل صوب وهتافهم يصم الاذان فثبتنا امامهم نحواً من ثماني ساعات ورددنا هجماتهم علينا بالحراب غير مرة الى ان نفدت ذخائرنا ولم يبق من الطابور الذي تحت امرتي غير ثلاث مئة رجل فلم ار بداً من التسليم »

ومنذ هذا اليوم بدأ حصار ادرنة بمجيء من فيلبي بالفرقة الحادية

عشرة التي كانت لا تزال باقية فيها وبدىء بنقل البطاريات المدفعية وسائر معدات الحصار (١)

ولخص الكولونل بوكابيل وقائع الجيش الثاني البلغاري الاولى كما يأتي :

تبعد الحدود البلغارية عن مصطفى باشا (القرية) ستة كيلومترات ولها شكل زاوية مستقيمة تمتد من جانبيها الشمالي الجنوبي والشرقي الغربي وا كام سكر بلانينا ويبلغ ارتفاع قممها على بعد نحو عشرين كيلومتراً من مصطفى شمالاً ٨٢٤ متراً . ثم اكام برتبه داغ وارتفاع اعلى قممها ٨١٥ متراً) وفوق هذه الاكام الى شمال قرية كورتكوي حصن يعرف بحصن الذئاب وحاميته لا تزيد على مئة جندي عثماني أما حامية مصطفى باشا فنحو طابور

فزحفت الفرقة الثامنة في ثلاثة صفوف بقيادة الجنرال كيركوف صفان الى ميمنة مارتزا وميسرته والثالث الى الامام وعن الميمنة وكانت وجهته حصن الذئاب فاستولت عليه الكتيبة السابعة من الالاي الثلاثين وقتل وجرح ٥٠ من حاميته والباقون اخذوا اسرى ولقي صف الميمنة بعض المقاومة ولكنها كانت قصيرة فانسحب العثمانيون ودخل الفرسان البلغاريون مصطفى باشا ثم تبعهم المشاة .

---

(١) دي بينبرن

وقد استمرّت المناوشات من الساعة العاشرة صباحاً الى الساعة الخامسة مساء . وكان الملك فردينان على اكمة قريبة يشهد فوز جنوده الاوّل بعد خسارة عشرين منهم بين قتيل وجريح

ثم استأنف الجيش مسيره فجعل قسم منه وجهته ادرنة وزحف القسم الآخر الى غربيها فالتقى لجناح الايمن في اورطة كوى بقوة عثمانية فكسرها بعد قتال قصير المدة واخذ ١٢٠٠ من رجالها اسرى وبعض مدافع

وكان العثمانيون قد اعتصموا بموقع بازطابيه وهو قائم بين نهري مارتزا وأردا من الضفة اليسرى على هضبة عالية تشرف على محطة مصطفى باشا وعلى ماراش . ثم في حصن كرتال طابية في الجهة الجنوبية الغربية بين ضفة أردا اليمنى وضفة مارتزا اليمنى. فحمل البلغاريون في ٢٢ منه على هذين الحصنين (وهما من حصون ادرنة الامامية) تعضدهم المدفعية . فاستمرّ القتال الى صباح ٢٤ منه فتمكن البلغاريون من بلوغ بعض المواقع الامامية ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على الحصنين فصمموا على اقامة حصار قانوني حولها (اهـ)

واستمرّ هذا الحصار حتى ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) وفي هذا التاريخ استولى البلغاريون على الحصنين المذكورين

الفصل الثالث عشر

وقائع الجيش الثالث

كان الجنرال راتكو دمتريف قائد الجيش البلغاري الثالث — وهو جيش الميسرة — مرابطاً يوم اعلان الحرب في جبول . وكانت فرقه الثلاث — وهي الرابعة والخامسة والسادسة — متوزعة في الضواحي الا السادسة فانها كانت متأخرة عن رفيقتيها قليلاً

وقد عني البلغاريون باخفاء هذا الجيش برمته عن انظار العثمانيين فجعلوا في طليعته فرقة الفرسان المستقلة بقيادة الجنرال تازليوف

لم يتحرك الجيش الثالث من مواقعه في اليومين التاليين لاعلان الحرب . فلما كان اليوم الثالث (٢١ت١) اجتازت فرقه الحدود بين لوجا قوى وطو بجولو وكانت منتشرة في مسافة ٢٢ الى ٢٣ كيلومتراً

وقد قال الكولونل اسماتوف رئيس الحركات الحربية في الجيش الثالث لاحد الصحافيين : ولما اجتزنا الحدود كانت وجهة كتائبنا كلها لوزنكراد (قرق كليسه) فقلنا اما ان يكون العدو مرابطاً امام القلاع واما ان يكون متحصناً فيها . فيجب والحالة هذه اما مهاجمتها عنوة او محاصرتها حصاراً قانونياً . فتحوطنا للامرين ونظمنا كتائبنا بحيث لا يبقى من سبيل للنجدات العثمانية لان تصل الى لوزنكراد . وكان ممكناً وصولها اليها من بونار حصار ومن ادرنه . وفي البدء صحت

عزيمتنا على ان نباغت العدو بهجمة شديدة فنقطع عليه خط الرجوع ونستولي على القلعة . فاذا لم ننجح كانت كتائبنا على أتم الاهبة للحصار » اه

وبعبارة اخرى فان فكرة الجنرال دمترياف كانت ان يقسم جيشه الى اربعة صفوف أو اربع سرايا منتشرة في مسافات متباعدة فيهاجم القلعة بجيش القلب بينما سائر الجيش يقوم بحركة التفافية كبيرة من اليمين واليسار . وهذا بيان توزيع هذه السرايا الاربع على ترتيب زحفها من اليمين الى الشمال :

السريَّة الاولى — لواء الميمنة في الفرقة الرابعة (وهو اللواء الثاني) ويتناول الالايين ٨ و ٣١ وكانت وجهتها كرمتليجه

السريَّة الثانية — بقية الفرقة الرابعة (اللواء الاول ولواء الرديف) ويلحق بها قسم من جنود الفرقة السادسة ووجهتها اسكي بولس و يترا

السريَّة الثالثة — لواءان من الفرقة الخامسة تلحق بهما بقية الفرقة السادسة ووجهتها قرق كليسة

السريَّة الرابعة — اللواء الباقي من الفرقة الخامسة . ووجهتها قاضي كوى

فلما طلع صبح ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) كانت هذه السرايا الاربع زاحفة على الترتيب الآنف . فلم يكن الا القليل حتى التقت طلائع سريّتي القلب بطلائع العثمانيين وكانت السرية الثانية في ضواحي اسكي بولس والثالثة في ضواحي اريكلره

ولا بدَّ لنا من التنبيه هنا الى ان بقعة اريكاره واسكي بولس جبلية وعرة لا تقع العين فيها الا على صخور جرداء وخنادق لا تسلك فلا سبيل فيها الى تلاحم الخصمين جسماً الى جسم ولا الى نصب بطاريات مدفعية في قممها

على ان السريّة الثالثة حملت على العثمانيين في اريكاره حم صادقة فتلقوها برباطة جأش وعزائم قوية ولكنهم مع اتصال ورو النجدات اليهم من قرق كليسه النهار بطوله لم يسعهم في المساء الا الجلاء فانسحبوا الى قاضي كوى

وكان بين القتلى في ضواحي اريكاره ضابط الماني يدع مورتزفون كرل كان يقاتل الى جانب العثمانيين . وعرفت هويته من الاوراق التي كان يحملها

ولم يكن نصيب السرية الثانيـة من النجاح كنصيب السر الثالثة فهي قد استمرت تقاتل في ضواحي اسكي بولس النهار كله تستطع اجلاء العثمانيين عن مواقفهم فالتفت عليهم من الميمنة فتمكن من صد ميسرتهم وكانت متقدمة حتى ضولان بونار فتراجعت حتى بنا

وكانت نتيجة القتال في ذلك النهار ان العثمانيين تراجعوا الميمنة والميسرة حتى بنرا وقاضي كوى وثبتوا في القلب .

وقد زاد دي بفنبرن حوادث هذا النهار بسطاً فقال :

كان الالاي الرابع والاربعون (التابع للواء الرديف) طل السرية الثانية وكان احد طوابيره قائماً بمهمة الاستطلاع ومتقدماً

بـار الجيش فالتقى في جنوبي كرامتجه بقوة عثمانية فاشتبك معها تعضده قوة بطارية مدفعية — ثم انجده طابور آخر وبطارية ثانية فلم تزد هذه النجدة رجال المدفعية العثمانية المرابطين في الجنوب الغربي من اسكي بولس الا استبسالاً فاصلوا الطابورين حرباً عواناً فلم يستطيعا على شدتها صبراً فجعلا يحفران الخنادق في الارض للاعتصام بها

ووصل الطابور الثالث في اثناء المعمعة فاشترك بالقتال . وعضدت الطوابير الثلاثة والبطاريتين المدفعيتين بطارية الفرقة ولكن كل ذلك لم يغن البلغاريين فتيلاً فلم يروا بداً من اتخاذ الاستحكامات والانتظار الى ان يسدل الليل سدوله

وكان في اثناء ذلك ان وصل اللواء الاول من الفرقة الرابعة — الذي كان تابعاً من الميسرة للواء الرديف — فحمل على اسكي بولس بالالاي التاسع عشر بجملته فلم ينجح لان العثمانيين ثبتوا في مواقعهم ثبات الاسود ولم يتزحزحوا عنها النهار بطوله مقدار ذرة

فعند غروب ٢٢ منه كان موقف الفرقة الرابعة — بصرف النظر عن اللواء الثاني (الالايين ٨ و ٣١) وكان يؤلف الصرية الاولى (وقد تركناه في سليولو الى جانب الجيش الاول) كما يأتي :

كان اللواء الاحتياطي مرابطاً في ضواحي ضولان بونار تجاه بترا وكان واحد من الالايه ملتحماً في المعركة وهو الرابع والاربعون . والاخر وهو الثالث والاربعون متربصاً وراءه الى الميمنة . كما ان اللواء الاول كان منتشراً تجاه اسكي بولس بجملته (اي بالالايين

السابع والتاسع عشر)

هذه القوات كلها لم تستطع ان تنال من العثمانيين منالاً . فلما كان الليل تمكن الالايان ١٩ و ٤٤ من التقدم الى الامام زهاء خمس مئة متر واعتصما بالاستحكامات

وكانت السرية الرابعة باقية في الميسرة في اقصى الجيش وقد حالت الامطار ورداءة حالة الطرقات دون تقدمها حتى ان لواء الفرقة الخامسة لم يستطع مجاوزة الملجق . وقضي نهار ٢٢ منه دون ان يتهيأ لواحد من رجاله اطلاق قنبلة واحدة

وطلع صبح ٢٣ منه فاصدر الجنرال دمتريايف امره باستئناف الهجوم . وكان قد نقل معسكره العام الى كرامتجه فتولى بنفسه مراقبة مهاجمة السرية الثانيـة (الفرقة الرابعة) لاسكي بولس . وكان فوز البلغاريين او فشلهم معقوداً بهذه المهاجمة

وتفتحت ميازيب السماء في ذلك اليوم فاتصلت الامطار العرمرمية والبرد القارص بياض النهار وسواد الليل فكان الجنود يخوضون في المياه والوحول حتى الركب

واستمر القتال على طول الخط من الساعة السادسة صباحاً حتى الغروب دون اقل نتيجة . فان الآكام والهضاب التي كان البلغاريون يسعون الى توقلها تحت وابل من النار والامطار كانت يتعذر السلوك فيها حتى على المتنزه . وقد صرح الكولونيل اسمانوف نفسه ان نجاح البلغاريين في ذلك اليوم كان قليلاً جداً

واستمر القتال الى الساعة السادسة مساء وكان اللواء الاحتياطي التابع للفرقة الرابعة — وعلى الخصوص الالاي ٤٣ الذي لم يكن اشترك بالقتال بعد — قد باشر حركة التفافية حول اسكي بولس

وثبت العثمانيون اول الليل في مواقعهم في بترا وتكه دره (على مسافة اربعة كيلومترات من بترا شرقاً) وفي الهضاب الصخرية المعروفة باسم قرقجة ودمير قبو فصمم البلغاريون على مهاجمتهم ليلاً . وتولى هذه المهاجمة طابوران من الفرقة الخامسة (السرية الثالثة) فزحفا الساعة الثامنة متسترين بالظلام في خلال زوبعة عاصفة ومطر مدرار فبلغنا قمة قرقجة ووجدا العثمانيين قد انسحبوا الى قرق كليسة تاركين مدافعهم بين الصخور

وكانت السرية الرابعة قد وصلت في النهار الى قاضي كوى ثم استتبعت زحفها في سفح هضاب صخرية حجبتها عن العيون . فلما كانت الساعة الثامنة مساء حملت على موقعي اكتكي وقره كوى

واكتفى البلغاريون بما نالوه من الفوز وآثروا البقاء حيث بلغوا استعداداً لصد هجمات العثمانيين عليهم في اليوم التالي قبل استئناف الزحف على قرق كليسة ولم يدروا ان فوزهم كان اعظم كثيراً مما تصوروا وانه لم يبق في ذلك الليل في قرق كليسة ولا في كل تلك الضواحي ما يصح ان يطلق عليه اسم « قوة عثمانية »

وقد رأينا طلائع هذه الجيوش ملتحمة مع طلائع الجيش البلغاري الثالث منذ ٢١ ت ١ ثم رأينا الجيوش العثمانية في يومي ٢٢ و٢٣ منه

ثابتة في اسكي بولوس وضواحيها ثبات الابطال وكانت خسارتهم حتى مساء الاربعاء لا تتجاوز المئة من القتلى والجرحى . وكان الفريق محمود مختار باشا قد قضى النهار بطوله بين الجند مشجعاً اياهم ومتولياً بنفسه ادارة شؤون الدفاع . فلما كان المساء عاد الى قرق كليسة منشرح الصدر وملء جفنيه على رجاء ان يعود في الصباح الى ميدان القتال . ولكن هيهات . فما كل قريب بآت

الفصل الرابع عشر

قرق كليسة

قرق كليسة — او مدينة الاربعين كنيسة كما يستفاد من الاسم التركي - موقع قائم على مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً من ادرنة شرقاً وهو غير حصين بنفسه ولكنه محمي شمالاً بحصنين كبيرين احدهما على مسافة كيلومتر واحد من ركائزه جنوباً ويدعى حصن ركليجه . والثاني شرقي المدينة تماماً ويعرف بحصن سكوبوس . وبين الحصنين سلسلة استحكامات يحتمي بها رجال المدفعية ببطارياتهم ورماة المشاة

قال الكولونيل بوكابيل : كان في قرق كليسة الفيلق العثماني الاول كله . وكانت تنتمي اليه الطوابير التي قاتلت فرق الجيش البلغاري الثالث على طول الخط وجناح الجيش الاول الايمن

وكان فيها ايضاً بعض اجزاء الفيلق الثالث من حامية قرق كليسة وبعض اجزاء من فرق الرديف التي كانت تؤلف الفيلق السادس عشر . وقد كان وصولها اجزاء متفرقة منذ ٢٠ تشرين الاول تارة بدون مؤونة واحياناً بدون ذخيرة وكان اشترا كها في المعارك بحسب مقتضى الظروف

« في ٢٣ منه نشبت حرب عوان امام قرق كليسة لم تشترك بها القلاع العثمانية لانها لم يكن فيها بطاريات مدفعية . . . وحمي وطيس القتال في الكروم شمالي البلدة وثبت العثمانيون . اما في الجناحين فكان البلغاريون يتقدمون . فالتفوا غرباً حول بترا واستولوا شرقاً على مرتفعات جنداله . فلما كان الليل في ٢٣ — ٢٤ منه حاول العثمانيون مهاجمة خصومهم ليلاً وعهدوا في ذلك الى فرقة البرنس عزيز باشا حسن وكان قد انضم اليها ضباط وجنود وصلوا في الليلة نفسها ولا يعرفون طرقات تلك البقعة ومسالكها . فلم يكن الا القليل حتى تراجع البلغاريون فانكشفت خنادق بلغارية نصبت فيها المدافع الرشاشة فاستحوذ الذعر على الجنود العثمانية ففرت لا تلوي على شيء رامية بنادقها وتاركة مدافعها

وكانت فرقة حلمي بك في الجناح الايمن لا تزال في صباح ٢٤ منه في مرتفعات جنداله . فلما اتصل بجنودها انباء الليل الفائت حاول بعضهم الفرار فرماهم حلمي بك بمسدسه فثبتت الفرقة امام الميسرة البلغارية الى ان حاولت الالتفاف من حولها فانسحبت بانتظام نحو

الجنوب ودخل البلغاريون قرق كليسة عند الظهر بدون مقاومة (١)

وقدرت خسائر العثمانيين في قرق كليسة وضواحيها بألف وخمس مئة قتيل وجريح والفين الى ثلاثة آلاف اسير وسبع بطاريات مدفعية سريعة الانطلاق بقذائفها (٥٦ مدفعاً ومع كل مدفع نحو ثلاث مئة قذيفة) وغنائم آلاف الى عشرة آلاف بندقية وبضعة ملايين من القنابل ومقادير كبيرة من المؤن وسجلات وأمتعة وخرائط حتى السيف المرصع الذي اهداه جلالة السلطان الى محمود مختار باشا . . .

تشتت الفيلق العثماني الاول على ما تقدم فانكشف وراءه الفيلق الثالث وكان يجمع جموعه في بونار حصار فانسحب محمود مختار باشا به الى ويزه في ظل غابات سوجاق . اما بقايا الفيلق الاول فسنراها بعد

(١) قال الكولونل بوكابيل : على اثر سقوط قرق كليسة أشيع — ولعل المصدر بلغاري — ان سبب الفشل كان الفيلق الثالث بقيادة محمود مختار باشا — والصحيح انه كان الفيلق الاول بشهادة المستر برتلت (ديلي تلغراف) الذي كان متتبعاً حركات الجيش العثماني ولو صح ان الفيلق الثالث هو الذي انحدر ذلك الانحدار المعيب لما كان تسنى له ان يقاتل في لوله بورغاس وفي شطلجه بعد ذلك قتال الابطال . بعكس الفيلق الاول الذي لم يعد يسمع عنه شيء بعد انكسار قرق كليسة "

ولعل الذي مهد السبيل الى ذلك الوهم ان قرق كليسة هي مركز الفيلق الثالث . كما ان حاميتها الحربية هي من جنود هذا الفيلق (م)

حين منضمة الى الفيلق الرابع في ضواحي توركي ومشتلة ميمته

ويجدر بنا في هذا الموضع ان نأتي على اقوال المراسلين الحربيين المختلفة في سرد انباء هذه النكبة جلاء للحقيقة

قال الليوتنان واغنر مراسل جريدة الريخبوست :

« حمل البلغاريون حملتهم الاخيرة على قرق كليسة ليلاً من الشمال والجنوب الغربي واحكموا في الليل وضع مدافعهم على الروابي في الجهتين . وفي فجر اليوم الثاني شرعوا يطلقونها على المدينة اطلاقاً متواصلاً فاحرقت قنابلها البيوت وظهرت المدينة كأنها شعلة نار . ولما فغرت المدافع افواهها وقذفت مقذوفاتها هجم المشاة البلغاريون على طول الخط من دمرجه الى شرقي بترا وسارت قوة اخرى بلغارية من الشرق بطريق يونلر حصار زاحفة فوق روابي جندالله الواقعة بين قرق كليسة واسكوبدبر لتقطع على العثمانيين خط الرجعة من الجهة الشرقية

وما لبث ان حمي وطيس القتال بين البلغاريين المهاجمين والعثمانيين المدافعين في كروم قرق كليسة الى الشمال من المدينة فدحر العثمانيون البلغاريين مراراً هناك وردوا حملاتهم بحد الحراب . فلم يثبط ذلك عزائم البلغاريين بل كانوا يستأنفون الهجوم بعد كل اندحار ويندفعون اندفاع السيل العرم

غير ان معظم الحامية العثمانية كان قد انسحب ليلاً من المدينة

متجهاً الى بونار حصار والى الجنوب سالكاً طريق ينيجة وقواقلى ولم يترك وراءه في المدينة الا حامية صغيرة جداً

وفي الساعة العاشرة قبل الظهر تمكنت قوة بلغارية من اختراق الكروم من الشمال الغربي ودخلت المدينة فقاتلها رجال الحامية في الشوارع قتالاً عنيفاً لم تر العين اعظم منه شدة وهولاً ولكن ماذا تفعل حفنة من المدافعين امام جيش جرار مستكمل العدة فلم تنقض ساعة او ساعتان حتى دخل سائر البلغاريين المدينة من جميع الجهات واستولوا عليها . ثم ارسلوا قوات كبيرة بطريق اسكوبدير لتقطع خط الرجعة على العثمانيين الذين ارتدوا الى بونار حصار

وقال مكاتب التيمس في صوفيا :

بدأت حملات البلغاريين على قرق كليسة الساعة العاشرة ليلاً . وكان الجو صافياً ونور القمر ساطعاً . ولم يشرعوا بالهجوم فعلاً الا بعد ما زلزلوا الارض باطلاق مدافعهم العديدة . ويظهر ان الجنرال سافوف القائد العام اصدر امراً قاطعاً الى الجنرال ديمتريان باخذ قرق كليسة عنوة حاذياً في ذلك حذو قيصر روسيا لما اصدر أمره المشهور باخذ بلافنا وكان البلغاريون قد ردوا على اعقابهم مرات فلم يؤثر فشلهم في حميتهم فلما صدر اليهم الامر بالهجوم اندفعوا بكليتهم فكانوا يستولون في ذلك الليل على مكان بعد آخر حتى أصبح موقف الحامية العثمانية في نحو الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي حرجاً جداً

وكان محمود مختار باشا قائد جيش قرق كليسه والبرنس عبد الحليم افندي وغيرهما من القواد الكبار قد تمكنوا قبل ذلك من الخروج من المدينة بالقسم الاكبر من حاميتها مستصحبين معهم اكثر المعدات الحربية والسير الى بونار حصار على بعد خمسة عشر ميلاً من قرق كليسه فلم يستطع الذين بقوا من تلك الحامية الصغيرة ان يدافعوا عن المدينة طويلاً فسلموا في الساعة الحادية عشرة ولكن بعد ما ابلوا أحسن بلاء وأظهروا من البسالة والشجاعة ما يؤثر عنهم في بطون التواريخ

وتقدر خسائر البلغاريين في قرق كليسه بخمسة الاف بين قتيل وجريح

وقال الماجور فون هو شوختر وهو ضابط الماني كان في الجيش العثماني يتتبع حركات الحرب :

«صدر الامر في ليل ٢٢ منه الى الفيلق الثالث بان يزحف على اريكلر — بترا ويهاجم الاعداء هناك . فعززت الفرقة السابعة وهي الميمنة وارسلت الى اريكلر واتجهت الفرقة الثامنة — وهي التي كانت ترافقها — جهة بترا واسكي بولس بطريق قلعة قرق كليسه . اما الفرقة التاسعة فكانت ابعد الى الجنوب

هذه الخطة المجوبية وضعها عبدالله باشا بنفسه ولم يعبأ بتصريحات محمود مختار باشا له بان جيشه ليس متأهباً للهجوم بعد . فقد كان شرع في تعزيز موقفه حول قرق كليسة وعول على انتظار العدو هناك الى ان

تكون فرقه قد تم تنظيمها تماماً فجاءه امر عبد الله باشا فعمل مكرهاً

وكانت خطة القائد العام ان يستدرج العدو الى الجنوب ثم يدحره في جهة ادرنه تحت ضغط الفيلق الثالث المعزز والملتف حواليه من الجهة الشمالية الشرقية

« أما مختار باشا فتفقد مواقف جنوده فوجد استحكاماتها حسنة ولكن كانت القلعة قديمة العهد . فبدأت الفرق بالزحف الساعة الثامنة في الوجهة التي ذكرناها . وكانت فرقة الميمنة متأخرة ساعتين وفرقة الميسرة ثلاث ساعات بسبب تأخر صدور الاوامر بالزحف الى كل منها وعلم ان الفين من البلغاريين في كرجه — شمالي غربي اسكي بولس — فصدر الامر بالزحف عليهم وكانت الساعة ١٢ و ٤٠ وكان مقرراً ان فرقة الميسرة تبقى مقاتلة الى جانب الفرقة الثامنة وملتصقة بها

« وكان قد بدئ بسماع دوي المدافع عن الميسرة منذ الساعة الحادية عشرة حيث كان القتال مشتبكاً مع الفيلق الاول . ولم يكن معلوماً بعد عن العدو شيء كثير فاقتصر في البدء على تبادل القذائف المدفعية واستمر ذلك حتى الساعة الثالثة ونصف . وكانت في هذه المنيهة قد التحمت الفرقة التاسعة وفرقة البرنس عزيز عن كثب . وعند الساعة ٤ و ٨ وصل الاي فرسان فالحق بالفرقة السابعة وعني بان يكون صلة بين الفيلقين الاول والثالث . وكان البلغاريون يتجنبون الالتحام محاولين الانسلال ما بيننا وبين الفرقة السابعة

فصدر الامر الى هـــذه الفرقة بالاقتراب فى ٢٣ منه من الفرقتين الثامنة والتاسعة . وكف القتال الساعة الخامسة وربع فاصدر محمود مختار باشا امره بالحمل بشدة على الاعداء في الغد منذ الساعة الخامسة ونصف صباحاً

« وفي الصباح بعد ان تفاوض رجال اركان الحرب بعضهم مع بعض حتى الساعة السادسة سمعنا صدى القنابل يدوي على مقربة منا فامتطينا خيولنا وسرنا الى الامام ولكننا لم نكد نجتاز ست مئة متر حتى رأينا شراذم رديف تعدو نحونا وصراخها يصم الاذان . وادرك محمود مختار باشا حقيقة الحالة في لحظة فشهر مسدسهُ وجعل يطلقه على الهاربين . وحذونا نحن ايضاً حذوه فتوقفنا بعد العناء من توقيف بعضهم . وطفق الباشا يجول الحقول محاولاً لم شعثهم فكان كيفما التفت يجد افراداً مختبئين وقد اخذ الذعر منهم كل مأخذ . وكان سببه ان هؤلاء الجنود افرغوا ذخائرهم بسرعة برمي غير مرتب وكانوا منهوكي القوى بسبب قلة القوت ورداءة الحالة الجوية وكان الكثيرون منهم حفاة الاقدام تستر اجسامهم أطمار بالية وكانت طوابيرهم ناقصة حتى كان افرادها احياناً لا يجاوزون المئتين علاوة على قلة عدد الضباط . كل هذه الاسباب حلت عزائم الجنود فتقهقروا

وكانت الفرقة السابعة عن ميمنتنا ثابتة فجاء محمود مختار باشا منها بثلاثة طوابير واحتل موقعاً ضعيفاً . ثم ظهرت ميسرة هذه الفرقة على اكمة قريبة وكان الفوز حليفاً لها فجاء احد ضباط اركان الحرب فيها

نحو الساعة الثالثة يكاشف القائد بذلك الفوز . بيد انه ما عتم ان عاد نحو الساعة الخامسة وانبأ بان الجنود يتقهقرون في كل جهة بدون انتظام فاسرع الباشا الى جواده فامتطاه وسار نحو الفرسان في جهة القلعة فسرت على اعقابه ولكنه غابت اثاره عني فلم استطع الاجتماع به الا في ويزه

على هذه الصورة انتشر عقد الجيش العثماني في قرق كليسه دون ان ينكسر في موقعة او تلحق به خسارة كبيرة . ودخل البلغاريون البلدة في اليوم التالي فلم يجدوا فيها غير النساء والفتيان (ه)

***

وقال المسيو لوزان مدير الماتين في كتابه « حرب اربعين يوماً »

نحو الساعة العاشرة من الليل بينا كان الجيش مخلداً الى الراحة والسكون بدا للفريق عزيز باشا قائد احدى الفرق في الفيلق الثالث — وكانت مرابطة في ضواحي بترا — ان يتولى مهاجمة البلغاريين هجمة ليلية . فعل ذلك دون ان يستشير قائد الفيلق او يكاشفه برغبته. وعلى هذه الصورة غادر طابوران موقعهما وسارا كل طابور في سبيل اما سائر جنود الفرقة فلبثوا في مواقعهم على قدم القتال

وكانت الليلة حالكة الظلام والعاصفة في اشد هبوبها فاعتسف احد الطابورين طريقه والتقى بعد هنيهة بالطابور الاخر فتوهم كل منهما انه التقى بالبلغاريين فاشتبكت بين الفريقين معركة عنيفة كان دوي القنابل فيها يصم الاذان .

واثرت رهبة هذه الحرب الليلية في غير واحد من الجنود المتلاحمة

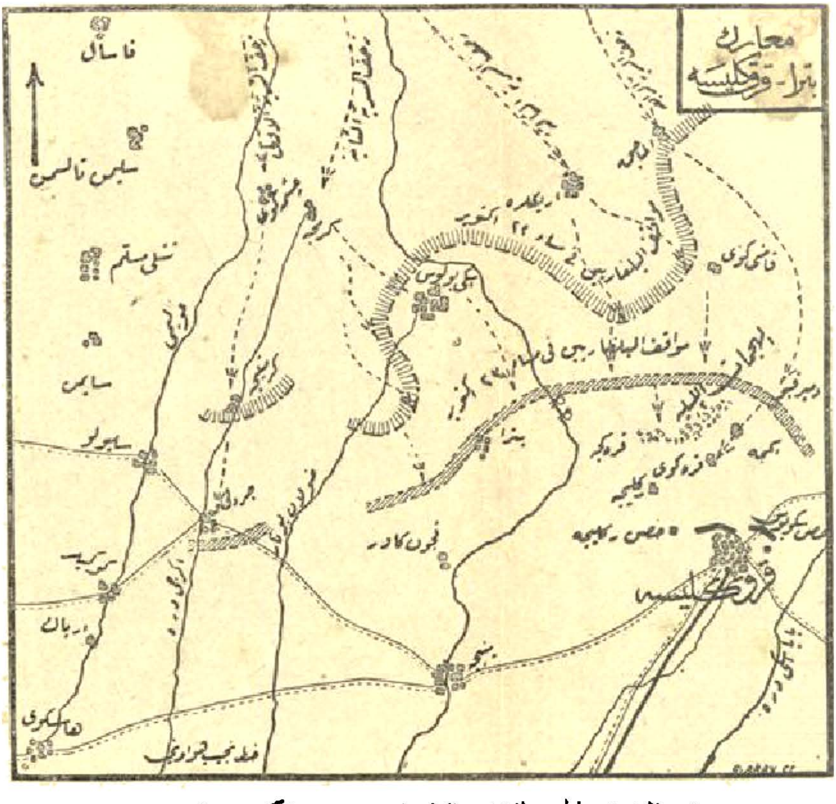

خريطة زحف الجيش البلغاري الثالث في ٢٠ — ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٢

بعضها مع بعض وهي لا تدري فتملكهم ذعر شديد فولوا الادبار ثم حذا آخرون حذوهم فكنت لا ترى غير عصابات شاكية السلاح منتشرة تحت كل كوكب

« وأقبل الاي آخر على دوي الرصاص فرأى الهاربين يعدون فسرت اليه العدوى عدوى الخوف القبيح فاقتفى آثارهم · فلم تكن الا هنيهة حتى كانت كل فرقة عزيز باشا مولية هاربة نحو قرق كليسه

« وكان محمود مختار باشا في تلك الساعة نائماً فايقظوه فاسرع على ظهر جواده ووقف في وجه الهاربين محاولا توقيف تيارهم تارة بالوعد وطوراً بالوعيد والتهديد واحياناً بالالتماس والتذلل ولكن لا حياة لمن تنادي

« وانتشر الهاربون في قرق كليسه حتى ملؤوا شوارعها وازقتها وكلهم بأسلحتهم وذخيرتهم . فسادت الفوضى في المدينة كلها حتى ان ضباط محمود مختار باشا انفسهم خيّل لهم ان لا مندوحة عن الانسحاب فغادروا المعسكر العام بما فيه من سجلات وامتعة وخرائط حتى تحريرات قائد الفيلق ابقوها في مواضعها وولوا هاربين

« ورأى من بقي في قرق كليسه من اركان الحرب ان يشخص الى بابا اسكي للاتيان بنجدة . وكان في المحطة قطار على أهبة السفر فركبوه فاعترض مدير المحطة بان الخط مشغول بقطار آخر ولكن لم يكن من يسمع . فان الضباط أبوا الا تسيير القطار بهم ففعل

المأمور مكرهاً فلم يكد القطار يتجاوز ثلاثة كيلومترات حتى اصطدم بالقطار القادم الى قرق كليسه يحمل اليهامدافع وذخيرة وجنح الاثنان فلم تزدد الحالة الا هولاً وبقيت المدافع والذخائر غارقة في الوحول وتحت انقاض المركبات المتحطمة. فكانت هذه النكبة ثالثة الاثافي

« وبلغ عدد الهاربين على هذه الصورة نحو خمسة عشر الفاً وصل بعضهم الى بابا اسكي ومنهم من لم تقف بهم اقدامهم حتى البحر. (اهـ)

ثم زاد مكاتب التيمس هذه المعركة تفصيلاً بلسان « شاهد عيان » ربما كان احد الضباط في الجيش العثماني [١] قال:

كان الفيلق العثماني الثالث مخيماً ليلة ٢١ اكتوبر حول قرق كليسه والفرقة السابعة منه بقيادة حلمي بك في الميمنة بجوار قرية أسكوب. والفرقة التاسعة خليطاً من جنود هذه الفرقة وطوابير عديدة من الاحتياطي يقودها حسن عزت باشا ومركزها في القلب. والفرقة الثانية في الميسرة بقيادة فؤاد ضيا باشا. وكان محمود مختار باشا قائداً عاماً لهذا الفيلق

وكان مركز رئاسة الجيش العثماني الشرقي في قواقلي الى جنوب قرق كليسه. والفيلق (الاول) بقيادة عمر يلور باشا الى يسار الفيلق الثالث. والفيلق الثاني بقيادة شوكت طورغود باشا والرابع بقيادة احمد عبوق باشا الى الشرق

(١) المقطم في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٢

في تلك الليلة صدرت الاوامر الى الفيلق الثالث بالتأهب لصد البلغاريين الذين اجتازوا الحدود من اماكن عديدة زاحفين الى الامام بعد ما استظهروا على النقط الامامية على الحدود . وكان سهلاً الامتثال لهذه الاوامر لولا تقصير مصلحة « السوقيات والتسهيلات »

زحف الفيلق الثالث صباح الثلاثاء في ٢٢ اكتوبر (ت ١) فثبتت ميمنته أمام حملات البلغاريين ثم لم تلبث ان انتصرت عليهم وردتهم خاسرين وواصلت زحفها الى اركلر . وكانت خسارة هذا الجناح (الميمنة) اكثر من خسارة قلب الفيلق وجناحه الايسر. فان بلوكين منه كانا هاجما موقعاً بلغارياً فافتتحهما المدافع والبنادق البلغارية عن بكرة ابيهما

اما القتال الذي نشب بين قلب الفيلق وقسم من ميسرته من جهة وبين البلغاريين من جهة اخرى فكان مباراة مدفعية اكثر منه قتالاً حقيقياً . قال المكاتب قال مخبري : ولما اشتد اطلاق النار من الجانبين توارى المتحاربون في الخنادق حتى لم نعد نرى احداً من البلغاريين المشاة ذلك النهار ولكن قوة او قوتين بلغاريتين ظهرتا لنا فاصليناهما ناراً حامية بالقنابل الرشاشة . وامتد قلب فيلقنا في الليل حتى صار على بعد ميل من قرية بترا ومواجهاً لمركز البلغاريين في الاكام المحيطة بقرية بولوس . وكان لنا اورطتان او ثلاث من القلب في خط مرمى النار اما سائر قوة القلب فوقفت في قرية بترا احتياطاً مع بقية احتياطي الفيلق ومعدات النقل

وقبل الفجر من صباح الاربعاء بنحو ساعة وقفت اورطة من رديف افيون قره حصار في اماكنها تحت السلاح مستعدة للقتال فظهرت لناحينئذجماعات من الرجال يتقدمون الى هذه الاورطةفرمتهم ببضع طلقات ثم توقفت بامر من قائدها لان تلك الجماعات — التي كان افرادها يتكلمون التركية — كانت اما فلولاً من البلغاريين اواترا كاً من بلغاريا الشرقية مجندين في الجيش البلغاري او كانوا كما روى آخر من جنودنا هزمهم البلغاريون من النقط الامامية . ومهما يكن من امرهم فان حركتنا توقفت تماماً بسببهم بينما كانت الصفوف المقاتلة منا تحدق بابصارها مخترقة غياهب الظلام لتعرف ما يجري في الامام . وبينما نحن كذلك واذا نار حامية من مدافع البلغاريين تنصب علينا وابلاً مدراراً عن مرمى قريب وكان معظمها يقع على اورطة رديف قره حصار فدب الرعب في جنودها — الذين لم يكونوا يعطون طعاماً كافياً ولا كانوا مدربين على فنون القتال ولا كان بينهم العدد اللازم من الضباط الاكفاء — فتقهقرت بلا انتظام . وشاع حينئذ ان الضباط الذين امروا بتوقيف اطلاق النار خانوا فباعوا الفيلق للبلغاريين رخيصاً . فلم تكن الا دقائق حتى ارتد الصف المقاتل جميعه الى بترا حيث كان احتياطي الفيلق مرابطاً . فلما رأى الصفوف الامامية مندفعة نحوه ورجالها يصرخون « جاء البلغاريون جاء البلغاريون » اخذ بعضهم يطلق النار بلا تروٍ وارتد البعض الاخر عن مواقفه رويداً رويداً والتجأ بعض الفارين الى القرية . وامتد الرعب الى رجال الحملة

(قسم النقل) فتقهقروا بلا انتظام . وحاولت ان اوقف بعض سائقي المركبات فافلحت في اول الامر ولكن ما لبثنا ان تدفق علينا الهاربون تدفق السيل فجاراهم السائقون والهبوا ظهور خيولهم بالسياط فاندفعت تسابق الريح . واشد من ذلك انهم كانوا يرمون الذخائر والمؤن من المركبات في الطريق تخفيفاً عن الخيول . ثم انتقل الذعر الى رجال المدفعية فحذوا حذو اخوانهم . فلم تمض على الطلق الاول في قرق كليسة ساعة حتى تشتت شمل قلب الفيلق وتفرق

ومما زاد الرعب شدة ان جنود الفيلق الثالث كانوا في اليوم السابق يظنون ان البلغاريين هزموا شر هزيمة . وايد ظنهم هذا انهم عثروا على مدفع بلغاري متروك في ساقية بجوار بترا وان الجناح الايمن الذي يقوده حلمي بك اوتي فوزاً باهراً على البلغاريين ذلك اليوم

واسرع معظم جنود القلب في هربهم الا البعض منهم ومن الضباط البواسل للذين وقفوا في اماكنهم وقوف الابطال يتلقون نار البلغاريين بجأش رابط حتى اذا وصل الجيش البلغاري الى مقربة منهم وصارت ناره تفتك فيهم فتكاً ذريعاً خافوا ان يكتنفهم فيفنيهم فتقهقروا بانتظام . واقتفى البلغاريون اثرهم واطلقوا عليهم القنابل الرشاشة فاضطر سائر جنود القلب ان يولوا الادبار مسرعين

وقد سمعت من بعض ضباط المدفعية انهم تركوا عشرة مدافع في المضايق بين بترا وقرق كليسه بعد ما عطلوها . ورأيت محمود مختار باشا في موقعة يوم الثلاثاء شاهراً سيفه ومعرضاً بنفسه في اشد مواقف

الخطر غير وجل ولاهياب . ورأيته بعد ذلك يحول دون هرب الجنود عاملاً فيهم سيفه ولكن مساعيه ذهبت ادراج الرياح . وابصرت ضابطاً حاول جمع رجاله ثلاث مرات فاخفق واشتد به الجزع فانتحر مفضلاً للموت على الفرار . وعلى الجملة فكان المشاهد يرى في هذه الموقعة اشد ما يكون من حالتي الجبن والشجاعة معاً

ولما انبلج الصباح ادرك الجناحان ما حل بالقلب ورأيا البلغاريين يزحفون عليهما من المضيق الذي اخلاه القلب فدب الرعب في بعض رجال الميسرة التي يقودها فؤاد ضيا باشا فاخلوا مواقفهم واخلت أورطة من رديف انقره في الميمنة مواقفها ايضاً . اما سائر جنود الميمنة فكانوا يتقهقرون امام البلغاريين بانتظام يدعو الى الاعجاب بعد ما كانوا يذودون عن كل شبر ارض يتركونه ذود اللبوءة عن اشبالها . ولم يتمكن البلغاريون من ازاحتهم عن مواقفهم الى ويزه الا بعد الظهر رغم ان البلغاريين كانوا اضعافهم عدداً واحسن منهم حالاً واجود سلاحاً . وسار محمود مختار باشا وهيأة اركان حربه في الجهة التي سارت فيها جنود الميمنة وقسم من جنود الميسرة على أحسن نظام

وكان الرعب قد دب في سكان قرق كليسه وحاميتها قبل الظهر وشرع السكان في الهرب من المدينة بعد ما بلغهم من ان البلغاريين احرقوا بضع قرى للمسلمين . وزاد الطين بلة ان قطاراً مقلاً جنوداً من بابا اسكي اصطدم بآخر كان يقل الفارين من الرجال العسكريين والملكيين من قرق كليسة فقتل وجرح غير واحد وتعطل الخط تماماً

فلم يعد يصلح لسير القطارات فاضطررت ان اسير ماشياً الى قواقلي فالفيت مركز رئاسة الجيش الشرقي قد انتقل منها وعمال التلغراف قد هربوا والاسلاك مقطعة ... وشهدت من قواقلي حصار قرق كليسة واطلاق المدافع على طوابيها وكانت طابية بياز قد تحولت الى شعلة من نار

أما الطرق بين قواقلي وبابا اسكي فكانت غاصة بالهاربين من جميع المراتب والطبقات وكان الجنود منهم محتفظين ببنادقهم الا انهم اطرحوا كبايتهم وقرب الماء التي كانوا يحملونها في الطريق . وكان الضباط يبحثون عن جنودهم والجنود عن ضباطهم ومركبات النقل مقلوبة هنا وهناك واحمالها مبعثرة على طول الطريق

وكانت بابا اسكي قد امتلأت بالهاربين وبينهم جنود من فيلق عمر ياور باشا او فيلق شوكت طورغود باشا

وبلغني في بابا اسكي ان الرعب استحوذ ايضاً على جنود الشرق ولا سيما الجنود التي كان يقودها البرنس عزيز باشا حسن وان آلاياً من الفرسان وقع في كمين نصبه له البلغاريون فارتد هارباً مخترقاً صفوف الجنود العثمانية ودائساً رجالها بسنابك خيله . وان البرنس امر حينئذ فرقته بالتقهقر فخاف الجند خوفاً عظيماً

ثم برحت بابا اسكي في احد القطارات التي كانت تغادرها مملوءة بالفارين ونمت من شدة التعب . فلما استيقظت وجدت نفسي مطروحاً على طول الخط الحديدي بين انقاض المركبة التي كنت نائماً

فيها فسألت من كان حولي فقال بعضهم ان القطار نسفته قنبلة ديناميت . وقال آخرون انه داس قطيعاً من الغنم فخرج عن الخط فتحطم . الخلاصة ان القطار تعطل هنا ايضاً فاضطررت مرة ثانية ان أسير على قدمي الى جورلو . واول ما وقع نظري عليه فيها انّ الجنود كانوا يستقبلون الفارين بالشتائم واللعنات ويقبضون على بعضهم ويزجونهم في غياهب السجون

أما خسارتنا فلم تكن كبيرة كما يتوهم لاول وهلة لان القتلى في الجناح الايمن لا يزيدون على الف وخمس مئة قتيل . ولكنني لا استطيع معرفة عدد الجرحى تماماً او تقديراً . أما الاسرى فلا اظنهم كثيرين لان فرار الجنود كان سريعاً جداً فلم يستطع البلغاريون اللحاق بهم . ولكن مركبات النقل فقدت كلها وتبعثرت احمالها في طول تلك البلاد وعرضها . اه

تقرير الجنرال ديمترياف

ذكر الجنرال ديمترياف في التقرير الذي بعث به الى رئاسة الجيش البلغاري ان فرقة من الحامية العثمانية خرجت من قرق كليسة ليلاً قاصدة مهاجمة البلغاريين فتظاهرت القوات البلغارية المهاجمة بالتقهقر امامها واستدرجتها الى مرمى المدافع السريعة الانطلاق فلما اقتربت فغرت هذه المدافع افواهها فاوقعت بالمهاجمين خسارة كبيرة

وجاء في التقرير المذكور ايضاً ان قرق كليسة كانت ممونة

تموينا يمكن حاميتها من الثبات على الحصار اشهراً عديدة وان الجنرال ديمتريياف لم يجازف برجاله فخسر منهم اقل مما كان مقدراً ان يخسره في الاستيلاء على المدينة وحصونها وغنم ثمانية عشر مدفعاً من طرز قديم واثني عشر مدفع حصار ومقادير عظيمة من الذخائر والمهمات والتموينات وطيارتين وتلغرافاً حربياً وأسر ١٢٠٠ جندي اهـ

حديث وزير الخارجية العثمانية

قال المسيو لوزان مدير الماتين الفرنسوية : لما بلغت الاستانة انباء فاجعة قرق كليسة كنت في ضيافة الوزير جبرائيل افندي نورادنكيان ناظر الخارجية ورأيت الكآبة بادية في عينيه فقال لي :

لقد حدث حادث لم يسبق له في تاريخنا مثيل . فان جنودنا غادرت قرق كليسه . فهي لم تغلب ولم تقهر ولكنها استولى عليها ذعر شديد ...

ثم استتبع فقال : منذ اربع وعشرين ساعة تتوالى على هيأة اركان الحرب العامة برقيات لا رابطة بينها ولا لحمة كأنها هذيان المحموم. فقد جاء في بعضها ان فرسان البلغار هاجموا قرق كليسة . ونحن على يقين ان ليس للبلغاريين فرسان في تلك الضواحي . وجاء في غيرها ان خسائرنا كانت كثيرة جداً وان الجنود بدؤوا باخلاء قرق كليسة في حين ان بلاغ الليلة الفائتة كان يشير الى ان خسارتنا كانت لا تزيد على مئة قتيل او جريح . وآخر هذه البرقيات افادنا ان لم يبق في قرق كليسة سوى مأمور التلغراف . . . ويظهر ان المأمور هرب

ايضاً قبل ان يتم البرقية لانها وصلت مبتورة في منتصف الكلمة . . .

ثم تنفس الوزير الصعداء وقال : في صفوفنا كثيرون من البلغاريين والاروام . وضباطنا قليلون . ومع قلتهم فان الاكثرين منهم المتهم السياسة عن الواجبات العسكرية . . .

انقلاب الوزارة العثمانية

وبلغت انباء فاجعة قرق كليسه الاستانة فكانت سبباً في سقوط وزارة الغازي مختار باشا وتأليف وزارة جديدة برئاسة الشيخ الكبير كامل باشا وكان اول ما اهتمت له تأليف مجلس عسكري التحقيق عن اسباب تلك النكبة . وكانت نتيجة التحقيق اعدام مئتين من الجنود وصغار الضباط والضباط واكثرهم من المسيحيين بحجة انهم كانوا السبب في الاضطراب الذي ساد في الجيش فتشتت شمله

مسلك الجنود المسيحيين

في هذه المعركة

يتضح مما تقدم ان تبعة الانكسار في قرق كليسه وجهت في الظاهر الى خيانة (كذا) الجنود المسيحيين . ورامت دولة البرنسيس عزيزه حسن الدفاع عن شقيقها البرنس عزيز باشا حسن فأيدت هذه التهمة في كتاب بعثت به الى صديقة لها انكليزية . ثم جاء البرنس عزيز الاسكندرية في خامس شباط (فبراير) سنة ١٩١٣ فقابله مندوب الاجبشن غازت وسأله عن صحة هذه الرواية فانكرها

دولته ونفاها نفياً باتاً قائلاً: ان الامر على عكس ذلك . فان عدداً كبيراً من الجنود المسيحيين ابلوا بلاء حسناً ولم يهربوا الا بعدان استولى البلغاريون على قرام فتركوا الجيش ليتقذوا عائلاتهم من اقتصاص البلغاريين منهم عقاباً لهم على انضمامهم الى الجيش العثماني ومحاربتهم فيه

وقد خصّ دولته بالثناء رومياً عثمانياً اسمه بنايوتي سليفري فقال ان هذا الجندي كان في البلوك الثالث من الاورطة الثانية في فرقته فلما حمل البلغاريون حملتهم العظيمة في لوله برغاس وقع الاضطراب في البلوك وكاد جنوده يفرون فخطف بنايوتي الراية من يد حاملها وهجم بها الى الامام فحال بذلك دون انهزام بلوكه

قال البرنس « أما انا فليس لي ما اشكو منه من سلوك الجنود المسيحيين في الجيش العثماني »

البلاغ الرسمي العثماني

وهذا تعريب البلاغ الرسمي الذي نشرته الصحف العثمانية بتاريخ ٢٨ تشرين الاول

« صدر الامر الى جنود الفيلق الثالث المحاربة بنجاح في ماوراء قرق كليسه بالانسحاب واللحاق بجيش الشرق . لان هيأة اركان الحرب لم تشأ توسيع نطاق القتال الى هذا الحد . وقد افلحت جنودنا والحالة هذه في مطاولة العدو وتضييع الوقت عليه وتمّ انسحابها بانتظام في الوجهة التي ترد اليها منها النجدات الجديدة » (م)

الفصل الخامس عشر

وقائع الجيش البلغاري الرابع

قلنا في الفصل السابع ان الفرقة الثانية من الجيش الثاني أبقيت في بدء الحرب في هاسكوى ولم تلتحق بجيشها وان الفرقة السابعة المستقلة ابقيت ايضاً في قسطنجيل . فهاتان الفرقتان النظاميتان كانتا تؤلفان — مع الفرقتين الاحتياطيتين التابعتين لها ومع فرقة متطوعة المقدونيين — جيشاً خاصا وهو الذي دعوناه بالجيش الرابع وسنتتبع في هذا الموضع وقائعه

انقسم هذا الجيش قسمين فكان القسم الاول الى جانب الجيش الصربي الثاني وقوامه الفرقة الرابعة النظامية وفرقة المتطوعين وقيادته في عهدة الجنرال تيودوروف ووجهته سلانيك

وكان الثاني مؤلفاً من الفرقة الثانية تحت امرة الجنرال كوفتشيف وقسم أيضاً الى قسمين : الاول في جنوبي فيلبي . والثاني في ضواحي هاسكوى ومهمتهما تشتيت الحاميات العثمانية في وادي اردا الاعلى واحتلال البلاد الواقعة بين نهري مستا (غرباً) ومارتزه (شرقاً)

القوات العثمانية المدافعة

كان على جيش تيودوروف ان يصد الحاميات المتفرقة في وادي ستروما ووادي بريكلنتزه واكثرها من الرديف أو المستحفظ ثم

ما يليها من القوات كالفرقة الرابعة عشرة المسكرة على نهر سترومه تحت امرة علي نادر باشا أو القوات الموجودة في بريكلنتره تحت امرة قره سعيد باشا . بيد ان القسم الاكبر من هذه القوات سيضطر بعد حين الى مغادرة ميدان القتال قبل وصول الفرقة السابعة البلغارية والزحف على ينيجه وفردار اولاً لصد الجيش اليوناني الظافر ثم على كوماتوفو لصد هجمات الجيش الصربي

اما جيش كوتشيف فكانت تقابله قوة قوامها ستة عشر الف مقاتل تحت امرة ياور باشا . منهم ثلاثة عشر الفاً كانوا في قرج علي وثلاثة الاف في جهة بشا كلي والى الشمال الغربي اما الثلاثة عشر فكانوا يؤلفون طابورين نظاميين وتسعة طوابير رديفوسته مستحفظ مع بطاريتين من مدافع الميدان . واما الثلاثة الالاف الباقية فكانت تؤلف طابوراً نظامياً وثلاثة طوابير مستحفظ و بطارية مدفعية

ثم كان للعثمانيين عضد كبير في قبائل البوماك — وهي قبائل بلغارية تدين بالاسلام — وهم من اشد الناس عداء لاخوانهم في العنصر الذين بقوا على نصرانيتهم

جيش الجنرال تيودوروف

جاز هذا الجيش الحدود في ١٨ ت ١ (اكتوبر) في صفين . فاستولى الصف الاصغر في اليوم نفسه على تزارفوسيلو وزحف على كوتشانا الى جنب الجيش الصربي ثم على اشتب فاستولى عليها

اما الصف الاكبر فلقي مقاومة عنيفة في الاستحكامات العثمانية على الحدود ثم كان له الفوز فغنم ثلاثة مدافع واخذ مئة اسير . ثم استتبع الزحف فاستولى على كروبنيك ثم على مهومية حيث سلمت كتيبتان عثمانيتان ثم على مضايق كرسنا . وفي ٢٤ منه احتل بتكوفو الى ميمنته وملنيك الى الميسرة وكان معظم الفرقة الرابعة عشرة قد اخلى وادي ستروما فلم تبق امام البلغاريين قوة مدافعة ذات شأن فاستولوا في اول تشرين الثاني على نفروكوب ثم من بعدها على روبتل فدمير حصارفسيروز وفي ٨ تشرين الثاني جاز البلغاريون نهر ستروما والتحم فرسانهم شمالاً مع فرسان الجيش اليوناني

وبينما كان الجنرال تيودوروف في ٩ منه يأخذ اهبته لتأثر العثمانيين والزحف على سلانيك كان الفريق تحسين باشا يخاطب ولي العهد اليوناني بتسليم هذه المدينة على ما سيجيء بيانه بالتفصيل عند بسط وقائع الجيش اليوناني وما كان من الاختلاف في هـذا الصدد بين اليونانيين والبلغاريين

ومهما يكن فان الجنرال تيودوروف ابقى في سلانيك طابورين فقط وارسل سائر الجيش الى دده اغاج على سفن يونانية للاشتراك مع سائر الجيوش البلغارية المحاربة في تراقية

وقائع الجنرال كوفتشيف

جاز جيش الجنرال كوفتشيف الحدود يوم اعلان الحرب في ثلاثة

صفوف . الاول زحف على قرج علي والثاني على بكمكلي والثالث توغل هضاب تمريك في الجهة الجنوبية الغربية من فيليبي فبددعصاباتها

وفي ١٩ و ٢٠ منه استولى البلغاريون على قرج علي في الميمنة واشتبكوا مع العثمانيين في الميسرة قرب ضولان وكان لقبائل البوماك في هذا القتال النصيب الاوفر

وقد قلنا ان جيش ياور باشا كان معظمه من الرديف والمستحفظ فلم يكن الا يومان حتى فرَّ اكثره الى الجبال تاركاً اسلحته وذخيرته وقد قال هذا القائد انه لاقى اعظم شدة في جمع الالفي رجل الذين كانوا تحت امرته في جنوبي مستنلي حيث التحقت به بعد ذلك سبعة طوابير كل منها ٦٠٠ الى ٧٠٠ مقاتل

. . . .

واستتبع البلغاريون زحفهم في ثلاثة صفوف : الاول بقيادة الجنرال كينيف ووجهته غمولجينه . والثاني بقيادة الكولونيل تانيف وهو القسم الاكبر من الفرسان ووجهته فريجق ودده اغاج بعد اجتياز نهر مارتزه شرقاً . والثالث تحت امرة الجنرال كوفتشيف وكان يزحف الى الشرق من وادي مستا الادنى وطريق كسانتي

وكان ياور باشا بعد حشد قواته يود مهاجمة البلغاريين ولكن بطء التعبئة العثمانية وقلة المؤن والذخيرة ووعورة الطرق واتصال الامطار في اواخر تشرين الاول واوائل تشرين الثاني (اكتوبر ونوفمبر) هذه الاسباب كلها حالت بينه وبين ما يريد . وفي اثناء

ذلك احتلت فرقة الجنرال غينيف غموجلينه وكتائب أخرى احتلت درامه على الخط الحديدي الذاهب الى سلانيك وغيرها احتل قواله على بحر ايجه . وفرقة الجنرال كوفتشيف بلغت جسر بون على نهر مستا ثم زحفت من الغرب . كما ان فرقة الكولونل تليف كانت احتلت في ٩٦ منه سوفلي وزحفت الى الجنوب بينما كانت فرقة أخرى مختلطة من الجيش الاول تحت أمرة الكولونل سلابشيف وقوامها لواء مشاة ولواء فرسان وبطارية مدفعية زاحفة من الشرق في جهة ملكارا

ففي ١٩ منه كان القسم الاكبر من جيش ياور باشا في بودينيا شمالي دده اغاج (التي غادرتها فرقة الجنرال كجينيف في ٢٢ منه) ومنها سار الى فريجق فكان فيها في ٢٦ منه فأرسل عن الضفة اليمنى من النهر طابور مشاة وبطارية جبليـة وبعض المدافع الرشاشة وبقي لديه ستة آلاف مقاتل — منهم الفـان فقط منظمون — انهكتهم وقائع خمسة واربعين يوماً وعشرة مدافع و٩٠٠ قذيفة فقط و٢٠٠ قنبلة لكل جندي وقوت يوم واحد . وكان يتحوطه عشرون الفاً من البلغاريين تعضدهم خمس بطاريات مدفعية فنشب في ٢٧ منه قتال بين الفريقين استمرّ حتى الساعة الثانية بعد الظهر . ورأى ياور باشا ان مقاومته ذاهبة عبثاً فسلم للبلغاريين هو ورئيس اركان حربه حمدي بك واثنان من قواد الفرق و ٢٦٥ ضابطاً ونحو عشرة الاف مقاتل و١٥٠٠ حصان ومقدار كبير من الذخيرة

فهرست

الجزء الاول

صفحة

١ تمهيد

كلمة لجامع هذه الصفحات • نبوءة كاتب

الفصل الاول

٤ شبه جزيرة البلقان

تاريخ البلقان • جباله • مضايقه • انهاره

الفصل الثاني

٧ شعوب البلقان

الدولة العثمانية وفتوحاتها في البلقان • الولايات العثمانية الاوروبية بلغاريا • الصرب • اليونان • رومانيا • الجبل الاسود

الفصل الثالث

١٧ المسألة الشرقية

السياسة الاوروبية في الشرق • سياسة الاصلاحات • مؤتمر برلين مطامع بلغاريا واستيلاؤها على الروملي الشرقية • الحرب العثمانية اليونانية • الثورات في مقدونيا • اعلان الدستور العثماني • اقتراح الكنت برختولد • السياسة الاوروبية العامة

صفحة

الفصل الرابع

٢٨ قبل الحرب

المسألة الشرقية • الاتحاد البلقاني • الاتفاقات العسكرية • التحرش • الإصلاحات • مذكرة بلغارية صربية

الفصل الخامس

٣٣ المفاوضات الرسمية

تطلبات حكومات البلقان • مذكرة عثمانية • مذكرة روسيا والنمسا • الجبل الاسود يعلن الحرب • بلاغ اعلان الحرب • خطاب الملك • الاصلاحات الجديدة • مذكرة السفراء الى الباب العالي • جوابها • جواب حكومة بلغاريا • انقطاع المفاوضات

الفصل السادس

٤٥ الجيش العثماني

جلالة السلطان محمد الخامس • الامير يوسف عز الدين افندي التجنيد • اقسام الجيش • قوات الفيالق النظامية • القوات الحقيقية الموجودة • التجهيزات • حديث ناظر الخارجية • خطاب جلالة السلطان

الفصل السابع

٥٨ الجيش البلغاري

التجنيد • المشاة • الفرق والالايات • الفرسان • المدفعية

صفحة

الفصل الثامن

٦٦ التعبئة البلغارية

تجمع الجيوش • خطاب ملك بلغاريا • مواقف الجيوش • القيادة العامة • تحوطات الجنرال سافوف • الايات التعطية

الفصل التاسع

٧١ تأهبات الوزارة البلغارية

مؤتمر بلغاري في عاصمة الصفا • الوزارة البلغارية • المسيو غيشوف • المسيو تيودوروف • الجنرال نيكيفوروف

الفصل العاشر

٧٦ قواد الجيش البلغاري

الملك فرديناند • الجنرال سافوف • الجنرال فتشيف • الجنرالية بتروف • وديمترياف • وكوتنشيف • وايفانوف

الفصل الحادي عشر

٨٣ الوقائع البلغارية الاولى

خطة البلغاريين • الفرقات العثمانية والممر البلغاري • القوات العثمانية المدافعة والقواد العثمانيون • وقائع الجيش البلغاري الاول • معركة سليولو

الفصل الثاني عشر

٩٢ وقائع الجيش البلغاري الثاني

معركة مصطفى باشا • معركة جوروك • شهادة اسير عثماني

صفحة

الفصل الثالث عشر

٩٨ وقائع الجيش الثالث

خطبة الجنرال ديمتريف • زحفه في اربعة صفوف • معارك اريكلرة واسكي بولس وبترا

الفصل الرابع عشر

١٠٤ فرق كليسه

حامية فرق كليسه • الهرب • اقوال المراسلين الحربيين • تقرير الجنرال ديمتريف • حديث وزير الخارجية العثمانية • انقلاب الوزارة العثمانية • سلك الجنود المسيحيين • البلاغ العثماني

الفصل الخامس عشر

١٢٤ وقائع الجيش البلغاري الرابع

القوات العثمانية المدافعة • جيش الجنرال تيودوروف • وقائع الجنرال كوفتشيف • تسليم ياورباشا وجيشه

وسيلي هذا الجزء جزء ثان وفيه وقائع الجبل الاسود والصرب واليونان وتفصيل معارك لوله برغاس وجورلو الكبرى

الفريق ناظم باشا

ناظر الحربية العثمانية والقائد العام (قتل في ٢٣ يناير ١٩١٣)

كامل باشا

الصدر الاعظم بعد احمد مختار باشا الغازي

فرديناند الاول ملك البلغار (آخر رسم له)

قسطنطين الاول ملك اليونان الجديد

جورج الاول ملك اليونان
قتل في سالونيك في ١٨ مارس ١٩١٣

تاريخ الحرب البلقانية

المصوّر

بين الدولة العثمانية ودول الاتحاد البلقاني

بقلم

سليم العقاد

الجزء الثاني

يشتمل على ثلاثة عشر رسماً وخريطتين حربيتين

ويطلب

من الورشة العثمانية في شارع كلوت بك (عطفة الوطن)

ومن المكاتب الكبرى

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩١٣

الجنرال كوتنتشيف

قائد الجيش الاول البلغاري

حسن رضا بك

قائد موقع اشقودره (قتل بعد وصول اسعد باشا)

وهيب بك
قائد حامية يانينا

حملة الحراب في فرقة الفرسان العثمانيين

اسعد باشا

قائد حامية اشقودره

نيازي بك

(قتل في البانيا)

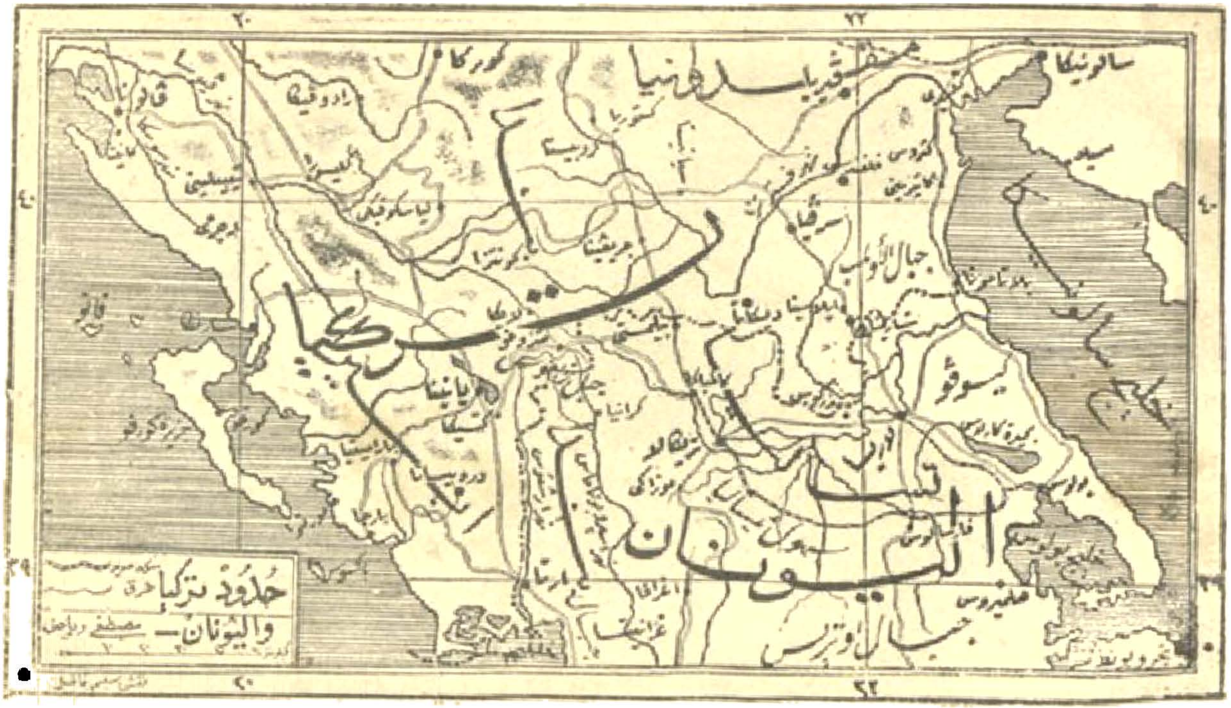

خريطة حدود تركيا واليونان (لمجلة الهلال)

تاريخ الحرب البلقانية

المصوَّر

بين الدولة العثمانية ودول الاتحاد البلقاني

بقلم

سليم العقاد

الجزء الثاني

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٣١٣

الفصل الاول

وقائع الجبل الاسود

أعلنت حكومة الجبل الاسود الحرب على الدولة العثمانية في الثامن من شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ أي قبل حليفاتها الثلاث بعشرة ايام ونحن شارعون الآن في سرد اخبار وقائعها الاولى

نقولا الاول

ملك الجبل الاسود

في الاساطير الصقلبية القديمة ان الله سبحانه وتعالى لما كوّن العالم انشق في يده كيس الحجارة التي كان يكوّن منها الجبال وتساقطت الى الارض فكانت منها تلك البقعة الصخرية السوداء المعروفة بالجبل الاسود

والجبل الاسود — ويسميه الاتراك قره طاغ — لا تزيد مساحته على ٣٦٣٠ ميلاً مربعاً يسكنها ٢٤٧ الف نسمة كلهم من ذوي النجدة والبأس

وعاصمة الجبل ستنجه وفيها ٤٥٠٠ نسمة

في سنة ١٨٥٢ رأى القيصر الروسي نقولا الاول ان يكافئ البرنس دانيلو بتروفتش على شجاعته وحبه فقلده — بعد الاتفاق

مع حكومة النمسا — امارة الجبل الاسود

وكان الجبل في ذلك العهد لايزال على الحالة التي وجد فيها يوم انشق كيس الحجارة فلا حالته الطبيعية تبدلت ولا اهلوه كانوا يختلفون عن اجدادهم الاقدمين الا في امر واحد وهو السلاح الذي كانوا يتقلدونه في اوساطهم وهو وحده كان عصرياً

ولم يكن للبرنس دانيلو عقب فارسل حفيده البرنس نقولا الى فرنسا يتخرج في مدرستها الحربية الكبرى (سن سير)

وفي سنة ١٨٦٠ قتل البرنس دانيلو بطعنة خنجر فاستدعي البرنس نقولا من المدرسة ليخلفه وكان لايتجاوز الثامنة عشرة من سنيه . وهذا ما خاطب به الجبليين يوم عودته :

« أيها الجبليون . لقد شاء البرنس دانيلو ان اكون انا خلفه لعلمه ان ليس احد يحبكم مثلي . فسأقفي آثاره فأحب ما أحب واريد ما أراد واحقق المستقبل الذي أعد لنا عدته و بدأ به »

وقد انجز البرنس نقولا وعده فوسع حدود امارته كثيراً عما كانت يوم تولى الامارة ثم عززها بميناء على الادرياتيك هو ميناء انتيفاري المعروف

وكان البرنس نقولا صديقاً حميماً للقيصر الروسي اسكندر الثالث الذي كان يقول : ان امير الجبل الاسود هو الصديق الوحيد لي في اوربا

ومما يؤثر عن هذا الامير جوابه لاحد نبلاء الاجانب وقد سأله

عن البضائع التي يصدرها الجبل الاسود الى الخارج . فقال له الامير : بناتي . . .

وقد أصاب فان اكبر كريماته وهي الاميرة ميلتزه اقترنت بالغرندوق الروسي بيار . والاميرة ستانا اقترنت بالغرندوق دي لشتنبرغ ثم من بعده بالغرندوق نقولا . والاميرة زوركا تزوجت زعيم اسرة قره جورجفتش وهو ملك الصرب الحالي وكان رفيقاً لابيها في مدرسة سن سير . وتوفيت سنة ١٨٩٠ . والاميرة آنا تزوجت البرنس دي باتنبرغ والاميرة هيلانة هي ملكة ايطاليا الحالية زوجة الملك فكتور عمانوئيل الثاني

ومن كانت هذه علاقاته مع اكثر الاسر المالكة في اوربا فاحر به ان يكون ملكاً . وقد لبس التاج في الثامن والعشرين من شهر اب (اغسطس) سنة ١٩١٠ فلم تبقَ حاجة في نفس يعقوب

جندية الجبل

لم يكن للجبل قبل سنة ١٩١٠ جندية منتظمة غير فرقة الحرس وفرقة من الضابطة . فكان كل الرجال الذين لا عاهة فيهم يمرنون على الحرب ويستدعون حين الاقتضاء لحمل السلاح

فلما كان شهر ايار من السنة المذكورة (١٩١٠) وضعت حكومة الجبل الاسود نظاماً عسكرياً وفرضت فيه الخدمة على كل صحيح

البنية من ابن ١٨ الى ابن ٦٢

وقد قلنا ان سكان الجبل الاسود لا يزيدون على ٢٤٧ الف نسمة فهم لا يستطيعون ان يجندوا اكثر من ٣٧ الف مقاتل

فرق الجيش

هؤلاء السبعة والثلاثون الفاً يوزعون على اربع فرق كل فرقة ثلاثة الوية من المشاة الا الرابعة فهي لواءان فقط

اما اللواء فيؤلف من : اربعة الى ستة طوابير وكل طابور اربع الى ثماني كتائب . طابور احتياطي . كتيبة فرسان للاستطلاع . كتيبة بلطجية ورجال تلغراف . بطاريتين مدفعيتين وكتيبة متراليوز

وتتناول الفرقة فوق ذلك : بلوكاً من الفرسان . كتيبة من ممهدي الطرق . كتيبة من رجال التلغراف . بطارية متراليوز . (اربع قطع) . بطارية مدفعية . طابور الهيأة الاداريه . كتيبة اعداد المراحل للجيش :

المدفعية

اما المدافع السهلية والجبلية فكانت كلها من نوع كروب من طراز قديم . يستثنى من ذلك

بطاريتان روسيتان من عيار ٧٦ من المدافع السريعة الانطلاق

ثلاث بطاريات ايطالية من عيار ٩٠ سهلية

اربع بطاريات روسية جبلية سريعة الانطلاق
ثلاث بطاريات جبلية ايطالية
ثم ان لدى الجبل بعض مدافع ثقيلة للحصار منها :

اربعة مدافع هاوون من عيار ٢٢٠ مليمتراً		ايطالية
اثنا عشر مدفع هاوون« « ٢٣٠ «		روسية
ثلاثة مدافع هاوون « « ١٥٠ «		ايطالية
ثلاث الى اربع بطاريات من عيار ١٥٠		—
ثلاث بطاريات من عيار ١٢٠		

وليس عند الجبليين فرسان ولا هياءات صحية ولا وسائل نقل ولا معدات تموين غير مركبات قديمة العهد

يتبين مما تقدم ان جيش الجبل الاسود اضعف من ان يستطيع انتهاج خطة هجوم بيد ان شدة بأس رجاله ومناعة جباله خولته قوة دفاعية من الدرجة الاولى

خطاب الملك الى الشعب

لما اعلنت حكومة الجبل الاسود الحرب على الدولة العثمانية وجه الملك نقولا الاول الى شعبه الخطاب الآتي :

« ان آمالي بالوصول الى وسيلة يتمكن بها الصربيون سكان الصرب القديمة من تحرير نفوسهم والنجاة مما هم فيه من العذاب والشقاء لم تحقق فلذلك لم يبق لي الآن الا ان امتشق الحسام

الذي لا ريب في ان له تاريخاً مجيداً . ذلك الحسام الذي تبعه الجبليون بسالة الى نكشتش وانتيفاري ودولسينو مع ان تقويض اركان السلم في اوربا يحملني عناء شديداً

يا أهل الجبل الاسود ان الحرب التي نشهرها حرب عادلة !وقد قضي الامر . ان الله سبحانه والحظ الذي يرافق العنصر الصربي يقدرنا على ايصال هذا الحظ الى اخواننا الذين في الشقاء

فعسى ان تتم احلام صباي الاولى لما انبأت بهذا اليوم العظيم في الاشعار التي نظمتها حينئذ ببركة الله والقديس بطرس شفيع الجبل الاسود وسائر القديسين وان تشعل في صدور شعبي نار الايمان ليزحفوا الى ما وراء حدود الجبل الاسود

عاش الجبل الاسود وعاش الاتفاق البلقاني   تقولا

الجيوش الجبلية الزاحفة

تألف من الجيش الجبلي وهو اربع فرق كما تقدم ثلاثة جيوش . وهذا بيانها :

الجيش الاول   تولى قيادته الجنرال مرتينوفتش — وهو وزير حربية الجبل الاسود — وقوامه الفرقة الاولى وجعل وجهته الجهة الجوبية الغربية من بحيرة اشقودره

الجيش الثاني عهد في قيادته الى الجنرال لازاروفتش . وقوامه الفرقة الثانية وقسم من الرابعة . وكانت وجهته اشقودره من الجهة الشمالية

الشرقية من البحيرة

الجيش الثالث كان يقوده الجنرال فوكوفتش وقوامه الفرقة الثالثة والقسم الباقي من الفرقة الرابعة . وكانت وجهته الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من الحدود

وهذا الجيش كان مستقلاً في حركاته الحربية عن الجيشين الاولين

القوات العثمانية المدافعة

تقيم في اشقودره في ايام السلم الفرقة الرابعة والعشرون العثمانية المستقلة فلما توترت العلائق بين العثمانية وحكومات البلقان عززت هذه الفرقة بفرقة اخرى من الرديف . فهاتان الفرقتان مع من ينضم اليهما من متطوعة الالبانيين — وهم كثيرون — ومع بعض الفصائل (من الفيلق السادس ومن فرقة دبرا) التي لم يتهيأ لها اللحاق بالجيش في كوما نوفو أصبحت قوة يعتد بها تحت امرة الفريق حسن رضا باشا

ميدان القتال

اما مدينة اشقودره فقائمة الى الجنوب من البحيرة وتحميها من الجهة الشمالية الشرقية ومن الجنوب سلسلة من القلاع والاستحكامات — كفوليمي وبردسيولي وبريدتزه — ومن الغرب قلعة طرابوش المنيعة القائمة في الجنوب الاقصى من الاكمات المشرفة من هذه الجهة على البحيرة وعلى المدينة من علو اربع مئة متر أو تزيد . وان هذه

القلاع والاستحكامات تنتشر في مسافة نحو خمسة وعشرين كيلومتراً

اما في الشمال — تجاه بلدة بودغورتزا الجبلية — فقائمة سلسلة استحكامات دنشتش وروغاي وشبتانيق وفلادنيا وفرانيا وهلم وهي تحوط بلدة توزي العثمانية شمالاً بغرب وغرباً بجنوب

واكثرية الاهلين في اشقودره والسهول المحيطة بها من المسلمين اما الجهة الشرقية فيسكنها الماليسوريون — وهم قبائل البانية كاثوليكية تقدر بنحو ثلاثين الفاً — وكان قسم منهم قد لجأ الى الجبل الاسود سنة ١٩١١ على اثر تمردهم فقاتلوا مع الجبليين بينما كان الارنؤوط والالبانيون المسلمون يقاتلون بجانب الجنود العثمانية

الفريق اسعد باشا

ويقول مراسل التيمس ان قد كان في اشقودره اللواءان السبعون والحادي والسبعون من فرقة النظام الحر . وقد تمكن الفريق اسعد باشا من الوصول الى اشقودره بفضل العقبات التي وضعها هذان اللواءان في سبيل تقدم الجبليين . والصحيح انه وصل اليها باللوائين الثامن عشر والحادي والعشرين من الفرقة نفسها . عدا الالوف من الالبانيين المستحكمة العداوة بينهم وبين الجبليين

المدفع الاول

صباح الاربعاء تاسع تشرين الأول (اكتوبر) كان الجيش الثاني بقيادة الجنرال لازاروفتش لا يزال في بودغورتزه وكان الملك

قولا ونجله البرنس ميركو وحاشيته قد وصلوا من ستنجه والناس في الطريق يلاقونهم بالهتاف

قال مكاتب الديلي ميل : فصعد الملك الى رابية تشرف على حصن دنشتش العثماني وعلى الروابي المجاورة له فلما دقت الساعة الثامنة وقف الملك منتصباً ونزع قبعته عن رأسه ورسم علامة الصليب على صدره . ولم تمض هنيهة حتى سمع انطلاق اول قنبلة من مدافع الجبليين — وكان مطلقها البرنس بطرس اصغر انجال الملك قولا — فوقعت على بطارية عثمانية في بلانيتزا فتصاعد حين انفجارها عمود من الدخان في الهواء . واجاب العثمانيون باطلاق مدافعهم على الجبليين وكانت الموسيقى تعزف النشيد الجبلي الوطني والملك يراقب قنابل مدافعه بانتباه عظيم

قال المكاتب وقد رأيت قنبلة جبلية سقطت في خندق عثماني ففر الجنود الذين فيه فامر الملك ان يقام مركز رئاسة جيشه في ذلك الموضع . وكان القتال بجوار بلدة توزي في مكان يبعد ثماني ساعات الى الجنوب الغربي من بودغورتزه »

وقائع الجيش الثالث

كان الجيش الثالث يوم اعلان الحرب متألباً في كولاسين فعهد اليه في الزحف على ايبك من جهتي برانا و يلافا ثم صد الحاميات العثمانية في شمالي سنجق نوفي بازار واحتلال تلك البقعة الى ان يلتقي بالجيش

الصربي الزاحف في الوجهة عينها . ثم بعد ذلك الزحف من ابيك على ديا كوفا و بريز رند وابقاء حامية فيها وارسال ما يتبقى لديه من الجيش لتضييق الحصار على اشقودره

الحاميات العثمانية

كان في براانا و بلافا وبيلوبولي و بلالية حاميات من الجيش النظامي يعضدها جانب من الرديف او المستحفظ ومتطوعة الالبانيين وربما كان الجميع عشرة طوابير (من ٦ الى ٨ الاف) . اما البلاد فجبلية متوعرة تتخللها اودية وخنادق طبيعية

دخول برانا

ففي التاسع من الشهر جعل الجنرال فوكوفتش جيشه أربعة صفوف عهد الى الاول بالزحف على برانا شمالاً والى الثاني على بلافا جنوباً والى الثالث بالتقدم الى بيلوبولي شمالاً ايضاً . اما الاول فتمكن بعد مناوشات خفيفة وسير بطيء بسبب وعورة الطرق من بلوغ هضبات بوغانا (غربي برانا) في ١٥ منه حيث غنم مدفعين . وفي ١٦ منه استأنف القتال . فلما كان الليل استحوذ الذعر على ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ من الرديف العثماني او الباشبزق ففروا في جهة روغاي فطاردهم الجبليون واسروا منهم مئتين وغنموا ثلاثة مدافع

وبلغ الجبليون برانا فقابلهم فيها بعض الكتائب النظامية وهي في

خنادقها بيد ان الجبليين تحوطوهم من كل جانب فـلـوا فاخذوا منهم خمس مئة اسير واربعة عشر مدفعاً و٧٠٠ الى ٨٠٠ بندقية . وتمكن الباقون من الفرار بسائر ما كان لديهم من المدافع

وكانت قد ارسلت من ايبك الى برانا كتيبة عثمانية فبلغتها الجبليون في مضيق صخري في الجهة الشمالية الغربية من روكوفو (على مسافة ١٥ كيلومتراً من ايبك) فافنوها عن آخرها . وبقي مئتان مع زعيمهم [illegible] فاخذوا أسرى . وبلغ عدد القتلى والجرحى من العثمانيين زهاء الالف

هذا الفوز اكسب الجنرال فوكوتش نوط (مدالية) اوبيلتش وهو اعلى الاوسمة العسكرية في الجبل الاسود

أخذ بلافا

اما القسم الثاني فزحف الى الجنوب ووجهته بلافا وكوزينية . قاومه العثمانيون في الاستحكامات التي اقاموها على جبل فيزيتور فتمكن من الاستيلاء عليها في ١٣ منه بعد ان دافع العثمانيون عنها دفاع الابطال وغنم منهم اربعة مدافع متراليوز

وبعد ستة ايام استولى على بلافا (في ١٩ منه) بعد قتال عنيف واخذ من العثمانيين مئتي اسير . وقد ابلى الالبانيون في هذه المعركة احسن بلاء ويقول الجبليون انهم وجدوا بين قتلى العثمانيين — وكانوا بين ٥٠٠ و٦٠٠ — نساء وفتياناً صرعى وفي ايديهم السلاح

اما الجبليون فلم تتجاوز خسائرهم في برانا و بلاقا مئة قتيل وثلاث مئة جريح

الاستيلاء على ايبك

ثم التحم القسمان الآخران وزحفا على ايبك — ما عدا كتيبة بعثوا بها الى روغاي فاستولت عليها بدون مقاومة — فبلغاها في ٣١ منه وكانت حاميتها قد غادرتها فدخلها الجنرال فوكوتتش بسلام

الاستيلاء على بيلوبولي

اما الصف الثالث من جيش الجنرال فوكوتتش فاستولى في ١٣ منه على بيلوبولي في الشمال بعد قتال خفيف استمر الى الساعة الرابعة بعد الظهر واقام فيها حكومة عسكرية وملكية موقتة

الاستيلاء على بلالية

وزحف الصف الرابع شمالاً ايضاً بقيادة الجنرال بوبوفتش فجاز نهر تارا واستولى على مرتفعات تسرنيغر ورد الحامية العثمانية الى بلالية

وفي ٢٩ منه التقى جناح الجنرال بوبوفتش الايمن بقوة عثمانية تناهز الالف متحصنة بخنادقها فانتشبت بين الفريقين معركة عنيفة تمكن الجبليون في خلالها من خرق صفوف العثمانيين ودخول المدينة حيث استمر القتال في شوارعها الى المساء وكانت خسائر الفريقين كبيرة بالنسبة الى عدد المتحاربين

ولم يبق وراء بلالية حامية عثمانية فان الذين كانوا باقين منهم جازوا الحدود الى البوسنه فامسكت الحكومة النمسوية منهم ٧٧ ضابطاً و١٢٠٠ جندي وحجزت اسلحتهم ووزعتهم على ثكناتها في المجر

التقاء الجبليين بالصربيين

وكان في اثناء ذلك ان التقى الجيشان المتحالفان الجبلي والصربي بعضهم في جهة بيلوبولي وروغاي وبعضهم في جهة سيانتزه ونوفي بازار

الاستيلاء على ديا كوفا

في اليوم التالي لدخول الجبليين الى ابك وصل اليها الصربيون قادمين من مترو فتزا فشرع الجنرال فوكوتتش في الزحف على ديا كوفا. وفي ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) التقى في منتصف الطريق بكتيبة عثمانية فتصدى لها لواء فاسوجيفتش وحده فدحرها وغادرت في ميدان القتال ستين قتيلاً وثمانين جريحاً

ثم حمل الجنرال فوكوتتش على ديا كوفا من الشمال وحملت عليها من الجنوب قوة حربية قادمة من بريزرند ومعها مدفعية قوية فسقطت في حوزتهم بعد قتال بضع ساعات

وانتهت مهمة الجنرال فوكوتتش فبعث بمعظم جيشه الى اشقودره وزحف الصربيون في الوقت نفسه على الاسيو فسار قسم منهم في الطريق التي سار بها الجبليون واجتاز القسم الاخر نهر درين الابيض وبلاد المردة

وقائع الجيش الثاني

الاستيلاء على حصن دنشنش

قلنا ان جيش الجنرال لازاروفتش استولى في ٩ منه على مرتفعات بلانيترا . وهذه المرتفعات قائمة الى شمال حصني دنشنش وروغاي فزحف الجبليون منها على الحصن الاول و بعد قتال استمر اربع عشرة ساعة استولوا عليه في ١٠ منه وغنموا اربعة مدافع

ويقول مكاتب الديلي تلغراف ان قد أسر في هذه المعركة البنباشي سيف الدين بك قائد الحامية مع اربعة من ضباطه وكثيرين من جنوده

وفي اليوم التالي سقط الحصن الثاني حصن روغاي

تسليم شبتانيق وهلم

وفي ١٢ منه هاجم الجبليون الاستحكامات العثمانية الممتدة حتى فرانيا فاستمر القتال بالمدافع النهار بطوله وبعض الليل وسلم العثمانيون في صباح ١٣ منه

وكان الجبليون في اليوم نفسه قد خصصوا ست بطاريات لضرب حصن شبتانيق — الذي يحمي بلدة توزي — بينما كانت ميمنتهم تضرب استحكامات هلم وبضعة آلاف من الماليسوريين يلتفون حول استحكامات أرزا وهوتيت فرأى قائد حامية شبتانيق انه اصبح محصوراً فخاطب الجبليين في الرجوع الى اشقودره فرفض البرنس دانيلو هذا الشرط واستأنف الضرب فلم يسع العثمانيين الا التسليم .

وكان ذلك عند ظهر ١٤ منه وفي ١٥ منه سلمت هلم

وبلغت خسائر الجبليين في هذه المعارك مئتي قتيل وستمائة جريح . وخسائر العثمانيين ٥٠٠ الى ٦٠٠ قتيل وغنم الجبليون سبعة آلاف بندقية وعشرة مدافع ومقداراً كبيراً من الذخائر واسروا ثلاثة آلاف عثماني في جملتهم ٦٢ ضابطاً

حامية توزي

وقال مكاتب التيمس بمناسبة سقوط توزي : كان في هذه البلدة اللواء الثاني والسبعون من الفرقة الثانية والعشرين من فرقة النظام الحر (فرقة كونشانا) وعدد جنود هذا اللواء ثلاثة آلاف وخمسمئة مقاتل ما عدا من كان منضوياً تحت لوائه من السكان المسلحين ويقدرون بألف وخمسمائة فقطعت عليهم الجنود الجبلية الزاحفة خط الرجعة واضطرتهم الى التسليم

وقضى الجبليون بعد هذا الفوز اربعة ايام في اجتياز البحيرة والمستنقعات الكثيرة حول هلم والتجمع في كوبليك . وفي ٢٠ منه التفوا حول حامية فرا كا العثمانية من مرتفعات مراناج ليفتحوا طريقاً للالتحاق باخوانهم المحاصرين اشقودره في الجهة الشمالية الشرقية

البلاغ العثماني الرسمي

وكان العثمانيون في عاصمة السلطنة يتوقعون انباء الحرب بصبر

فاقد وهذا تعريب البلاغ الرسمي الاول الذي قرؤوه عن المعارك الجبلية الاولى وهو مؤرخ في ١٤ اكتوبر

(رسمي) لما كانت النجدات قد وصلت الى قواتنا في كوسنجه (كوسينا) اخذت هذه القوات خطة الهجوم فردت الجبليين الى ما وراء حدودهم . ولا يزال القتال نائشباً في اراضي الجبل الاسود واصيب الجبليون بخسائر جسيمة . اما القتال حول برانه فلا يزال عواناً . وقد وجه الجبليون قنابل مدافعهم الى مستشفاها

وقد قاومت فصيلتنا التي في توزي الفرقتين الجبليتين اللتين كان بعض المالبسوريين يعاونهما مقاومة شديدة جداً . ولا يزال القتال دائراً بشدة لا مزيد عليها . وقد استشهد في ساحة القتال اليوزباشيان كامل بك وصلاح الدين بك

وكان القتال الذي بدأ البارحة بهجوم الجبليين في جهة اكرانيا دموياً جداً وانتهى بانتصار جنودنا الذين اظهروا مهارة وشجاعة فائقة . وقد استشهد القومندان سعد الدين بك الذي اشترك في هذا الهجوم . وكانت خسائر الجبليين في واقعتي توزيه وكرانيا عظيمة جداً

اما الصربيون فقد اجتازوا الحدود في جهتي طاشليجه ونوفي بازار تعززهم قوات حربية . وقد التحق بهم صربيون عثمانيون ولا يزال القتال نائشباً في نقط كثيرة على هذه الحدود حيث الفوز لا يزال معقوداً لجنودنا . اه

وقائع الجيش الاول

فشل الجبليين الاول

تحرك الجيش الاول بقيادة الجنرال مرتينوفتش في ١٠ منه من ميناي دولسينيو وانتيفاري فجاز الحدود من ناحيتين فسار القسم الاكبر على مقربة من بحيرة اشقودره . وسار القسم الثاني جنوباً فالقى جسراً خشبياً على نهر بويانا ودخل الارض العثمانية

اما الاول فالتقى بالعثمانيين في جوار سكيا فدحرهم واقترب من زوغاي — ثم حاول في ١١ منه ان يباغت قلعة طرابوش بهجمة ليلية . وكانت القوة المهاجمة لا تزيد على الف مقاتل فبصر العثمانيون بهم واصلوهم من مدافعهم وبنادقهم ناراً حامية وقتلوا منهم في بضع ثوان ثلاث مئة وجرحوا ست مئة . ولم ينج من هذه الكارثة سوى ما يقارب المئة من الرجال

قلعة طرابوش

قال مكاتب الجرنال : طرابوش اكمة علوها ٥٧٦ متراً محصنة جنباتها على الطراز العصري وفقاً لمواضع الجنرال فون درغولتز الالماني فليس فيها والحالة هذه اسوار ولا ابراج . وانما هنالك خنادق وابراج على وجه الارض يحميها ستون مدفعاً ضخماً ومئة مدفع متراليوز

وخمسة عشر الف مقاتل . ثلثهم من مسلمي الالبانيين او الارنؤوط . والثلث الثاني من الجيش النظامي او الرديف والباقون من الباشبزق يتولى قيادتهم الضابطان اسعد بك وحسن رضا بك

وتبدو طرابوش بالنظارة المكبرة من مسافة اثني عشر كيلومتراً . ومن حولها اربع قمم . الى الميمنة قمة كراجا ووراءها شيروكا غورا . والى الميسرة قمة مورتزان والى جانبها قمة اوبليكا

حصار اشقودره

ادرك الجنرال مارتينوفتش بعد ما لحق به من الفشل ان قلعة طرابوش لا تؤخذ الا بحملات قانونية وحصار شديد فأتى بالمدافع الضخمة لهذه الغاية وانصرف لاعداد سائر معدات الحصار

وكان القسم الثاني من جيشه — الذي جاز نهر بويانا — قد استولى في ٢٠ منه على بلاج واصبح قادراً ان يحمي الحملة من الميمنة

وكانت الفرقة الثانية قد بلغت فراكا و بدأت بضرب المدينة ثم انصلت الامطار العرمرمية بدون انقطاع فحالت دون مواصلة الحركات الحربية

وفي ٢٤ منه استولى الجبليون على قمة شيروكا شمالاً وقمة مورتزان غرباً فنصبوا ستة مدافع على قمة فراكا وبطارية فوق قمة كراجا وعشرة مدافع فوق قمة مورتزان وبضع بطاريات فوق قمة شيروكا و بدؤوا بضرب طرابوش ولكن نجاحهم فيها كان قليلاً جداً

وحاول العثمانيون بين ٢٦ و ٢٨ منه بحملاتهم الليلية على شيپر وكا ان يخربوا الانشاءات الجبلية فما استطاعوا . كما ان الجنرال مرتينوفتش اخفق ايضاً في هجمته على بريدنزا . بيد ان الفرقة الثابتة المرابطة شرقي البحيرة تمكنت بمساعدة الماليسوريين من الاستيلاء على بوكجي وصد هجمة قام بها ثلاثة او اربعة طوابير عثمانية

وفي ٣٠ منه هاجمت هذه الفرقة جبل بردنيول . ويقول الجبليون ان العثمانيين خدعوهم برفع الراية البيضاء فلما اقتربوا اصلوهم ناراً حامية فخسر الجبليون بين قتيل وجريح نحو مئتين وبقي الموقع في حوزة العثمانيين

ورأى الملك نقولا ان يلجأ الى التهويل فبعث برسول يحمل الراية البيضاء يطلب من قائد الحامية التسليم كما فعل اخوانه في قرق كليسة وكوماتوفا . فاجابه حسن رضا بك : «انا وحدي في هذا الحصن السيد المطلق . وما دمت حياً فطرابوش لا تعرف التسليم . ان طرابوش قد انقذت حتى هذه الساعة شرف الجند العثماني »

ومما يروى ان بعض اهالي اشقودره تمردوا يوماً فحول حسن رضا بك فوهات مدافعه الى ناحية المدينة ورمى المتمردين بقنابله . . .

وتبين للجبليين ان طرابوش لا تسلم مختارة ولا تؤخذ عنوة فلم يبق لهم الا تضييق الحصار من حولها . ولكن قوات الجبل الضعيفة لم تستطع ان تقوم باعباء هذه المهمة كما يجب فكان نطاق الحصار في الجهة الشرقية ضعيفاً علاوة على بقاء مسافة تزيد على عشرة كيلومترات

مفتوحة بين بريدنزا و بردنيول كما بقيت مفتوحة طريق الجنوب وهي طريق الاسيو ودوراز و فكانت ترد منها الى اشقودره المؤن والذخيرة واحياناً النجدات . فتفادياً من هذه الحالة بدا الجنرال مرتينوفتش ان يستولي على هذين الثغر ين البحريين فجاز نهر بويانا من قرب مصبه ودحر قوة عثمانية قوامها طابوران في سفح اكمة تعرف باسم القرية المجاورة لها بربلوشي بيد ان فيضان نهري درين و بويانا واتصال المناوشات وخشية الجنرال مرتينوفتش من ان يقطع عليه خط الرجوع كل ذلك اضطره الى العودة من حيث اتى

على ان الجنرال زورسيكوفتش حاول الامر نفسه بعد بضعة ايام بلربعة طوابير و بطاريتين فنجح و بلغ سن جان دي مدوى في ١٦ تشرين الثاني (نوفبر) حيث القى اليخت الملكي مراسيه

وفي ١٨ منه زحف على الاسيو فالتقى بعد كيلومترين بقوة عثمانية تناهز الف مقاتل كان يأثرها من خلف جيش صربي قادم من ديا كوفا و بريزرند فاشترك الجيشان في المعركة فخسر الجبليون زهاء مئة قتيل وجريح ثم دخلوا مع الصربيين الاسيو فسلمت حاميتها . وترك الصربيون فيها حامية كبيرة احتل جانب منها سن جان دي مدوى وانتشر الجانب الاخر بين بربالوشي و بوزاني فكان للجبليين منهم عون كبير على الحصار

استبسال العثمانيين

وحمل العثمانيون في ٣١ ت ٢ على شيروكا فصدهم الجبليون .

فانتظروا اربعة ايام ثم هاجموا موقع بردنيول فلم يفلحوا ايضاً ولكنهم الحقوا بأعدائهم خسائر كبيرة . ثم في ٢ كانون الاول (دسمبر) حملوا على موقع اوبليكا حملات صادقة فنابت الجبليين من جرائها خسائر عظيمة ثم خف اطلاق القذائف من الجانبين . أما الجبليون فبالنظر لضعف ميزانيتهم لم يرضوا ان يجازفوا بقذائفهم وهم يعلمون ان كل قذيفة تكلفهم مبلغاً طائلاً . وأما العثمانيون فلأنهم رأوا في عدم المجازفة وسيلة لتطويل مدة الدفاع

ثم جاء ثالث كانون الاول الذي عقدت فيه المدنة فاستقبلها جنود الجبل الاسود بسرور لان هذه الحرب المستمرة منذ ثلاثة اشهر اضعفت عزائمهم حتى تداولت الالسنة ان الجبليين ضموا على ملكهم المرم مطامعه التي اراق في سبيلها دماء الالوف من رجال الجبل هدراً . . . .

بيد ان حساب الحقل لم يجئ على حساب البيدر فان حسن رضا بك رفض المدنة واستأنف في ٨ و ١٠ و ١١ كانون الاول حملاته على موقعي شيروكا واوبليكا . وكانت مدفعيات طرابوش وبريدنزه تحمي هجمات المشاة التي كان يصدها الجبليون المتحصنون في مواقعهم ولكن بعد ان كانت تنوبهم نوائب

وفي ١٨ منه هاجم الجيش المحصور طلائع الصربيين جنوباً ونهب القرى المسيحية على ضفاف نهر درين كستيكا وكولسي وهيلي وبستولي واضرم في الاخيرة النار

ووصلت من الاسيو نجدة صربية فاشتبكت في ٢٢ منه مع العثمانيين في شمالي بربلوشي واستمر القتال حتى ٢٤ منه فرد الصربيون العثمانيين الى استحكاماتهم ولكن بعد ان خسروا ستة ضباط ومئتي جندي بين قتيل وجريح

وفي ٢٥ منه هاجم العثمانيون اعداءهم من الجهة الشمالية والقوا الاضطراب بين جنود الفرقة الثانية في شمالي غوليمي

ثم جددوا حملاتهم على اوبليكا في اول كانون الثاني (يناير)

وعلى الجملة فقد كان يتعذر على الجبليين ان ينالوا من خصومهم منالاً الا بنفاد ذخائرهم ومؤنهم فكان يتحتم على هؤلاء ان يحرصوا على ما لديهم منها جهد استطاعتهم . بيد ان حميتهم ابت عليهم الا ان ينكلوا باعدائهم ما استطاعوا فرأينا الجيش المحاصر احرص على توفير ذخيرته من الجيش المحصور

الفصل الثاني

وقائع الجيش الصربي

الجندية الصربية

الخدمة العسكرية اجبارية في الصرب من سن ١٧ الى الخمسين على الوجه الآتي :

من ٢١ الى ٣١ سنة في الترتيب الاول

من ٣١ « ٣٨ « « « الثاني

من ٣٨ « ٤٥ « « « الثالث

ثم من ١٧ الى ٢١ ومن ٤٥ الى ٥٠ في الميليس

ومدة الخدمة في الجيش النظامي سنتان للفرسان وثمانيــة عشر شهراً لسائر الفرق

الجيش الصربي

يتناول الجيش : لوائين كل منهما الايان وكل من الالايين اربعة طوابير

الاي فرسان قوامه ثلاثة بلوكات

الاي مدفعية قوامه تسع بطاريات

كتيبة هندسية

ومجموع رجال الفرقة سبعة عشر الفاً وخيلها ٥٣٠ ومدافعها ٣٦

ثم فرقة احتياطية تتناول افراد الترتيب الاول الذين لم يدخلوا في الفرق النظامية . وهي لا تختلف عنها في كيفية تأليفها

وفرقة فرسان قوامها لواءان و بطاريتان مدفعيتان واللواء الايان وكل الاي اربعة بلوكات

وخمس فرق من افراد الترتيب الثاني كل منها ثلاثة الايات مشاة والاي فرسان و بلوك مدفعية

خمس فرق من افراد الترتيب الثالث كل منها ثلاثة الايات مشاة وبلوك وفرسان

الاي مدفعية جبلية

الاي مدافع ميدان

جنود القطارات (وهم يبلغون عشرين الف جندي و ٦٠٠ ضابط)

السلاح الصربي

افراد الترتيب الاول مسلحون ببنادق موزر (١٩٠٠) من عيار سبعة مليمترات

وافراد الترتيب الثاني ببندقية موزر — كوكا

وافراد الترتيب الثالث ببندقية بردان

واما مدافعه فمن طراز شنيدر ٧٥ (١٩٠٨)

التعبئة الصربية

صدر الامر بتعبئة الجيش الصربي في اول تشرين الاول (اكتوبر)

واقسم الى اربعة جيوش . فتولى الملك بطرس القيادة العامة وعهدالى الجنرال بوتنيك برئاسة اركان الحرب والى الكولونل متشيش بالرئاسة الثانية

الجيوش ومواقفها

جعل الجيش الاول بقيادة البرنس اسكندر ولي العهد . والجنرال بوجونتش رئيس اركان حربه . وكان مرابطاً في مورافا العليا . وكانت خطته اتباع الخط الحديدي الممتد من نيش (الصرب) الى اسكوب وقوامه خمس أو ست فرق منها ثلاث على الاقل من افراد الترتيب الاول .

والجيش الثاني بقيادة الجنرال ستيفانوفتش . تألب في قسطنديل (بلغاريا) وقوامه فرقتان أو ثلاث احداها من افراد الترتيب الاول

والثالث بقيادة الجنرال جانكوفتش . تجمع في كرسومليه (جنوبي غربي نيش) وقوامه فرقتان أو ثلاث ربما كانت واحدة منها من الترتيب الاول

والرابع تحت امرة الجنرال جيكوفتش . وهو مستقل عن الجيوش الثلاثة الاولى وقوامه فرقتان من الترتيب الثاني أو الثالث . تجمع في كرالياقو (شمالي نوفي بلزار)

المتطوعة

قال مكاتب الجورنال : كانت احدى شرازم المتطوعة بقيادة

الضابط الصربي فوغو تنكوزيت الذي يلقبونه بمورات الصربي لشجاعته وجرأته . وهي من اشهر فرق المتطوعة مع ان رجالها لا يزيدون على الستين من البشناق والصرب القديمة والجبل الاسود وفيهم اثنان من المسلمين . ومما فعلوه في اواخر اكتوبر ان قائدهم قسمهم قسمين فامر قسماً بان يستولي على حصن فاسيلي تاز الواقع على مسافة كيلو مترين من ميردار فهاجمه الثلاثون متطوعاً مستقتلين وكانوا لا ندحة لهم عن الائتمار بامر قائدهم فاختاروا من بينهم اربعة بالقرعة فدنوا من الحصن والغموه فتقوض وهلك كل من فيه وكانوا مئتين من الارنؤوط ووصلت على اثر ذلك قوة البانية كبيرة فطاردت المتطوعين فاعتصموا بحصن صغير صربي . فلما كان الليل جاء الارنؤوط بمدفع ودمروا ذلك الحصن وسألوا الصربيين التسليم فابوا واستمروا يقاتلون الى ان وافتهم نجدة من الجيش النظامي فانقذتهم وكان الباقون منهم عشرين فقط

القوات العثمانية المدافعة

كان للعثمانيين في ميدان القتال في مقدونيا ثلاثة فيالق : الفيلق الخامس (سلانيك) والسادس (مناستير) والسابع (اسكوب) وكل فيلق ثلاث فرق . تلحق بها ثلاث فرق مستقلة ال٢٢ وال٢٣ وال ٢٤ المرابطة في كوزاني ويانيا واشقودره وفرقة فرسان

ثم يضاف اليها ايضاً فرقتا رديف من الترتيب الاول · الثالثة عشرة في مناستير والخامسة عشرة في اسكوب . واحدى عشرة فرقة

رديف من الترتيب الثاني

على ان واحدة فقط من فرق الاناضول تصل الى ميدان القتال وهي التي اشتركت في انكسار جيش تحسين باشا

وكانت القيادة العامة في عهدة الفريق علي ضيا باشا فلم يترك لمقاومة اليونانيين والصربيين غير الفرق الثلاث المستقلة وثلاث فرق رديف . ثم ابقى بعض الحاميات من المستحفظ غالباً في سنجق نوفي بازار وغيره وجمع كل ما بقي لديه من القوات لصد الجيوش الصربية وكانت اربعة صفوف

في القلب الجيش الاكبر تحت امرة زكي باشا وكان بين اشتب واسكوب وقوامه الفيلق السادس بقيادة جاويد باشا . وفرقتان من الفيلق السابع (١٩و٢١) بقيادةفتحي باشا . والفرقة الخامسة عشرة من رديف الترتيب الاول واربع فرق رديف من الترتيب الثاني من افراد سلانيك ومناستير واسكوب واشتب . وفرقة فرسان في شمال كومانوفو بقيادة فائق بك

وفي الميسرة في ضواحي برشتينه الفرقة الثالثة من الفيلق السابع وفرق رديف الترتيب الثاني من افراد برشتينه وجيلان . وكان هذا الجيش بقيادة توفيق باشا

وفي الميمنة الفيلق الخامس بقيادة علي نحر باشاوهو الذي ارسلت منه الفرقة الرابعة عشرة الى وادي ستروما وكانت الفرقتان الثالثة عشرة والخامسة عشرة بين اشتب وسترومنزه تعضدهما فرقتا رديف من

الترتيب الثاني بمنزلة الجناح الايمن بجيش القلب بقيادة قره سعيد باشا ورابطت في المؤخرة (في جهة بريليب) احتياطاً بعض فرق الرديف الباقية

المناوشات قبل اعلان الحرب

قبل اعلان الحرب رسمياً هاجمت الجنود العثمانية النظامية الحاميات الصربية على الحدود مرتين — ولعل الغاية من هذه الحملات كانت عرقلة اعمال التعبئة الصربية

ففي ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) عند الساعة السادسة صباحاً جاز الآي من الفيلق العثماني السابع الحدود من ناحية فرانيا فلم يجد امامه غير خفراء الحدود والموظفين الجمركيين فجرب فيهم اسلحته . ثم اقبل الآي المشاة الصربي الثاني فرد المهاجمين الى ما وراء الحدود وبلغت خسائر الصربيين ٨٦ قتيلاً ومئة جريح

ثم في ١٦ منه جاز العثمانيون الحدود ثانية من جهة برشتينا فظفر بهم الصربيون — الذين جربوا فيهم هذه المرة مدفعياتهم — وانسحب العثمانيون بعد ان تركوا في ميدان القتال مئتي صريع . اما خسائر الصربيين فلم تتجاوز الخمسين قتيلاً وجريحاً

وقائع الجيش الصربي الثالث

معركة قوصوه

اعلنت الحرب في ١٨ تشرين الاول فجاز الجيش الثالث —

بقيادة الجنرال جنكوفتش — الحدود من مضيق مردار وزحف على الميسرة العثمانية من وادي لاب فالتقى به في ١٩ منه شرقي بودنيافو واسفرت المعركة عن انكسار العثمانيين في ٢٠ منه تاركين في ميدان القتال مقداراً كبيراً من الذخائر والمؤن وطابوراً من الاسرى

وفي ٢٢ منه تلاحم الجيش الصربي في سهل قوصوه مع معظم قوات الفريق توفيق باشا فدارت الدائرة على العثمانيين وانسحبوا الى الجنوب (١)

دخول برشتينا

وعند الساعة الخامسة ونصف من مساء اليوم نفسه دخل الصربيون برشتينا وكان الارنؤوط متحصنين بالمنازل والاقبية فافتتحها الصربيون بيتاً بيتاً

ثم استأنف الجيش الثالث زحفه بعد ذلك بعضه من ناحية جيلان والبعض الآخر من ناحية كجانيق

---

(١) قال الكولونيل بوكابيل : في هذا السهل جرت في سنة ١٣٨٩ معركة طاحنة بين العثمانيين والصربيين فانكسر هؤلاء شر انكسار — في عهد ملكهم استفان التاسع — فانتقم جندي صربي يدعى اوتلستا من السلطان مراد الاول بان قتله بطعنة خنجر بخدعة . فبني ضريح في ذلك المكان ضم جثتي القاتل والمقتول وكان مزاراً . فلما فاز الصربيون هذه المرة اقاموا الخفراء على هذا الضريح بعد ان ادوا له التحية العسكرية الواجبة

وقائع الجيش الثاني

جاز الجيش الثاني الحدود بقيادة الجنرال ستيفانوفتش في ٢٠ تشرين الاول وزحف على كراتوفا في صفين متقابلين فبلغها الساعة الاولى بعد الظهرفاستحوذ على اهاليهاجزع شديد فبرحوها مذعورين الى كوفانوفو

وكانت الى ميسرة الجيش الصربي قوة بلغارية جازت الحدود من ناحية تساريفوسيلو وزحفت على كوتشانا

وفي مساء ٢٢ منه وصل الجناح الايمن او صف الميمنة من الجيش الصربي الى ستراجين — وهي تبعد نحو ثلاثين كيلو متراً عن كوفانوفو . ووصل صف الميسرة الى كراتوفو

وقائع الجيش الاول

تحرك الجيش الصربي الاول من فرانيا بقيادة ولي العهد في ٢٠ منه فصد جنود التغطية العثمانية في بوجانوفتز وروجان فانسحبت الى تبانوفتز بعد ان نسفت جسر السكة الحديدية فاصلحه الصربيون في اليوم نفسه

وفي ٢٢ منه التقت الطلائع الصربية بالطلائع العثمانية على مسافة بضعة كيلو مترات من كومانوفو شمالا

معركة كومانوفو

اشتبكت هذه المعركة يوم الاربعاء في ٢٣ تشرين الاول نحو الساعة الثانية بعد الظهر على مسافة ستة كيلومترات من كومانوفو شمالاً من ناحية تبانوفتز. وكان العثمانيون هم المهاجمين بقيادة الفريق زكي باشا

حمل الفيلق العثماني على الجيش الاول الصربي وكان الافق متلبداً بالضباب والمطر ينهمر سيولاً فثبت الصربيون ولكنهم لم يستطيعوا حتى المساء ان يتقدموا خطوة واحدة لان مدفعيتهم لم تشترك في القتال بسبب الضباب

وعند الساعة ١ من فجر ٢٤ منه هاجم الصربيون هجمة ليلية واستولوا على بعض المواقع الامامية . وكانوا قد نصبوا مدفعياتهم فوق مرتفعات ستراكا وكرايكان (على ضفتي نهر بانسكا) وجاءتهم نجدة من الجيش الثاني بمدفعيتها فكانت الجيش الاول بمنزلة الجناح الايسر فحملوا على العثمانيين في استحكاماتهم الكائنة شمالاً وشمالاً بشرق حملات متوالية فبدأ الضعف في الفيلق السابع العثماني ولكنه لم يتزحزح عن مواضعه . وكان الجيش الثاني الصربي يتهدد ميمنته فقدم زكي باشا الفيلق السادس ولكن قبل ان تتم هذه الحركة كانت المدفعيات الصربية قد اصلت الفيلق السابع ناراً حامية فكانت القذائف تتساقط في صفوفه كالمطر الزاخر فتشتتها فلم يستطع الفيلق على شدتها صبراً

واستحوذ عليه ذعر شديد ففر لا يلوي على شيء

ومع ان خسائر الصربيين في ابتداء القتال كانت كبيرة لان مواقعهم كانت مكشوفة فان خسائر العثمانيين بعد ذلك كانت فاحشة حتى ان ثلاثة بلوكات من الفرسان حصدتها المدافع الصربية حصداً

وقد لقب بعضهم هذه المعركة بمذبحة — وكان في محطة كومانوفو شاهدعيان — لهول ما جرى فيها . وبدأ الهلع في فرقة رديف اسكوب

وعند الساعة العاشرة صباحاً احتل الجيش الاول كومانوفو والمرتفعات القائمة الى غربيها ووادي ليكوفو

وزحفت الميمنة الصربية على اعقاب الفيلق السابع فاستولت على سلسلة مواقع حربية في مرتفعات ماجيسي

ورأى الفيلق السادس ان الصربيين يوشكون ان يلتفوا حوله في اثر الفيلق السابع

وكانت القوات البلغارية في اثناء ذلك قد دحرت جيش قره سعيد باشا في ضواحي كوتشانا فاصبح الجيش الصربي الثاني محمية ميسرته فزحف على سهل اوفتش (شمال كوبرولو) فوجد هناك مقادير من العدد الحربية والذخائر مؤذنة بان العثمانيين كانوا يستعدون للقتال في ذلك السهل

وانسحب جيش الغرب — الجيش العثماني — في وجهة مناستير بعضه بطريق كوستيغار (كوستوفو) وبعضه بطريق بريليب . وكانت خسارته عشرة الاف مقاتل منهم ستة الاف قتيل

دخول الصربيين اسكوب

وقد قال فرنسوي من متوطني اسكوب وكان شاهد عيان : وصل الهاربون من كومانوفو الى اسكوب كالسيل العرم وكانوا قد مشوا الليل كله بدون غذاء (حتى ان بعضهم لم يذوقوا طعاماً من يومين) وكانوا يتضورون جوعاً . كانوا يصلون زرافات ووحداناً لجاحظة عيونهم شاحبة وجوههم كأنَّ دوي المدافع الصربية لا يزال يدوي في اذانهم وكانوا يصرخون : « الكفار وصلوا » وكانوا يكذبون

واستولى الذعر على رجال المدفعيات ايضاً فترجلوا وانصرفوا وهم لا يدرون اين يذهبون تاركين في اسواق اسكوب ١٨ مدفعاً . الى ان اتفق مرور احد الضباط بعد ساعة فانتزع من هذه المدافع خزنات القذائف . واجتمع الضباط في الساعة الثانية بعد الظهر فرأوا الجند على هذه الحالة فقالوا لهم : « اذهبوا حيث تشاؤون فلسنا نريدكم » فرموا بنادقهم ونزعوا ثيابهم العسكرية وتشتتوا في كل وجهة

وكانت اسكوب تحت رحمة هؤلاء الجنود فرأى القناصل ان يحموها من النهب فسلموها للصربيين فدخلوها في ١٦ تشرين الاول ثم دخلها بعد اسبوع الملك بطرس الصربي دخول الظافر

الارباح والخسائر

وغنم الصربيون في كومانوفو واسكوب ثمانين مدفعاً (ومن اول الحرب ١٢٣ مدفعاً) و ٦٠ مدافع رشاشة ومقادير كبيرة من الذخائر

تملأ ثلاث مئة مركبة حديدية وزيادة

اما خسارتهم فكانت ثلاثة الاف بين قتيل وجريح بينهم كثيرون من الضباط . حتى ان الاي المشاة السابع لم يسلم من ضباطه غير اثنين

معركة بريليب

ارتد الجيش العثماني من كومانوفو واسكوب ووجهته بريليب وتيتوفو فعهد الفريق توفيق باشا الى مؤخرة جيشه (الجناح الأيمن) في حماية فريزوفتش ومضايق قجانيك وجمع سائر قواته في تيتوفو (كلكندلن)

وكان الجيش الثالث الصربي يتبع العثمانيين عن كثب فاستولى في ٢٦ منه على فريزوفتش حيث غنم عشرة مدافع وخسر ثلاثين رجلاً . واحتل في اليوم نفسه بدون مقاومة مضايق قجانيك و بلدة جيلان شمالاً . ثم ارسل قوة لتزحف على بريزرند

وكانت قوات قره سعيد باشا قد اصبحت محصورة بين البلغاريين الزاحفين من كوتشانا والجيش الصربي الثاني الزاحف من سهل اوفتش فلم يسعها الا الارتداد على ضفة نهر فردار اليمنى

وفي هذا اليوم ثار اهالي اشتب ودخل الصربيون المدينة

اما في القلب فكانت فرقة الفرسان بقيادة البرنس ارسين قره جورجيفتش شقيق الملك بطرس تطارد العثمانيين في الجهة الجنوبية

الشرقية متقدمة معظم قوات الجيش الصربي الاول فالتقت في ٢٦ منه بفرقتين او ثلاث فرق عثمانية هي البقية الباقية من جيش زكي باشا وكانت منسحبة في جهة بريليب فدحرتها

وفي ٢٧ منه انفصل جيش الغرب العثماني عن جيش الشرق فان الفرسان البلغاريين استولوا في ديموتيكا على الخط الحديدي وكانت البحرية اليونانية صاحبة السيادة في بحر ايجه فلم يبق من سبيل لهيأة اركان الحرب العثمانية العامة في الاستانة ان تنجد جيش الغرب بشيء سواء كان من القوات او من الذخيرة والمدد . فرأى هذا الجيش ان ينسحب الى الجنوب توقعاً للمدد من البانيا وعزم الصربيون على تأثرهم الى مناستير فابقوا بعض الحاميات في البلاد التي افتتحوها ثم زحفوا على الترتيب الآتي :

الجيش الاول بقيادة البرنس اسكندر وفيه اربع فرق من افراد الترتيب الاول ووجهته بريليب

الجيش الثاني بقيادة الجنرال ستيفانوفتش وفيه فرقتان من افراد الترتيب الثاني . ارسل بطريق قسطنديل لمعاونة البلغاريين على حصار ادرنه

الجيش الثالث بقيادة الجنرال جنكوفتش . وفيه ثلاث فرق من الترتيب الثاني وقسم من الجيش الرابع وكان زاحفاً عن ميمنة الجيش الاول

ففي ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) التقت قوة حربية مختلطة (فرسان

ومشاة) في مضيق دمير قبو بقوة عثمانية من جيش قره سعيد باشا فحوطتها من كل جانب ثم هاجمتها فاخذت الفرسان الاكثرين اسرى وتمكنت الاقلية من الانسحاب شرقاً . ثم تقدم هؤلاء الفرسان طوابير المشاة ووجهتهم سلانيك فبلغوا في ٥ منه دواران فوجدوا اهاليها قد اخذوا رجال الحامية العثمانية اسرى فتسلمهم الكولونل زولوفتش قائد الآي فرسان الدانوب الاول

اما الجيش الزاحف غرباً على مناستير فكان الى ميمنته بعض الجيش الثالث متتبعاً جهة تيتوفو وكوستوفو وكيرشيفو والى الميسرة الجيش الاول قاصداً كوبرولو وبريليب

على ان الجيش الثالث احتل في اول تشرين الثاني تيتوفو وفي ٣ منه كوستوفو . وكان نحو عشرة طوابير عثمانية على مسافة نحو اربعين كيلو متراً فجاءت كيرشوفو وانضمت الى حاميتها - وكانت طابورين او ثلاثة - فتهيؤوا للمقاومة وكانت تعضدهم خمس بطاريات مدفعية منصوبة على مرتفعات تشرف على ميدان القتال من علو سبع مئة الى ثماني مئة متر

وفي ٣ منه مساء وصلت الطليعة الصربية فباغتها العثمانيون واصلوها ناراً حامية . وفي ٤ منه اقترب الصربيون من الجناح الايسر العثماني وحملوا عليه في صفين احدهما من امام وكان يقوده الكولونل نيدتش والثاني من الجناح بقيادة القومندان مارتش فارتد العثمانيون نحو مناستير تاركين الفاً من القتلى والجرحى وخسر الصربيون

٢٥٠ رجلاً

واما الجيش الاول فزحف على بريليب وكان قد تألب فيها زهاء عشرين طابوراً عثمانياً يعضدها عشرون مدفعاً فتحصنوا في بقعة جبلية متوعرة واشتبك القتال في ٤ منه . وكان البرد ووعورة الطرق من اكبر العقبات في سبيل تقدم الصربيين خصوصاً انهم لم يستطيعوا في البدء ان يقابلوا البطاريات الاربع العثمانية الا ببطارية واحدة واصابت فرق المشاة بقيادة البرنس اسكندر خسائر كبيرة . وتعذر عليهم انشاء استحكامات في تلك الصخور فاتخذوا من جثث قتلاهم حصوناً . . . .

ثم جاءتهم نجدة في ٥ منه بوصول الالاي السابع عشر فانسحب العثمانيون ودخل الصربيون بريليب بعد خسارة ثلاثة الاف مقاتل بين قتيل وجريح . اما خسارة العثمانيين فبلغت الستة الاف

معركة مناستير

تمكن قائد جيش الغرب العثماني — بفضل ثبات فرقتي المؤخرة في كيرشوفو وبريليب — ان يجمع في مناستير كل ما بقي لديه من القوات والمدافع فكانت ستين الف مقاتل منها حاميات ومنها رديف ومنها الباقون مع البقية الباقية من جيش كومانوفو و ٨٠ مدفعاً من كل الاشكال

اما موناستير فقائمة في سفح جبال بابا على ضفة نهر كرنا اليمنى

وعلى مدخل المضيق المؤدي الى رسنا فالبانيا . وتشرف عليها من الشمال سلسلة مرتفعات محاذية لضفة نهر سمنكا اليمنى . وتحميها بعض استحكامات حصينة جانب منها مصفح

فانشأ العثمانيون خنادق في السهل واقاموا خط دفاع فوق المرتفعات شمالي مونلستير . ثم وزع حسن رضا باشا جيشه كما يلي :

في القلب الفيلق السابع بقيادة فتحي باشا

وفي الميسرة الفيلق السادس بقيادة جاويد باشا

وفي الميمنة « الخامس « زكي باشا

وفي المؤخرة قوة باقية خصصت لصد اليونانيين الزاحفين من باتنزه

وكان يقابل هذه القوة من الجهة الصربية الجيش الاول وكان زاحفاً من ضفة نهر كرنا اليسرى والقسم الذي ارسل الى مناستير من الجيش الثالث وكان الى الضفة اليمنى . على ان الجيش الاول لقي بعد مغادرته بريليب مشاق كثيرة في اجتياز تلك الطرق المتوعرة في خلال عواصف ثلج وامطار حولت اليابسة الى مستنقعات

وكان هذا الجيش زاحفاً على الترتيب التالي تأهباً للقتال . وذلك من اليمين الى الشمال : فرقة مورافا اولاً (من الجيش الثالث) ثم فرقتا درينا والدانوب (من الجيش الاول)

اما تيموك فابقيت احتياطاً على طريق بريليب

بدأت المناوشات الاولى في ١٣ ت ٢ وكانت فرقة الفرسان الصربية قد التقت في جوار دوبر ومير بقوة عثمانية فهاجمتها ثم حصرتها

واضطرتها الى التسليم

اما المركة فتشبت في يومي ١٤ و ١٥ منه في مسافة خمسين كيلومتراً تقريباً . ومع كل الصعوبات التي وصفناها تمكنت فرقة موارفا من بلوغ الضفة اليسرى من نهر سمنكا ثم غوبس وكرنفس في حين كان الفرسان في الميسرة القصوى يحتلون كيمالي

وزحف القلب على كركلينا في بقعة كثيرة المستنقعات بينما كانت البطاريات العثمانية تمطرها من المرتفعات وابلاً من القذائف النارية . وفي ليل ١٥ - ١٦ منه استولى جناح فرقة موروافا الايمن على المرتفعات الكائنة بين اوبلا كوفو وكوستا وفي ١٦ منه طوقوا العثمانيين من كل جانب وصمموا على عدم المجازفة بجنودهم والا تكال على المدفعية

ثم هاجموا العثمانيين هجمة ليلية في ١٦ - ١٧ منه فاستولت فرقة مورافا على هضبة كيروماركا وفرقة درينا على هضبة كركلينا

ورأى العثمانيون انهم غير قادرين على الثبات فامر زكي باشا (في الميمنة) بالانسحاب الى فلورينا . وبفضل تلك الضباب استطاعت ثمانية طوابير الى عشرة وبلوكان وبطاريتان من الانسحاب جنوباً فتأثرها الفرسان الصربيون وتمكنوا بمساعدة فرقة درينا من تشتيتها والفوز بمدافعها . اما الجنود التي نجت فسلمت مع حامية بانتزه في قبضة اليونانيين

وحاول جاويد باشا وفتحي باشا الانسحاب نحو رسنا بجيشيهما فتعذر عليهما ذلك لان الجناح الايمن الصربي كان قد نصب مدفعياته في المرتفعات فاصبح المضيق المؤدي الى رسنا تحت رحمته

فلم يروا بدًّا من الرضى بالطريق الباقية مفتوحة امامهم وهي الجبال فسلقها جانب منهم وفي الجملة جاويد باشا نفسه . وهؤلاء سيشتبكون قريباً أيضاً مع الجنود اليونانية والصربية المطاردة لهم

وسلمت مناستير بمن بقي فيها في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) بعد كتال اربعة ايام وثلاث ليال خسر فيها الصربيون ثمانية الاف مقاتل وخسر العثمانيون عشرة الآف و ٥١ مدفعاً منها ٣٦ اخذتها فرقة دربنا

ويقول الصربيون انهم اخذوا فوق ذلك عشرة الاف اسير في عدادهم ثمانية قواد وفتحي باشا في الجملة

وقد اثنى مكاتب الجورنال على بسالة الجنود الصربية التي كانت تقاتل والجذل ملء افئدتها فجازت المستنقعات وغاصت في المياه حتى الركب ثم تسلقت هضاباً محصنة تحميها المدافع وبلغ ارتفاعها ١٢٨٠ متراً واستولت عليها

ودخل البرنس اسكندر مونلستير في ١٩ تشرين الثاني ثم جاءها البرنس قسطنطين ولي العهد اليوناني (وهو اليوم الملك قسطنطين) محيياً الأمير الصربي

ثم ارسل الصربيون فرقة موراڤا فاحتلت في ٢١ منه رسنا ثم زحفت على اوخريده فاستولت عليها في ٢٩ منه

وزحف في الوقت نفسه لواء متحرك تحت امرة الكولونل ميلوفانوفتش على كير شيفو ودبرا فدحر امام هذه البلدة قوات كبيرة يعضدها متطوعو الالبانيين

على ان كثيرين من الجنود المشتتين سلموا بعد ذلك للصربيين وفي الجملة تسعون ضابطاً و ٢٥٠ جندياً سلموا لقائد الحامية الصربية الصغيرة في بوغرانس في آخر شهر كانون الاول (دسمبر)

وقائع الجيش الرابع

عهد الى الجيش الصربي الرابع وكان تحت امرة الجنرال جيكوفتش باحتلال لواء نوفي بازار ومساعدة الجبليين . فانقسم شطرين : احدهما جيش ايبار وكانت وجهته بلدة نوفي بازار . والثاني جيش بوزيكا ووجهته سيانتزه

زحف جيش ايبار

جاز هذا الجيش الحدود في ١٨ تشرين الاول من جبال ايبار ووصل الى نوفي بازار في ٢١ منه . وكان في هذه البلدة ثلاثة طوابير أو اربعة نظامية وثلاثة الى اربعة الاف ارنؤوطي . وكانت حاميتها متحصنة في حصون قديمة فشرع الصربيون في ضربها كل نهار ٢٢ منه ثم حملوا عليها في ٢٣ منه فسلمت

وكانت خسائر العثمانيين ثلاث مئة قتيل وسبع مئة جريح وخسائر الصربيين خمس مئة قتيل وجريح . وغنم هؤلاء كل ما كان هناك من المدافع

ثم زحف الجيش على متروفتزه فاستولى عليها في ٢٦ منه ثم ام ايبك فكان وصوله اليها بعد استيلاء الجبليين عليها

جيش بوزنكا

زحف هذا الجيش في صفين الاول جعل وجهته سيانتزه جنوباً ومرَّ بمضايق جامبوز . والثاني زحف على بريبولي شمالاً من مضايق نوفا فاروك . فاستولى الاول في ٢٢ منه على الاستحكامات التي كانت تحمي المضيق واسر طابوراً من العثمانيين . ثم حمل على سيانتزه واستولى عليها في ٢٤ منه وغنم خمسة عشر مدفعاً . وفي اليوم التالي انضم الى احدى فرق جيش الجنرال فوكوتتش

أما الثاني فاستولى في ٢٠ منهُ على استحكامات نوفافاروك وزحف على بريبولي فدخلها في ٢٧ منه وغنم فيها ستة مدافع

وفي ٢٩ منه استولى على بلاليه بالاشتراك مع الجبليين وتمَّ بذلك افتتاح سنجق نوفي بازار بجملته

وقد ابقيت في هذا السنجق بعض فرق الجيش الرابع بمنزلة حامية لمطاردة العصائب الالبانية

***

وكان الجيش الصربي الثالث قد ارسل من قجانيك في ٢٧ تشرين الاول قوة لاحتلال بريزرند فاستولت عليها في ٣٠ منه بعد ان قاتلت الجنود النظامية والمتطوعين قتالاً شديداً . ولجأ بعض الارنؤوط الى قنصلية النمسا فتأثرهم الصربيون وقتلوهم في داخلها . لم يعبؤوا باحتجاجات القنصل المسيو بروشسكا ولا اعتبروا شعار الحكومة النمسوية

ثم انضموا الى الجبليين الزاحفين على ديا كوفا فاحتلوها معاً في ٦ تشرين الثاني . ثم مشى صفان احدهما من ديا كوفا والاخر من بريزرند ووجهتهما الادرياتيك فبرح صف الميمنة ديا كوفا في ١٠ منه ومشى الى جانب الجبليين في وادي درين وكان فيه ثمانية طوابير من فرقة درينا . اما صف الميسرة فاجتاز اودية درين الابيض وماتي في بلاد المردة وكان فيه سبعة طوابير من فرقة شوماديا

وكان هذان الصفان يملكان ايضاً ست كتائب رشاشة و بطاريتين من مدافع الميدان ومدفعين من ذوات القذائف الضخمة وثلاثة بلوكات من الفرسان . وكان الكل تحت امرة الجنرال يولوفتش

جاز هذا الجيش مسافة مئة كيلومتر في بلاد جبلية متوعرة لا طرق فيها ولا جسور فوق انهرها حتى كان الرجال يضطرون الى جر المدافع الغارقة في الثلج بايديهم — وكان يبلغ علوه في بعض الاماكن متراً — وكان البرد في الدرجة الخامسة عشرة تحت الصفر

وقد رأينا — عند بسط الوقائع الجبلية — الصربيين في الاسيو حيث أبقوا حامية كبيرة وزحفوا على دورازو فدخلوها في ٢٨ تشرين الثاني بعد ان شتتوا في مضيق ماتي بعض الطوابير العثمانية النظامية

ثم انضمت اليهم في دورازو بعض الكتائب القادمة من دبرا واوخريده وكانت تصل اليهم المؤن بفضل اليونانيين مالكي البحر

الفصل الثالث

الوقائع اليونانية

الجيش اليوناني

تم وضع القانون العسكري الجديد في بلاد اليونان في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ وبدأ بالعمل بموجبه في منتصف الشهر الثاني فالخدمة اجبارية ومدتها اربع وثلاثون سنة . منها اثنتان في الجيش النظامي و١٠ في الاحتياطي الاول و٩ في الاحتياطي الثاني و٧ في الحرس الوطني و٧ في احتياطي الحرس

الجيش النظامي

الجيش النظامي اربع فرق قوامها : ثلاثة الايات مشاة كل الاي ثلاثة طوابير . بلوك مدافع رشاشة . الاي فرسان . الاي مدفعية (طوبجية) بثماني بطاريات . طابور هندسة . بلوك قطارات . بلوك صحي

وكذلك الفرق الاحتياطية هي مؤلفة على هذا النحو

سلاحه

وتولى تدريب الجيش اليوناني منذ سنة ١٩٠٨ بعثة فرنسوية بقيادة الجنرال ايدو

اما مدافع الجيش فرنسوية وكذلك بندقيته فهي من نوع

مانليشر ١٩٠٣
وتحشد الحكومة اليونانية على قدم القتال ١٣٥ الف مقاتل لكنها تستطيع ان تزيدها عند الاقتضاء الى ١٨٥ الفاً

التعبئة

بدأت الحكومة اليونانية بتعبئة جيشها في اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ وانتهت من حشده في ١٧ منه اي قبل اعلان الحرب بيوم واحد

وقد انضم الى الجيش النظامي متطوعة الكريتيين والقاريبلديين

اقسام الجيش

حالة البلاد الطبيعية اقتضت قسمة الجيش اليوناني الى قسمين تفصل بينهما سلسلة جبال بندوس. فكان الى الشرق خمس فرق (١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥) تحت امرة البرنس قسطنطين ولي العهد وهو جيش تساليا وكان معسكره العام لاريسا ومهمته مهاجمة القوات العثمانية المرابطة وراء الحدود بينما الجيوش البلغارية والصربية والجبلية تهاجمهم في الوقت نفسه من الشمال والشمال الشرقي والشمال الغربي

وكان الى الغرب فرقة واحدة تحت امرة الجنرال سابوندا كيس ويلحق بها القسم الاكبر من متطوعة الكريتيين والقريبلديين وهذا جيش ابيرية وكانت وجهته يانينا

وكان الاسطول اليوناني يعضد في بعض المواقع الجيش . وسنفرد للحركات البحرية فصلاً مخصوصاً

القوات العثمانية المدافعة

كان لدى العثمانيين في تلك الضواحي الفرقتان المستقلتان الثانية والعشرون والثالثة والعشرون . وكانت الاولى في كوزياني والثانية في يانينا حيث تتألف ايضاً فرقة رديف موضعية . وكانت فرقة اخرى من رديف الاناضول قد جيء بها بطريق البحر وستصل الى فيريا في ٢٠ منه ويكون لها شأن في الحركات الحربية ضد جيش ولي العهد

هذه القوات كلها — مع بعض العصابات الالبانية — هي تحت امرة الفريق حسن تحسين باشا وهو شيخ في نحو الخامسة والستين من العمر كان حين اعلان الحرب والياً ليانينا

ثم كان يقدر ان في بيريه جيشاً لا يقل عن خمسة عشر الف مقاتل . وان في ناحية كوزياني جيشاً آخر قوامه ١٥ الى ٢٠ الفاً

على ان الفريق تحسين باشا عهد في قيادة جيش يانينا الى البنباشي وهيب بك وتولى هو قيادة الجيش المرابط شرقي جبال بندوس

الخطة اليونانية

بدأ الجيش اليوناني والاسطول الحركات الحربية في يوم اعلان الحرب في ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٢ فانقسم الجيش

قسمين على ما تقدم زحف الاول شرقاً بقيادة البرنس قسطنطين وزحف الثاني غرباً بقيادة الجنرال سابوندزاكيس . فنبدأ بوصف وقائع الجيش الاول

وقائع الجيش الشرقي

قلنا ان قد كان معهوداً الى الجيش اليوناني الشرقي بالاشتراك مع الجيوش البلغارية والصربية الزاحفة من الجهة المقابلة بتشتيت القوات العثمانيـة في الغرب . وكانت هنالك عدا الفرق التي ذكرناها الفيالق النظامية الخامس والسادس والسابع بقيادة الفريق زكي باشا وكان مجموع الجيش تحت امرة الفريق علي رضا باشا

وتتناول وقائع هـذا الجيش عهدين : في الاول يدحر قوات تحسين باشا ويزحف على سلانيك رأساً لاهميتها في نظر اليونانيين سياسياً ودينياً وعسكرياً . اما سياسياً فلانها اعظم المدن العثمانية واهمها بعد الاستانة ولان اربعين الفاً من اهاليها يونانيون . وكان البلغاريون طامعين بالاستيلاء عليها فبدا لليونانيين ان يسبقوهم . واما دينياً فلانها كانت قديماً مركز المتروبوليت الارثذكسي . واما عسكرياً فلان احتلالها يسهل على اليونانيين امر ايصال الميرة والذخيرة الى الجيوش المتحالفة ويمنع المواصلات بين الجيوش العثمانية والبحر وبينها وبين الاستانة . ويتناول العهد الثاني زحف هذا الجيش نفسه من سلانيك

الى مناستير حيث تألبت بقايا جيش زكي باشا بعد تشتتها امام الجيش الصربي

معارك الاسونا

كان القسم الاكبر من جيش ولي العهد يوم اعلان الحرب مرابطاً في ضواحي لاريسا والفرقة الخامسة في ضواحي تريكالا غرباً. وكان على القوة الكبرى ان تجتاز جبال اولمب وتفرعاتها ثم تتجه جهة الاسونا من طريقين الاول من مضيق ملونه والثانية من جهة بلاتامون وهي قلعة على بحر ايجه غير محصنة متصلة بالحدود اليونانية بخط حديدي لم يشأ العثمانيون السماح بتمديده حرصاً على موقع سلانيك . فزحفت في صفين تتقدمها الفرقتان الاولى والثانية فاتجه صف الميسرة جهة مولوغستا واتجه صف الميمنة جهة الاسونا من مضيق ملونة . وكانت الصلة بين هذين الصفين كتيبة زاحفة من جبال ايلياس على غولا وفلسنيكون

ولم يتقدم تحسين باشا بجيشه نحو الاسونا ولكنه ابقى في الطليعة خمسة او ستة طوابير و بطاريتين . وحشد معظم قوته — وكانت ١٥ الى ٢٠ طابوراً و بلوكين او ثلاثة بلوكات بطاريات — على مسافة خمسة عشر كيلو متراً شمالاً بحيث يحمي مضايق وادي سرندو بورس الاعلى الصخري

وعلى الجملة فكانت القوات العثمانية ممتدة من الشمال الى الجنوب

وفي الوسط زاوية معترضة كانت الطليعة عليها متحصنة في خنادق واستحكامات انشأتها في سفح الاكام الواقعة شرقي الاسونا وغربيها وجعلت المدفعية في دير بناغياس

وكان امام هذا الموقع سهل فسيح مزروع قطر دائرته خمسة او ستة كيلومترات لا تحميه سوى بعض غابات في الشرق او الجنوب الشرقي

المناوشات الاولى

بدأت المناوشات الاولى بين طلائع الجيشين في يوم اعلان الحرب في استحكامات ملونة المتخربة فلم يلبث العثمانيون ان اخلوها بعد ان اضرموا فيها النار. فزحف صف الميسرة دون ان يلقى مقاومة تذكر حتى اصبح على مساواة الجناح الايمن

وفي ١٩ منه تقابل العثمانيون واليونانيون (الفرقة الاولى) فتبادلوا القذائف المدفعية. وكان رمي العثمانيين شديداً بيد ان قذائفهم كانت غير صالحة فبعضها كان ينفجر قبل وصوله والبعض الآخر لا ينفجر على الاطلاق فكان الفوز والحالة هذه للمدافع اليونانية في المناوشات الاولى

وحملت الفرقة الثانية على الجناح الايمن من قلب الجيش العثماني بينما كانت كتيبة زاحفة من منحدرات كوكولي على الميسرة بغية قطع خط الرجوع على العثمانيين فانتبه هؤلاء لهذه الحركة وانسحبوا قبل تمامها

استمرت هذه المعركة اربع ساعات فلم يدخل اليونانيون الاسونا الا في الليل . وغنموا سبعة مدافع واخذوا اربعين اسيراً وكانت خسائرهم ثلاثة ضباط و١٥ جندياً قتلوا ونحو مئة جرحوا

اجتياز مضيق سرندوبورس

وحشد اليونانيون قواتهم في اليوم التالي فكانت القوة الكبرى والفرقتان الاولى والرابعة في القلب والفرقة الرابعة في الطليعة فزحفت على خان حاجي زوغو ومضيق سرندوبورس فكانت بينهم وبين العثمانيين مناوشات خفيفة في هذا النهار . الى ان كان اليوم التالي (٢٢ منه) فالتقى الجيشان الكبيران والتحما

اما مضيق سرندوبورس فتتقدمه هضبة مسطحة تهبط نحو سهل الاسونا من منحدر خفيف لا يزيد على سبعة كيلومترات كله ادغال واشجار . وان كل جانب من جوانب هذه الهضبة واد عميق يستحيل العبور فيه لان جوانبه ذاهبة عمودياً بحيث كانت قطعتان مدفعيتان كافيتين لتمزيق أي جيش سول له الجنون المغامرة فيه مهما كان كبيراً . فلم يكن لليونانيين والحالة هذه من سبيل لبلوغ المضيق الا بصعود الهضبة من الجهة الامامية . وكان العثمانيون متحصنين في استحكاماتهم في اعلى المنحدر وناصبين مدفعياتهم في مواضع اختارها لها الضباط الالمانيون ومدافعهم مركوزة في خنادق تحجبها الادغال . وعلى الجملة فان موقفهم كان يمكنهم من التنكيل بالعدو الزاحف من كل جهة

بدأت المعركة منذ الصباح فزحف المشاة اليونانيون تعضدهم مدفعية قوية وشرعوا في تسلق المنحدر وصخوره الجرداء حتى بلغ فريق منهم القمة واشتبكوا مع خصومهم بالسلاح الابيض فلم تكن الساعة التاسعة من المساء حتى انسحب العثمانيون

وكان في ليل ٢١ — ٢٢ منه ان الفرقة الخامسة والطابورين الاول والرابع من جيش افزون تحت أمرة الكولونل جناديس استولت على دسكاتا بعد قتال عنيف . واستولت في الميمنة كتيبة أخرى من فرقة افزون تحت أمرة الكولونل كونستنتوبولو على فلاهولي فازون بعد ان افنت طابورين عثمانيين كاملين

ورأى هؤلاء اليونانيين يتهددون الجناحين بعد تضعضع القلب فتقهقروا الى سرفيجه تاركين عشرين مدفعاً وصناديق ذخيرة ومركبات مختلفة

وفي مساء ٢٢ منه نقل ولي العهد معسكره الى زلينستا

أما خسائر اليونانيين فكانت ١٨٧ قتيلاً بينهم ١٨ ضابطاً و١٠٨٧ جريحاً بينهم اربعون ضابطاً

احتلال سرفيجه

بعد معركة سرندوبورس ارسل ولي العهد فرقة من الاسونا على كاتريني . وستلحق هذه الفرقة الجيش الاكبر ليلة معركة فردار

أما بقية الجيش فاستتبع الزحف على سرفيجه . وكان الى الميسر

الفرقة الخامسة ولواء فرسان فاحتلا وادي فسترتزا الاعلى ثم جازا النهر. وكانت الفرقة الرابعة هاجمت المؤخرة العثمانية فصدتها فدخل اليونانيون سرفيجه في ٢٢ منه نحو الساعة العاشرة مساء ووجدوا فيها سبعين جثة من نساء واولاد وكهنة مشوهة تشويهاً فزاد هذا المشهد المؤثر في حمية الجند فثأروا العثمانيين كل الليل وشتتوهم. حتى اذا طلع صبح ٢٣ منه كان لواء الفرسان بقيادة الكولونل سوتسوس استولى على الجسر الممدود فوق نهر نسترتزه

وغنم اليونانيون — علاوة على غنائم معركة سرندوبورس — مدافع وذخائر ومركبات مهملة وسبع مئة اسير بينهم سبعة ضباط. على ان الفرقة الثانية والعشرين العثمانية تخلت لليونانيين عن كل عددها الحربية وفي جملتها بطارياتها

وارتاح جيش ولي العهد في ٢٤ منه ثم استأنف الزحف في ٢٥ منه. فاحتل لواء الفرسان بدون مقاومة مدينة كوزياني (٢٧ الف نسمة) بين الاسونا ومناستير وبين كستوريا وفريا. واحتلت فرقة ماتيوبولو (الخامسة) بدون مقاومة ايضاً بلدة كريفينا الى الجنوب الغربي من كوزياني عند تفاريق الطريق المؤدية من كوزياني الى يانينا ومن كستوريا الى تريكالا ودسكاتا

الزحف على سالونيك

ارتد العثمانيون بعضهم في جهة كيلار شمالاً وبعضهم في جهة فيريا شرقاً

وعلم ولي العهد ان في ضواحي مناستير قوة عثمانية كبيرة فرأى ان يتحوط لصيانة جيشه من الشمال في زحفه الى الشرق فاقام الفرقة الخامسة الى الميسرة بمنزلة جيش تغطية فسارت في جهة بانتزه . وستلتقي بسائر الجيش بعد زحفه من سلانيك الى مناستير على ما سيجيء

الاستيلاء على فيريا

زحف جيش ولي العهد على فيريا في صفين : اكبرهما تتبع طريق كتانيا ومضايق تريبونوس . والثاني توغل شمالاً بطريق كيرواليفازي

وقد اشتبك الصفان في ٢٨ منه مع فرق المؤخرة العثمانية في الناحيتين ولئن كان القتال في جهة كاتانيا احمى وطيساً حيث غنم اليونانيون قطار ذخائر ثم احتلوا في اليوم التالي فيريا بدون قتال وبهذا الاحتلال انقطعت مواصلات زكي باشا مع سلانيك — وكان يتلقى منها ميرته وذخيرته — اما الجيش اليوناني فاتخذ مركزاً موقتاً لاستيراد الميرة والذخيرة بلدة الفتر وكوري على خليج سلانيك وكانت قد احتلتها فرقة الميمنة القصوى التي زحفت من الاسونا على كاتريني بطريق وادي مفرونيري . وكانت الجنود العثمانية قد ناوشت هذه الفرقة قليلاً في مضايق اولمب ثم ارتدت امامها في ٢٩ منه في كاتريني بعد قتال استمر اربع ساعات

وكان ان انزلت في خليج كساندره قوات يونانية جديدة وكان

موكولاً اليها امر الزحف على سلانيك بطريق بوليجيروس وكلانستا . وكان الصرب في وادي فردار والبلغاريون في وادي ستروما قد صدوا في الوقت نفسه القوات العثمانية وجعلوا وجهتهم سلانيك

احتلال ينيجه

ورأى ولي العهد ان يحمي مؤخرته من الجهة الشمالية الغربية ويتجنب نهر قره ازمق بعد خروجه من بحيرة ينيجه فمال بمعظم جيشه نحو نيوستا واحتل فودينا ثم هبط بفرقه على العثمانيين المتألبين بين ينيجه وفردار

وكان تحسين باشا قد حشد في ينيجه وجوارها نحو ثلاثين الف مقاتل هم بقايا الفرقة الثانية والعشرين وفرقة رديف الاناضول وطوابير حامية سلانيك ونحو ثلاثين مدفعاً . وكانت البحيرة تحمي ميسرته وكتيبة تحمي جسور الطريق والسكة الحديدية شرقاً

اشتبكت المعركة في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) فثبت العثمانيون حتى المساء دون ان تستطيع حملات اليونانيين ان تزحزحهم

وفي ٣ منه وصلت فرقة كاتريني وحاولت ان تلتف حول الميسرة العثمانية . فلما ادرك العثمانيون هذه الحركة تضعضعت صفوفهم ثم انسحبوا تاركين الفي قتيل وخمس مئة اسير واربعة عشر مدفعاً كبيراً واربعة رشاشة

اما خسائر اليونانيين فكانت ٣٩ قتيلاً بينهم ثمانية ضباط و٩٣٧

جريحاً بينهم ١٥٠ ضابطاً

نسف فتح بلند

وفي اثناء ذلك تمكنت النسافة اليونانية ٢ بقيادة اليوتنان نوميس من اطفاء انوارها والدخول خلسة الى ميناء سالونيك حيث نسفت السفينة العثمانية فتح بلند دون ان تنتبه لها في دخولها حاميات القلاع من جانبي الخليج

حول سالونيك

وكان ان الصربيين اقتربوا من الشمال الغربي واحتل فرسانهم في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) دوارات وصدت احدى كتائبهم العثمانيين الفارين من ينيجه الى الشمال . وان البلغاريين بقيادة الجنرال تيودوروف اقتربوا من الشمال والشمال الشرقي والتحم فرسانهم في ٤ منه مع الفرسان اليونانيين في جهة ابوستولار كما اقترب اليونانيون الزاحفون من جهة البحر فاصبح موقف سالونيك من احرج المواقف

التسليم

اما تحسين باشا فاتقى الخطر الذي كان يتهدد جيشه بان نسف الجسرين الممدودين على نهر فردار وجسر السكة الحديدية والجسر الخشبي على الطريق قرب طوبشين بيد ان المهندسين اليونانيين تمكنوا من اصلاحهما بكل سرعة

ولم يكف الجيش العثماني ما كان عليه الجنود من ضعف العزائم وخور الهمم فجاء ذعر السكان في سالونيك ضغثاً على ابالة. وكان قد وصل اليها — عدا الفارين من الجنود — خمسون الفاً من مسلمي تلك النواحي وعمت الفوضى وساد الخوف فارسلت الدول العظمى بوارج حربية لحماية رعاياها. ولكن لم يكن وجود هذه البوارج كافياً وحده لاتقاء النكبات المتوقعة فسعى قناصل الدول بالاشتراك مع رجال حكومة سالونيك الملكيين لدى تحسين باشا في ان يكفي هذه المدينة المكتظة بالخلق ويلات القتال في الشوارع خصوصاً ان المسلمين هم الاقلية فيها. ورأى تحسين باشا ان العدو يقترب من كل صوب وانه ليس لديه مدافع ولا ذخيرة كافية وان ليس من ورائها غير اراقة الدماء على غير طائل فاذعن للنصيحة ورضي بالتسليم

وكان اليونانيون قد اجتازوا نهر فردار في ٦ منه وبلغت فرسانهم من الامام والميسرة بجيلار وحاولت الالتفاف في جهة غرادوبور وايفالي حيث كان الجيش العثماني. وبينا هم يتأهبون في اليوم التالي للزحف جاءتهم رسل تحسين باشا مفاوضة في التسليم

وطلب تحسين باشا بدأة ذي بدء ان يبقى للجيش سلاحه على شرط ان يعتزل القتال حتى نهاية الحرب فرفض ولي العهد واشترط تسليم السلاح واعداً بارجاعه بعد الحرب. ثم امهل القائد العثماني حتى الساعة السادسة من صباح الغد. فلما كانت الساعة الخامسة جاء الرسل العثمانيون باقتراح جديد فرفضه ولي العهد ثم امهلهم ساعتين فقط

المفاوضة مع القائد العام . فلما انقضت المهلة امر ولي العهد جيشه بالزحف حتى اذا اقترب من الطلائع العثمانية تقدم ضابط عثماني بلواء ابيض وكان حاملاً قبول تحسين باشا بشروط ولي العهد فدخل اليونانيون المدينة واستولوا على قلاع قره بورنو

وكان الملك جورج في سرفيجه فجاء جيداً في ٨ منه ثم جاء سالونيك في ١٢ منه حيث لقي حتفه بعد حين بيد جان اثيم من رعاياه على ما سنبينه

وادعى البلغاريون انهم كانوا اسبق الى سلانيك من اليونانيين وكان بين الفريقين خلاف سنعود اليه في غير هذا الموضع

وقائع الفرقة الخامسة

زحف القسم الاكبر من الفرقة الخامسة شمالاً على كيلار فبلغها في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) وكانت الى الميسرة كتيبة اتبعت الطريق الذاهبة من كريفينا الى كستوريا تعضدها بعض عصابات بلغارية اهمها عصابات تساكلاروف الذي قاتل العصابات اليونانية قبل هذا العهد زمناً طويلاً

ففي مساء ٢٩ منهُ اشتبكت طليعة البلغاريين بين كيلار وتلبنكوي بمؤخرة العثمانيين وكانت على اكمة كثروفاهيا . فهاجم العثمانيون اليونانيين ليلاً فصدهم هؤلاء بعد ان كبدوهم خسارة مئة قتيل وجريح واستؤنف القتال في النهار فكان الفوز لليونانيين بعد قتال

ساعتين وغنموا سبعة مدافع ومئتي صندوق ذخيرة ومركبة وثلاثة الوية واخذوا الف اسير

واستتبعت الفرقة زحفها على مضايق كيرلي دربند فالتقت في جنوبي بانزا بقوة عثمانيـة تحت امرة جاويد باشا فدحرتهـا حتى سوروفيسيفو حيث لمت شعثها واستأنفت القتال في يومي ٣ و ٤ منه

فلما كان اليوم الخامس عند الفجر حمل العثمانيون على ميمنـه البلغاريين فنجحت حملتهم . وكانت قد تضعضعت عزائم اليونانيين بعد قتال ثلاثة ايام ضد عدو يزيدهم عدداً فكاد يبدو الاختلال في صفوفهم لولا ان قائد الفرقة الكولونل ماتيو بولو تمكن من جمع ثلثي القوة التي يقودها واوقفها بعيداً عن مرمى القذائف العثمانية

ويقول العثمانيون انهم غنموا في هذا القتال من اليونانيين ستة عشر مدفعاً كبيراً وخمسة رشاشة

ومهما يكن فان اليونانيين تقهقروا الى مسافة خمسة عشر كيلو متراً من كوزياني شمالاً (دون ان يتأثرهم العثمانيون) حيث لا يلبثون ان تصلهم نجدة فيعودون الى استئناف الهجوم

رأى اليونانيون بعد دخولهم سلانيك وتقديرهم اهمية الانتصارات الصربية قدرها ان يرسلوا قوة كبيرة من جيش ولي العهد الى تراقية ولكن كان لا يزال في جهة مناستير جيش عثماني كبير قدر بنحو خمسين الف مقاتل فلم يرسل الى تراقية من سالونيك غير اللواء البلغاري على سفن يونانية

وفي ١٥ منه قسم ولي العهد جيشه المؤلف من خمس فرق الى ثلاثة صفوف عند مدخل البقعة الجبلية المحاذية لسهل فردار غرباً. فكان الصف الاول في فودينا . والثاني في غراماتيكو (على مسافة عشرين كيلومتراً من فودينا جنوباً بغرب) والثالث في كوزياني حيث كانت الفرقة الخامسة بعد وصول النجدة اليها . وكانت خطة ولي العهد الزحف من شمال بحيرة اوستروفو ومن جنوبها

بدأت الحركة في ١٥ منه وفي ١٦ و ١٧ منه اشتبك الجيشان في فلادوفا وكترانتزا وكوماتو : أما في فلادوفا فان الجناح الايمن من جيش ولي العهد انتصر على مايقارب العشرة طوابير من الجنود العثمانية فتركت في ميدان القتال ثماني مئة قتيل والف جريح . وكان الفضل للمدفعية اليونانية التي وجهت كل قوتها الى قلب الجيش العثماني

وأما في كترانتزه فكانت القتال مناوشات بسيطة بين الطلائع

وأما في كوماتو فان الفرقة الخامسة — وكانت الجناح الايسر — هاجمت العثمانيين — وهي على مسافة عشرين كيلومتراً من كوزياني شمالاً — هجمة عنيفة فاستمر القتال خمس ساعات كانت خسائر العثمانيين فيه الفاً من القتلى والجرحى ومدفعين

وكانت العواصف والثلوج في ١٦ الى ١٩ منه تزيد في شدة النكبة وتعرقل الحركات الحربية

وفي ١٩ منه صد اليونانيون العثمانيين في مضايق غورتشوفو ثم

زحفوا على فلورينا وكان قد تجمع فيها زهاء عشرين طابوراً فاشتبك القتال واستمر يومي ٢٠ و ٢١ منه

وفي أثناء ذلك كان الجيش العثماني في مناستير تحت رحمة الجيش الصربي . وكانت فرقة الفرسان واحدى كتائب المشاة مع الجناح الايمن اليوناني فارتد العثمانيون الى الغرب وانفصل عنهم قسم من المؤخرة في مضيق يسوديني حيث غنم الفرسان اليونانيون عشرين مدفعاً ومقداراً من الذخائر

ثم ارسل المتحالفون كتائب لاحتلال ماهنالك من الآكام والهضاب الصخرية فاحتلوا كستوريا — التي كانت الفرقة الخامسة اليونانية قد تقهقرت عنها — وكل ضواحيها

وفي ٢٤ و ٢٥ منه دخل ولي عهد اليونان وولي عهد الصرب الى موناستير . فكان بدخول هذه المدينة انتهاء الحركات الحربية في مقدونية على التقريب

وتوقف اليونانيون عن المطاردة في يسوديني فان جيشهم كان محتاجاً الى الراحة . ثم اجروا بعض التعديل في خطتهم فابقوا في مقدونيا ثلاث فرق (٣ و٥ و٦) وعادوا الى سالونيك بالفرقتين الثانية والرابعة اللتين بعثوا بهما الى يانينا لنجدة الجيش الزاحف عليها لان الحكومة اليونانية لم تشترك بالهدنة التي جرى عقدها في ثالث كانون الاول (دسمبر) بين الدولة العثمانية والدول الثلاث المتحالفة بلغاريا والصرب والجبل الاسود

وجعلت القوة الباقية في مقدونيا تحت امرة الجنرال داميانوس .
فاستأنفت في الاسبوعين الاولين من الشهر مطاردة القوة التي كانت قد احتشدت بقيادة جاويد باشا حول كورتزه . فزحفت الفرقتان الخامسة والسادسة من فلورينا والفرقة الثالثة من كستوريا على كورتزه رأساً فصدت فرقة الشمال الطليعة العثمانيـة واستولت على مضايق جنكان وهاجمت قوات جاويد باشا في بليس شمالي خورتزه فدافع دفاعاً مجيداً الى ان تألبت حوله الفرق الثلاث فانسحب بعد ان اصابته خسارة الف قتيل وجريح ومئة اسير وثلاثة مدافع

اما اليونانيون فكانت خسارتهم ثماني مئة الى تسع مئة بين قتيل وجريح

ثم تأثر اليونانيون مؤخرة العثمانيين في مضايق جبال كباري فانسحب هؤلاء في جهة لياسكوفيك مجتهدين في حماية طريق يانينا حيث كانت تجمعت كل الجنود العثمانية التي افلتت من موناستير ولم تلتحق بجاويد باشا علاوة على من كان فيها من متطوعة الالبانيين

الاستيلاء على بريفنزا

كان جيش الغرب اليوناني بقيادة الجنرال سابتدزا كيس مؤلفاً معظمه من الاحتياطيين ومتطوعة الكريتيين والغريباديين . ولم يكن لديه من المدافع الثقيلة سوى اربعة من عيار ١٥٠ مليمتراً من مدافع كروب القديمة . وكانت مهمته حماية سهول ارطه الخصيبة من السلب

والنهب ثم الاستيلاء على بريفتزه وجعلها مركزاً للحركات الحربية ولوصول الميرة والذخيرة الى القوات الزاحفة على يانينا

بدأ هذا الجيش زحفه في ١٨ تشرين الأول (اكتوبر) وجاز نهر ارطه وتتبع الطريق المؤدية الى يانينا . فكان عليه والحالة هذه ان يجتاز سلسلة هضاب كسيروفوني الغربية في مضيق كوزاد بين مرتفعات كيافا جنوباً ومرتفعات ستريفيا شمالاً ثم مضيق كتسكوبازاري ثم مضيق بيتاديا شمالاً وتحميه قلعة قديمة العهد

أما مدينة بريفتزه فقائمة عند أقصى شبه الجزيرة والفاصل بين خليج ارطه والفجر ويحميها جبل غريبوفو شمالا وشرقاً

فشرع الجنرال سابندزاكيس بمحاولة الاستيلاء على جبل غريبوفو وآكام كوزاد بهجمات متتابعة تحمي الحملة الزاحفة على بريفتزه ففي ١٩ منه هاجم الآي وبطاريتان مدفعيتان غريبوفو وصدوا في ٢٠ منه حاميته الى بريفتزه . بيد ان العثمانيين ما لبثوا ان عاودوا الكرة في اليوم التالي واسترجعوا غريبوفو . وما زال هذا الموقع تارة يأخذه اليونانيون وطوراً يسترجعه العثمانيون الى ان بقي في ٢٣ منه في حوزة اليونانيين

وجرى مثل ذلك تماماً في الشمال فان اليونانيين احتلوا في ٢٠ منه مضيق كوزاد . فلما كان الليل حمل العثمانيون عليهم حملة شديدة وصدوهم عن كيافا حيث نشبت معركة استمرت ثلاثين ساعة وانتهت في ٢٤ منه بانسحاب العثمانيين

ثم احتلوا في ٢٦ منه فيليادا وجسر بندلسا ولوروس فاصبحوا مالكين طريقين موصلتين الى يانينا

ثم استأنفوا الزحف على بريفتزه من جبل فريبوفو . فاستولوا في ٢ تشرين الثاني (نوفبر) على استحكامات نيكوبوليس ونسفوا بمدافعهم الضخمة بطارية عثمانية ثابتة

ورأى العثمانيون في بريفتزه ان اليونانيين سيدخلون المدينة عنوة فسلموا في الثالث من الشهر

الزحف على يانينا

بعد افتتاح بريفتزه اتجه القائد اليوناني بجيشه جهة يانينا في بقاع جبلية متوعرة . وكانت العواصف والامطار والضباب تزيد صعوبات الزحف وتضاعف مشقاته

ففي ٥ منه بدأ اليونانيون بمهاجمة مضايق بنتي بيغاديا هجمات عنيفة اشترك بها متطوعو الكريتيين فدافع العثمانيون دفاعاً شديداً حتى ٨ منه ثم انسحبوا الى يانينا فانتشر اليونانيون في القمة الجبلية جنوبي يانينا التي اخلاها العثمانيون

وفي نحو منتصف الشهر استولى متطوعو الكنت روما الغريبلديون على متزوفو وحصنها بعد قتال ثماني ساعات واخذوا ثمانين اسيراً . وفي ٢٣ منه التقوا بطابور قادم من يانينا لانجاد حامية متزوفو فشتتوا شمله

وفي آخر الشهر كان جيش الجنرال سابندذاكيس قد اصبح امام استحكامات يانينا

تحصينات يانينا

يانينا موقع حصين قائم على الضفة الجنوبية الغربية من البحيرة المعروفة باسمها وقد وصفت جريدة المقطم حصون يانينا قالت :

حصون يانينا

« تمتد استحكامات يانينا في نصف دائرة يبلغ قطرها تسعة كيلو مترات وقد اقيمت هذه الاستحكامات على احدث قواعد الهندسة الحربية واستغرقت اقامتها اربع سنوات ولم تنته الا في شهر سبتمبر الماضي (١٩١٢) . وبلغ ما أنفق عليها ثلاث مئة وخمسين الف جنيه

ويبزاني على عشرة كيلومترات من مدينة يانينا وهي على اكمتين علو الواحدة منهما خمس مئة متر والاخرى ثماني مئة متر وتشرف هاتان الاكمتان على سهل تغطيه المستنقعات . وقد مدت الاسلاك الشائكة في سفح الاكمتين على ابعاد متفاوتة لا يفصل بينها الا مسافة لا تتجاوز خمسين متراً وحفر وراء هذه الاسلاك حفر لصد هجمات العدو من الجانبين وثلاث صفوف من الخنادق التي يلجأ اليها الفرسان ولا تفعل فيها قنابل المدافع

ووضعت في اركان هذه الاستحكامات المدافع المتعددة الطلقات ونصبت بطاريات مدافع الميدان فوق ذلك

ووضع في الجهة المقابلة ليانينا مدفع ميدان من احدث طرز يدور على نفسه ونور من الانوار الكشافة الكبيرة التي ترسل اشعتها الى مسافة شاسعة

وقد اقيمت هذه الاستحكامات والاستحكامات التي في شطلجه وادرنه واشقودره بمقتضى الرسوم التي وضعها المارشال فوندر غولتز (باشا) وبمشارفة فريق من كبار الضباط الالمانيين (اه)

* * *

ووصف هذه الحصون الكولونل بوكاليل قال :

« في الجهة الشمالية الغربية من المدينة حصنان على مسافة عشرة كيلومترات من المدينة في جوار قرية بغردي كوى مشرفان على منافذ طريق ستكارتا . ثم حصن ثالث الى جنوب الحصنين الآنفين

وفي الجهة الجنوبية استحكامات منيعة انشئت على قمم دورويتيس وهي على مسافة ستة كيلومترات من يانينا جنوباً بغرب ثم على اكام القديس نقولاوس (٤ كيلومترات من دورويتيس جنوباً) ويزاني (شرقي القمتين الآنفتين) وتحمي هذه القمم ثلاث بطاريات في دورويتيس واحدة منها من عيار ١٢٠ مليمتراً وستة مدافع في استحكامات القديس نقولاوس من عيار ١٢٠ وست بطاريات في يزاني منها اثنتان من عيار ١٢٠ م وواحدة من عيار ١٥ سنتيمتراً . وهي تحمي منافذ الطرق القادمة من بريفتزه

ثم اقيمت بطارية على اكمة غسترتزه على مسافة اربعة كيلومترات

من يانينا جنوباً بشرق . وبطارية ثمانية في جهة قرية باراما على مسافة ثلاثة كيلومترات شمالاً بشرق

وعلى الجملة فقد كانت تحمي يانينا قوة قوامها ١٣٠ مدفعاً منها ١٦ من عيار ١٢٠ م و٢ من عيار ١٥ س

حامية يانينا

تقيم في يانينا في زمن السلم الفرقة الثالثة والعشرون المستقلة فعززت بفرقة من الرديف الموضعي ثم التحقت بها بقايا الجيش الغربي ممن افلت في موناستير وفلورينا علاوة على قوة كبيرة من متطوعي الالبانيين . وكانت هذه الحامية تحت امرة وهيب بك

الجيش المهاجم

اما جيش الجنرال سابندزا كيس فلم يكن يستطيع — بالقوة التي كانت تحت امرته في آخر تشرين الثاني (نوفمبر) — ان يقابل القوة العثمانية . على انه ما لبث ان وافته الفرقتان الثانية والرابعة ثم تلتهما نجدات اخرى ومع ذلك لم يستطع ان يضيق الحصار على الموقع ليلجئه بالجوع الى التسليم بعد ان ادرك انه يعز عليه اخذه بالقوة

وكان ان الجنرال سابندزا كيس وجه عنايته الخاصة الى تضييق الحصار شرقاً ومن جهة البحر فانزل في كانون الاول (دسمبر) الاياً وبطارية مدفعية وبعض المدافع الرشاشة من البحر الى سنتي كارنتا (مقابل جزيرة كورفو) وجعل وجهتها دلفينو . وكان قد صحب هذه

القوة بعض المتطوعين فاحتلوا اركيروكاسترو . بيد ان العثمانيين صدوا القوة اليونانية حتى البحر فعادت الى زوارقها

على ان الكنت روما في الشرق كان احسن حظاً فصد الطلائع العثمانية حتى اكام درسكو . وكانت ميمنة الجيش اليوناني منتشرة في هذه الجهة حتى شرقي سيراكو بينما كانت بعض كتائب الميسرة القصوى تحتل براميثيا (جنوبي غربي يانينا)

اما في القلب تجاه قلعة بيزاني فكان تقدم اليونانيين بطيئاً وخسائرهم فادحة

ففي ١٢ و١٣ منه حمل اليونانيون على المواقع العثمانية الامامية في القلب تصدهم خمس او ست بطاريات مدفعية وتحميهم اكام كانوريكي بينما كانت الفرقة الثانية في الميسرة وقوة أخرى في الميمنة تحمي جناحيهم فنجحت حملتهم وكان الفضل لقوة الميمنة التي خسرت وحدها مئتي قتيل وجريح

ثم توالت الايام على اليونانيين بدون نتيجة فكانوا اذا ربحوا شيئاً في النهار يحمل العثمانيون عليهم في الليل فيردوهم الى مواقعهم الاولى . وكانت هذه المعارك تنتهي بخسائر كبيرة في الجيشين . اما اليونانيون فكانوا يلقون نجدات تعوض عليهم خسارتهم بعكس العثمانيين الذين كانوا يفنون واحداً بعد واحد

قال مكاتب الطان : ولقد كانت استحكامات العثمانيين منيعة وسلاحها تاماً وكانت لمدفعياتهم ارجحية كبرى على المدفعية اليونانية

فقطعوا الطرق على الجيش اليوناني الزاحف فكان كيفما اتجه يستهدف لنيران حامية من مسافات تتفاوت بين ثلاثة الاف واربعة الاف متر وهذا ما دعا الناس اجمع وفي الجملة قناصل الدول الى الاعتقاد بان يانينا تستطيع بما لديها من وسائل الدفاع الثبات على الحصار اشهراً. وانه لا ندحة لليونانيين عن انجاد جيشهم بجيش يأتي من الشمال حيث الاستحكامات العثمانية قليلة وضعيفة . على ان هذا الجيش موعود به ولكن صعوبات التموين كانت حائلاً كبيراً دون سرعة وصوله . ومع ذلك فقد تلقى اليونانيون من نحو اسبوع نجدات لا تقل عن اثني عشر الف مقاتل قادمة من سالونيك واثينا (ه)

تسليم يانينا

واستمر حصار يانينا ثلاثة اشهر ذاق فيها الخصمان المتناجزان الامرّين من الزمهرير والبرد وكل انواع الحرمان علاوة على ويلات الحرب ونكبات الطعن والضرب . وكان في اثناء ذلك ان البرنس قسطنطين ولي عهد اليونان عين بعد دخوله سالونيك قائداً عاماً للجيش اليوناني فجاء يانينا بقوة كبيرة وتولى بنفسه قيادة الحركات الحربية فلما كانت اوائل شهر اذار (مارس) صحت عزيمة ولي العهد على مهاجمة العثمانيين هجمة عنيفة كانت موجهة الى الجهة الغربية وفيها خط مانولياسا واغيوس نقولاوس وسادوفتزه . وكانت تحمي ميسرته قوة كبيرة بقيادة الجنرال موسكوبولس فتبادلت المدفعيات في البدء نارًا

احر نار الجحيم ابردها استمر دويها الليل كله . ولم ينتبه العثمانيون للحركة التي قام بها اليونانيون في الليل فلما بدأ الجيش اليوناني بمهاجمتهم صباح ٤ منه تخاذلوا امامه فاحتل تسوكا عند الساعة السابعة وغنم فيها ثمانية مدافع . فلما كانت الساعة العاشرة احتلت الميسرة اكام ما نوليان وغنمت ستة مدافع واسرت طابوراً كاملاً بمدافعه الرشاشة . واستولى جيش القلب بمؤازرة الميسرة ايضاً على موقع اغيوس نقولاوس وغنم عشرة مدافع وذخائر كثيرة

وحاول العثمانيون الاحتشاد قرب الظهر في جهات ربنسه فوجه اليونانيون اليهم فوهات مدافعهم فتفرقوا واحتشدوا في جنوبي يانينا

وكان لواء متسوفو قد احتل درسكو وكونتوفرا كي فزحف الجيش كله بعد هذا الفوز . وكان اسعد باشا قائد الحامية العثمانية قد اصبح محصوراً في بيزاني فصمم على التسليم

فلما كانت الساعة الخامسة من صباح ٧ منه وصل المفوضون العثمانيون الى معسكر ولي العهد فعقدوا صك التسليم ودخل البرنس قسطنطين المدينة عند الظهر مع خمسة عشر الف مقاتل

وقد قدر عدد الحامية العثمانية التي سلمت بثلاثة وثلاثين الى خمسة وثلاثين الفاً

الفصل الرابع

الاختلاف على سالونيك

م

بين اليونانيين والبلغاريين

يدعي البلغاريون انهم كانوا اسبق الى سالونيك من حلفائهم اليونانيين وانهم بالتالي اولى باحتلال المدينة منهم . وهذا تعريب التقارير الرسمية التي يحاول فيها كل فريق اثبات حقه

تقرير الجنرال دنكليس

رئيس اركان حرب ولي العهد اليوناني

في اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الاول (اكتوبر . والتواريخ هنا على الحساب الشرقي او الرومي) تلقينا في المعسكر العام رسالة من قنصل احدى الدول العظمى جاء فيها ان المذاكرات جارية بشأن تسليم المدينة بين تحسين باشا القائد العام وقناصل الدول. وكانت هذه الافادات مطابقة لافادات أخرى صادرة من مصادر موثوق بها تبين ان الجيش العثماني اصبح بعد انكسار ينيجة في ١٩ و٢٠ من الشهر المذكور مشتت الشمل وغير قادر على القيام باقل مقاومة

وفي ٢٤ و٢٥ منه جاز الجيش اليوناني المؤلف من ست فرق نهر وردار وجه الجيش العثماني في سالونيك . فلما كان مساء ٢٥

منه وافى المعسكر العام قناصل فرنسا والمانيا والنمسا وانكلترا يصحبهم شريف باشا قائد موقع سالونيك العسكري وعرضوا تسليم المدينة والجيش العثماني في ليل ٢٥ — ٢٦ منه . جرى هذا قبل ان يعرف شيء عن اقتراب الجيش البلغاري

« وكان تحسين باشا بصفة كونه القائد العام قد انتدب شريف وقره بيبريس كندويين خصوصيين للمفاوضة في شروط التسليم . بيد ان ولي العهد لم يقبل بالشروط التي عرضاها وأمر في الساعة السادسة من صباح ٢٦ منه بالاستعداد لمهاجمة الجيش العثماني المرابط في المواقع الكائنة شرقي غاليكو بينا تكون فرقة فرسان مباشرة حركة التفافية من ناحية فاتليكون ودودلي في جهة بالجه . وقد تمت هذه الحركة الالتفافية عند الظهر فرأى تحسين باشا نفسه مكرهاً على القبول بالشروط اليونانية بشأن تسليم الجيش وقلعة قره بورنو من قبل الشروع بالهجوم

« وبعد قليل وصل احد ضباط الفرسان فاخبر ولي العهد بان فرساناً بلغاريين ظهروا قرب الظهر في ابو ستولار على مسافة ثلاثين كيلومتراً من سالونيك . وقد صرح الضابط المتولي قيادتهم للضابط اليوناني بانه ينوي قضاء الليل في جيورديتو — وهي تبعد ٢٥ كيلومتراً عن سالونيك — وان فرقة بلغارية موجودة على مسافة ١٥ كيلومتراً منهم أي على بعد ٤٥ كيلومتراً عن سالونيك

« على ان هذه الفرقة قضت فعلاً ليلة ٢٦ — ٢٧ منه في

غوفسنه التي تبعد ثلاثين كيلومتراً عن سالونيك. وفي هذه الليلة نفسها تم توقيع صك تسليم الجيش العثماني واحتل قسم من فرقتنا محطة السكة الحديدية . وفي مساء اليوم نفسها نبه ولي العهد قائد الفرقة البلغارية برسالة انه لم يعد من مسوغ لمتابعة الزحف على سالونيك لان جيشها سلم له وهو على وشك تسليم سلاحه

« وفي صباح ٢٧ منه بينا كان اليونانيون يستلمون السلاح من العثمانيين كانت الفرقة البلغارية تتقدم من غوفسنه ووجهتها سالونيك . فلما اقتربت من بلجه رأى الجنرال كلاريس قائد الفرقة الثانية (اليونانية) الجيش البلغاري بتأهب للقتال فنبه كتابة الجنرال تيودوروف بوجوب التوقف لان الجيش العثماني سلم لليونانيين . وقد استلم رسالة الجنرال كلاريس ضابط بلغاري فسلمها للجنرال تيودوروف • ومع ذلك فان الجنود البلغاريين جازوا خطوط الفرقة الثانية واطلقوا خمس قذائف او ستاً على الجنود العثمانية التي كان يؤخذ سلاحها منها

« وانبئ تحسين باشا بما جرى فارسل احتجاجاً على هذا الامر الى ولي العهد • فعاود اليونانيون مخاطبتهم ثانية فتوقفوا في ايوالي

« واستمر نزع السلاح من العثمانيين طول نهار ٢٧ منه . وكان قد احتل سالونيك آلاي الكولونل قسطنطينو بولس والفرقة السابعة

« وفي ٢٨ منه استتبع البلغاريون زحفهم الى الامام ووقفوا على مسافة بضعة كيلومترات من المدينة ثم قصد ضابط بلغاري دار الحكومة والتمس من وكيل رئاسة اركان الحرب السماح بدخول الجيش البلغاري

الى سالونيك . فاجاب الكولونل دومغليس ان هذا الطلب يجب ان يكون من الجنرال البلغاري الى ولي العهد فجاء الجنرال تيودوروف يصحبه بصفة ترجمان المسيو ستانسيوف سفير بلغاريا في باريز (وهو ضابط في الجيش الاحتياطي) والتمسا مقابلة ولي العهد فقابلهما وسمح لهما بما كانا يطلبان — بشرط استئذان الحكومة اليونانية في الامر وبعد ان اخذ تصريحاً قطعياً اعترف فيه البلغاريون باحتلال اليونانيين المدينة وان البلغاريين لا يودون مشاركة اليونانيين في الاحتلال بل يطلبون الضيافة لطابورين أثرت فيهما الحالة الجوية تأثيراً سيئاً

وقد التمس المسيو ستانسيوف من ولي العهد مكاشفة الجنرال البلغاري في ما اذا كانت الحكومة اليونانية تعترض على السماح للطابورين بان يقيما في المدينة مع تحديد مهلة عشر ساعات (كذا) لمبارحتهما اياها وصرح الجنرال تيودوروف نفسه لولي العهد بواسطة المسيو ستانسيوف ايضاً بان الطابورين يكونان في مدة اقامتهما في سالونيك تحت اوامر قومندان الموقع اليوناني وان ضابطاً بلغارياً يذهب كل يوم لاخذ التعليمات اللازمة من الجنرال دنكليس اليوناني (ه)

تقرير الجنرال تيودوروف

قائد الفرقة البلغارية الأولى

نشرت الصحافة الاجنبية بمناسبة الاستيلاء على سالونيك رسائل قيل فيها ان اليونانيين كانوا هم السابقين اليها . فبياناً للحقيقة رأيت ان أبسط ما هو آت

في ٢٦ تشرين الاول عند الساعة الرابعة صباحاً كنت في مقدمة جيشي بين قريتي غوفسنه وايوالي . فارسلت قوة من الفرسان لاستكشاف مواقف الاعداء فقابلتها بطارية عثمانية بمدافعها فثبتت في مكانها ولم تتزحزح. وفي اثناء ذلك جاء اليّ قائد لواء الفرسان اليوناني واخبرني ان اليونانيين سيهاجمون في الغد واتفقنا على الساعة التي اهجم بها انا ايضاً بجيشي . ووعدني القائد اليوناني بان يبلغ ولي عهد اليونان ما اتفقنا عليه بصفة كونه القائد العام للجيش اليوناني :

« وفي اليوم التالي بدأ جيشي بالزحف باكراً جداً على مواقع الاعداء وكانوا مرابطين في المرتفعات المشرفة على ايوالي ولاجنا. واصلتنا مدفعية العثمانيين ناراً حامية عضدتها مدفعية مشاتهم بيد ان مدافعنا كانت لها الغلبة فاسكتت مدافعهم واضطر مشاة العثمانيين ان يتخلوا عن مواقعهم

ثم شرعت اثأثر العثمانيين الذين كانوا يقاتلون متقهقرين شيئاً

فشيئاً حتى قاربت سالونيك فارسل الي ولي عهد اليونان ينبئني بان العثمانيين سلموا له . فاذعنت لتصريح ولي العهد حليفنا ولئن كنت لم اوقع مع العثمانيين صك تسليمهم وكانت الشروط التي سلموا بها غير معروفة مني وارسلت جيشي الى مسافة ثلاثة كيلو مترات من سالونيك . اما اليونانيون فكانوا على بعد سبعة عشر كيلو متراً بعضهم على نهر وردار و بعضهم وراء جيشي

على ان احد البلوكات التي كانت بقيادتي دخلت سالونيك. اما انا فأبصرت من الموقف الذي كنت فيه ان العثمانيين يعودون باسلحتهم وامتعتهم . ثم ابصرت قطارات ارسلت من سالونيك الى ناحية وردار لتقل الى سالونيك طابورين من المشاة اليونانيين . لان هؤلاء كانوا يستحيل عليهم ان يصلوا من المواقف التي كانوا فيها في يوم واحد مشياً على الاقدام لانه كان لا بد لهم من ابتناء جسر على نهر وردار واجتياز مسافات مترامية غمرتها الامطار المتوالية

فجنودي وحدهم قاتلوا العثمانيين امام سالونيك بينما كان اليونانيون على مسافة سبعة عشر كيلومتراً من المدينة يفاوضون العدو في التسليم بشروط معينة . على ان العثمانيين الجأتهم نحن بقتالنا الى التسليم ولكنهم استهوتهم شروط حلفائنا اليونانيين فسلموا لهم . وهذه الشروط تعرفونها

وعلى هذه الصورة فان جانباً من الجيش البلغاري كان هو السابق الى سالونيك. اما بقية الجيش فدخلتها في ٢٨ منه مع اليونانيين

وقد دخل سمو البرنس بوريس ولي عهد البلغار الى سالونيك في موكب حافل تتقدمه الموسيقى ويصحبه البرنس سيريل (شقيقه) والجنرال راتكوبتروف والمسيو ستانسيوف سفير بلغاريا في باريز وحاشيتهم في طليعة طابورين من المشاة وبلوك من الفرسان فاستقبلهم الاهالي بالهتاف . على ان البرنس بوريس لم يدخل المدينة الا بعد دخول ولي العهد اليوناني بيوم واحد لانه اكبر منه سناً

هذه هي الحقيقة بشأن دخول سالونيك. فقد دخلناها نحن بسلاحنا اما اليونانيون فدخلوها على هيئة مستفيدين من نتيجة قتالنا نحن (ه)

الفصل الخامس

الزحف على لوله برغاس

كانت وقائع لوله بورغاس اهم وقائع الحرب البلقانية واكثرها فتكاً وتقتيلاً تلقى الجيش العثماني فيها — مع ما كان فيه من تشتت القوى ونقص الذخيرة والابتلاء بكل انواع الحرمان — صدمات اقوى جيوش الدول البلقانية المتحالفة ونعني الجيوش البلغارية الزاحفة تحت امرة القائدين ديمتريف (على الجيش الثالث) وكوتنتشيف على الجيش الاول) فقاتل الفريقان قتال الابطال . وكان معول عبد الله باشا القائد العثماني العام على الفيلق الثالث بقيادة الفريق محمود مختار باشا فلم يكن نابليون في انتظاره الجنرال كروشي يوم واترلو اكثر منه قلقاً ولا اوهى جلداً . وقد خان الحظ الاول واخطأه رائد التوفيق كما خان

الثاني فكان ما كان واليك البيان

كانت طلائع صفوف الجيش الثالث البلغاري في مساء يوم الاستيلاء على قرق كليسه على مسافة عشرة كيلو مترات من المدينة جنوباً . فكانت الميسرة (الفرقة الخامسة) في ضواحي اسكوبدير والميمنة في ضواحي قواقلي . وكان قلب الجيش الاول وميمنته قد بلغا في الوقت نفسه خط تكسيلار — هاسكوي . فلما تأثر الجيش الثالث العثمانيين في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) في جهة بابا اسكي انتشر شبه مروحة وميمنته الى الامام

اما الفرقة الخامسة فبقيت في ضواحي اسكوبدير واتجه القلب جهة قواق دره والميمنة جهة ينيجه

واستراح الجيش في ٢٦ منه فلم يتحرك من مواقعه

وكان البلغاريون قد ارسلوا طلائع الاستكشاف في كل ناحية فعلمت ان العثمانيين اخلوا ضفة نهر ارجين اليمنى وهم يحتشدون في الجهة الجنوبية الشرقية من بونار حصار وفي ضواحي لوله برغاس .

وادرك الفريق عبد الله خطة البلغاريين التي كانت ترمي الى الالتفاف حول ميمنته فحول جناحه الايسر من بابا اسكي الى الجنوب الشرقي وجعل الى ميمنته الفيلق الثالث كله وكان منتظراً ان تنضم اليه فرق الرديف المتوقع وصولها من ميديا . وعلى هذه النية اوعز الى محمود مختار باشا بان يزحف من ويزه على بونار حصار

وفي اثناء ذلك كان الجيش البلغاري الاول يزحف شرقي ادرنه

والجيش الثاني غربها لمشرين حولها القوات الموكول اليها محاصرة هذا الموقع المنيع

على ان هيأة اركان الحرب في الجيشين الاول والثالث البلغاريين اضطرت ان تعدل خطتها الاولى بعد الحركة التي قام بها الفريق عبد الله باشا فجعلت الجيش الثالث متدرجاً امام والى ميسرة الجيش الاول لعضده . وكانت هذه الخطة الجديدة سبباً في استرداد الجيش الاول الفرق التي كان ابقاها لمحاصرة ادرنه فاستعيض عنها هناك بالفرقتين الاحتياطيتين العاشرة والحادية عشرة

وكانت تعضد حركة الجيش الثالث عن الميمنة فرقة الفرسان البلغارية التي صدر لها الامر بالانقضاض على بابا اسكي وقطع الخط الحديدي جنوباً

وقد تمت هذه الحركة في ٢٧ منه فاصبحت المواصلات مقطوعة بين ادرنة والاستانة

وبدأت الحركة الحربية في ٢٦ منه بزحف الفرقة الخامسة من يانا على بونار حصار في طريق ممهدة ممتدة بين قرق كليسه وويزه فتقدمت فرق القلب والميمنة التي كان سيرها ابطأ — بسبب اتصال الامطار ووعورة الطريق — واستولت في ٢٨ منه على بونار حصار بعد ان صدت حاميتها من الفرسان العثمانيين وجازت قره اغاج فالتقت في الطرف الغربي من غابة سوجاق بطلائع الفيلق العثماني الثالث فكانت المناوشات الاولى بينهما ابتداء معركة لوله برغاس

القوات العثمانية المدافعة

كانت خطة عبد الله باشا أن يثبت على الدفاع في القلب والميسرة ويهاجم عن الميمنة . وقد قلنا ان هذه الميمنة كانت تنتظر نجدة من ميديا مؤلفة من بعض فرق الرديف بيد ان هذه النجدة لم تصل ولم يكن في الميمنة غير الفيلق الثالث وبعض آلايات الفرسان. وكان معظم هذا الفيلق في ويزه وطلائعه في غابة سوجاق على ما تقدم

في هذه البقعة نفسها قاوم العثمانيون الروسيين في حرب ١٨٧٨ تسعة أيام متوالية .

جعل عبد الله باشا معسكره العام في صاقز كوي على نحو عشرة كيلو مترات من تركيي جنوباً بغرب . ولم يكن لديه شيء من وسائل الاتصاليات لا تلغراف ولا تلفون فنشبت المعركة وهو لا يدري في أي مكان هي ناشبة ولا أية فرقة هي المتلاحمة وكانت الميرة قليلة وقذائف المدفعيات لا تكفي لغير يوم واحد .

أما مواقف جيوشه فكانت على الترتيب الآتي من اليمين الى اليسار : الفيلق الثالث وقد أشرنا اليه قريباً. ثم الثاني وكان محتشداً في قره اغاج . ثم بقايا الفيلق الأول تجاه تركيي ثم الفيلق الرابع منتشراً الى الشمال حتى سرانتي وقلبه في لوله برغاس . ثم فرقة الفرسان بقيادة صالح باشا في محطة لوله برغاس

الحركات الحربية الاولى

كان معهوداً الى الجنرال خرستوف قائد الفرقة الخامسة البلغارية ان يظل على الدفاع لكنه التجم في غابة سوجاق مع طلائع الفيلق الثالث فبذل في هذه الملحمة كل ما لديه من قوة للهجوم فالتوى واضطر أن يرتد الى هضبة في جوار بوثار حصار جنوباً بشرق . ووقعت في حوزة العثمانيين خيم الجرحى وسرادقات المستشفيات فنكلوا بمن وجدوه فيها [1]

وكانت الفرقة ثلاثة الوية كما هو معلوم فجعل الجنرال خرستوف اللواء الاحتياطي الى شمالي الطريق في جهة جنليق طابيه واللوائين الآخرين شرقي بوثار حصار وجنوبيها حيث ثبت امام هجمات العثمانيين كل نهار ٢٩منه

في هذا اليوم نفسه كانت فرق القلب والميمنة في الجيش الثالث بدأت بمهاجمة العثمانيين فكانت حملات القلب موجهة على قره اغاج حتى تركي وحركات الميمنة على لوله برغاس . فلم يأذن الظهر حتى كانت المعركة نشبة في كل ناحية

حملت الطليعة البلغارية على لوله برغاس فصدت حامية الطرف

(١) الكولونل بوكابيل

الشمالي من الوادي وبلغت البلدة وكان فيها طابور واحد . وكانت المدفعيات البلغارية على القمم المجاورة تقذف النار والدمار وتحمي المشاة فاسكتت بطاريات الفيلق الرابع العثماني ومهدت للجيش سبيل الدخول الى لوله برغاس نحو الساعة الثانية بعد الظهر

وكان فرسان صالح باشا في الجنوب يقاتلون في بدء الامر مشاة محاولين توقيف الحركة البلغارية في جنوبي لوله برغاس ثم امتطوا خيولهم وحملوا على الطلائع الامامية البلغارية بحيث يمكنون المشاة من تعزيز القمم التي يتهددها الاعداء فلما أتموا مهمتهم هذه كان قد بلغ منهم الاعياء مبلغه فانسحبوا من ميدان القتال

ونحو الساعة الخامسة أوعز عبوق باشا قائد الفيلق الرابع الى احدى فرقه بمعاودة مهاجمة لوله برغاس فاستعادتها . فلما كان الليل انسحب العثمانيون من مواقعهم وبقيت لوله برغاس بقية ذلك الليل خالية لا عثمانيين فيها ولا بلغاريين

أما في جهة قره اغاج فتقدم البلغاريون قليلاً بعد الظهر ثم صدمهم الفيلق الثاني وأرجعهم الى مواقعهم الاولى فصبروا الى الليل وعاودوا الكرة واستردوا كل ما كان العثمانيون قد أخذوه منهم

وعلى الجملة فان نتيجة القتال كانت في ذلك اليوم بين بين . بيد ان العثمانيين كانوا قد أفرغوا كل قواهم الا في الميمنة حيث لم يخض غمرات القتال من الفيلق الثالث الا طلائعه

وكانت الذخيرة قد شرعت تقل في الفيالق الثلاثة الاول والثاني والرابع . ولكن عبد الله باشا كان معلقاً كل آماله بالفيلق الثالث الذي كان قد أصدر اليه أمراً بمهاجمة البلغاريين في اليوم التالي

وأصاب البلغاريين ما أصاب خصومهم من الاعياء والتعب ولكنهم كان لديهم رجاء كبير في الجيش الاول الذي لم يكن اشترك في القتال بعد

في الثلاثين من شهر تشرين الاول (اكتوبر) انتشر الجيش البلغاري في ميدان القتال تحميه فرقة الفرسان التي تقدمت حتى سيدلر واحتلت الميمنة ضفة نهر ارجين اليسرى بينما كانت الفرق القادمة من جديد تزحف من الضفة اليمنى على لوله برغاس وماوراءها جنوباً

أما الفيلق العثماني الرابع فلكي يتسنى له اتقاء هذه الهجمة المزدوجة ارتد شيئاً فشيئاً الى الوراء والى الميسرة . ولم يكن لدى عبد الله باشا نجدة ينجده بها بل كان ينتظر الفرج على يد الفيلق الثالث وكان قد بدأ حركته فاوعز عبد الله باشا الى الفيلق الثاني بان يجدد حملاته على قره أغاج حتى ينفسح المجال للفيلق الثالث ليتم حركته

وكانت مدفعية الفيلق الثاني تعضد حركة المشاة بكل قوتها لكن المدفعية البلغارية كانت أقوى وأضخم فاسكتتها . على ان هذه الحالة لم تزد المشاة العثمانيين الا استبسالاً فاستتبعوا الزحف حتى بلغوا

صفوف البلغاريين وكأن رجال المدفعية البلغارية أمهلوهم في زحفهم حتى أصبحوا تحت مرمى قذائفهم فأصلوهم ناراً حامية ضعضعت صفوفهم وملأت قلوبهم ذعراً فالتفوا على أنفسهم وتقهقروا بدون انتظام . وحاولت بعض البطاريات العثمانية أن تحمي تقهقرهم فلم تفلح فان قذائف المدافع البلغارية كانت شديدة ومتصلة كزخاخ المطر

وكان الفيلق الثالث قد وصل فحاول بلوغ بونلر حصار يعضده الفيلق الثاني فاخفق فان الفرقة البلغارية الخامسة ثبتت امامه ثبوت الجبل الشامخ

وأدرك المتقاتلين الليل فكف العثمانيون عن القتال . لأن الجنود كانت قد اخذ منها الجوع والاعياء كل مأخذ

•••

بيد ان لواء الميمنة من الجيش البلغاري الثالث عز عليه أن يعود عن موقع توركبي العثماني مخذولاً فصمم على مهاجمته ليلاً . وكان من حسن حظه ان حامية هذا الموقع كانت من بقايا الفيلق الاول ولا تزال تتنازعها عوامل القهر والرعب من يوم معركة قرق كليسه ففرت هاربة بدون أن تطلق قنبلة واحدة واستولى البلغاريون على موقع توركبي المشرف على الضفة اليسرى من نهر قره أغاج ثم جازوا النهر في الليل مشاتهم وطوبجياتهم

ومنذ هذا الحين بدأ الاختلال والاضطراب في الجيش العثماني.

وكان الجنرال كوتنشيف في الميمنة قد بلغ مرتفعات كوميار فنصب مدفعياته على الاكام الشمالية الغربية وشرع بضرب الميسرة العثمانية فما عتمت ان انسحبت في جهة جورلو

أما جيش محمود مختار باشا في الشرق فدافع دفاعاً مجيداً وثبت على حملات البلغاريين طويلاً . فلما تقهقرت الفيالق الاخرى تألبت عليه القوات البلغارية من كل جانب فانسحب هو أيضاً ولكن بانتظام

وقد قدرت خسائر العثمانيين بخمسة وعشرين الفاً بين قتيل وجريح وثلاثة آلاف أسير و ٤٢ مدفعاً . وخسائر البلغاريين خمسة عشر الفاً حتى ان الالايين الاول والثاني لم يكن باقياً منهما في مساء معركة لوله برغاس سوى العشر أي سبع مئة من سبعة آلاف

وكان في اثناء ذلك ان الصربيين تم لهم الفوز في معركة كومانوفو وانتهوا على نوع من مهمتهم في هذه الحرب فارصدوا جيشهم الثاني لمعاونة البلغاريين في حصار أدرنه وبذلك تمكن البلغاريون من انجاد جيشهم الزاحف شرقاً بفرقتين من جيش الحصار

وعلاوة على ذلك فان الحكومة البلغارية دعت الى حمل السلاح في ٢٥ ت ١ افراد سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ فكان لها منهم ثمانون الف مقاتل (١)

(١) الكولونل بوكابيل

احصاء الجيوش المتحاربة (١)

قدر المقدرون عدد الجيوش المتحاربة في البلقان في أواخر اكتوبر على الترجيح بما يأتي :

البلغاريون	٤٠٠ ٠٠٠
الصربيون	٢٥٠ ٠٠٠
اليونان	١١٠ ٠٠٠
الجبليون	٣٠ ٠٠٠
	٧٩٠ ٠٠٠
العثمانيون على أقل تعديل	٤٠٠ ٠٠٠
	١١٩٠ ٠٠٠

فهذا المجموع يفوق عدد الجيوش التي اجتمعت في الشهر الاول من كل حرب من الحروب العشر العظيمة التي حدثت منذ ابتداء القرن الماضي حتى الآن وكانت كما يأتي

		الف مقاتل
الحرب الروسية اليابانية	سنة ١٩٠٤	٤٠٠
« الترنسفالية	سنة ١٨٩٩	١٠٠

(١) المقطم

الحرب العثمانية الروسية	«	١٨٧٨	٥٠٠
« الحرب السبعينية	«	١٨٧٠	١٠٢٥
حرب النمسا وبروسيا	«	١٨٦٦	٨٣٠
حرب فرنسا والنمسا	«	١٨٩٩	٣١٠
حرب القرم	«	١٨٥٤	٣٤٠
حرب بروسيا وفرنسا	«	١٨١٢	٧٥٠
حرب النمسا وفرنسا	«	١٨٠٩	٥٣٠
حرب بروسيا وفرنسا	«	١٨٠٦	٢٤٠

الفصل السادس

أقوال المكاتبين الحربيين في وصف

معركة لوله برغاس

لم يشهد معركة لوله برغاس عياناً غير واحد من المكاتبين الحربيين هو الكابتن اشميد برتلت مكاتب الدايلي تلغراف الانكليزية وهذه خلاصة رسائله في وصف هذه المعركة، قال :

« في ٢٣ تشرين الاول — وهو يوم سقوط قرق كليسة — كانت اربعة فيالق عثمانية (١ و٢ و٣ و٤) على وشك الاحتشاد والزحف .

اما الاول وهو فيلق الاستانة فكان متقدماً عن الفيالق الاخرى وكان متولياً قيادته انور باشا. وكانت فرقه الثلاث منتشرة بين قواقلى و ينيجه فهاجمها البلغاريون في ٢٤ و٢٥ منه ومزقوها كل ممزق وغنموا مدفعيتها وفر من سلم من رجالها في جهة بابا اسكي

وكان الفيلق الثالث في بونار حصار — فلم يسعه البقاء في موقفه بعد انكسار الفيلق الاول فتقهقر الى ويزه

فلما كان ٢٨ منه اجتمعت بعبدالله باشا القائد العام فأكد لي انه لم يحصل قتال مهم بعد وانه لا يفكر في مبارحة جورلو قبل يومين . فكان غير عالم بانكسار الفيلق الاول قبل يومين ولا بتقهقر الفيلق الثالث الى ويزه . فلما اتصل به الخبر في المساء اضطر ان ينقل معسكره الى قريتصاقز كوى على عجل .

وكان الفيلق الرابع بقيادة عبوق باشا جناح الجيش الايسر بيد انه لم يكن تاماً لان احدى فرقه كانت التحقت بحامية ادرنه فاتخذ من بقايا الفيلق الاول جناحاً لميمنته . ثم كان هذا الفيلق بدون مدفعية لان مدافعه كلها غنمها البلغاريون في قرق كليسة

اما الفيلق الثاني بقيادة شوكت طورغود باشا فكان مرابطاً بين تركي وقره اغاج . والفيلق الثالث بقيادة محمود مختار باشا في ويزه بينا كان عبدالله باشا يظنه باقياً في بونار حصار . بهذه الفيالق الضعيفة تلقى الجيش العثماني صدمات الجيوش البلغارية الظافرة

قال المكاتب: فلما كان صباح ٢٩ منه دوت القذائف المدفعية في اذني فذهبت لمقابلة صالح باشا قائد فرقة الفرسان المستقلة فوجدته مع اركان حربه يأخذون القهوة في قهوة صغيرة في لوله برغاس ...

وكان البلغاريون قد صدوا الحاميات العثمانية من المرتفعات الى استحكامات كانت قداعدتها في جنوبي البلدة بين المنازل وفي جبانة قريبة .

اما فرقة الفرسان فاتجهت جنوباً وقاتلت بدأة ذي بدء على الاقدام رجاء ان تمنع البلغاريين من الاستيلاء على محطة السكة الحديدية .

وكانت هذه المرة الاولى لرؤيتي المشاة البلغاريين في حرب فأدهشتني سرعة انثيارهم للهجوم واستبسالهم العجيب في حملاتهم

أما العثمانيون فقابلوا البلغاريين بنار غير منقطعة ألحقت بهم خسائر جسيمة ولكنها لم تكسر حدة حملتهم. وخيل لي ذات حين ان البلغاريين سيأخذون الموقع عنوة لولا ان القذائف العثمانية — التي كانت تنصب عليهم من مسافة ٢٠٠ — ٣٠٠ متر فقط اضطرتهم ان يلجأوا الى الخنادق وينتظروا النجدات .

في اثناء ذلك كان البلغاريون نصبوا بطارية تهيمن على الاكام المجاورة وبدؤوا بضرب لوله برغاس . ووجهوا بعض فوهاتها الى فرقة صالح باشا فثبتت في مواقعها مع ما لحق بها من الخسران

واستمرت المعركة من الساعة ١١ قبل الظهر الى الساعة ٦ مساء

على طول الخط .

وكان يرمي البلغاريون الى الالتفاف حول ميسرة العثمانيين للاستيلاء على المحطة — وهي تبعد ستة اميال عن لوله برغاس — وقطع الخط الحديدي . وكانت فرقة الفرسان وحدها تستطيع منع هذه الحركة فثبتت ثبات الابطال . وكان قد سقط من رجالها — وهم لا يتجاوزون الالف — مئة وخمسون قبل ان صدر لها الامر بالانسحاب

وحمي وطيس القتال في ذلك النهار فكانت الخسائر بليغة في الجانبين فلما كان المساء اجتمعت بعبد الله باشا فقال لي : لا يزال لدي الفيلق الثالث القادم من ويزه والفيلق السابع عشر الذي بلغ تغرلي وسأنجد به الفيلق الثاني

قال المراسل : فتطلعت في القائد العام متسائلا هل هنا لك فيلق حقيقة ام اراد القائد العام ان يقول الفرقة فاخطأ فاني لم اسمع بذكر هذا الفيلق قبل ذاك اليوم فأومأ لي احد ضباط اركان الحرب الى نقطة في الخارطة هي الموضع الذي كان الفيلق فيه على زعمه فلم يسعني الا الاذعان ...

ومهما يكن من الامر فان هذه النجدة المنتظرة لم تصل ولعل رجالها تشتتوا في الطريق

وفي اليوم الثاني استؤنف القتال بين المدفعيات منذ الساعة الثامنة فما عتمت ان لاحظت ان البلغاريين وحدهم يضربون لان العثمانيين

كانت قد نفدت ذخائرهم ...

وكان القتال عنيفاً في الجناحين لان البلغاريين كانوا يودون الالتفاف حول الميسرة العثمانية بعد صد الفيلق الرابع فنجحوا في حركتهم فانسحب هذا الفيلق وارتدت فرقة الفرسان الى سيدلر واستولى البلغاريون على محطة السكة الحديدية

وكان البلغاريون قد ابقوا جناح الميسرة القصوى لملاقاة الفيلق الثالث فظن عبد الله باشا انه تقهقر عن ضعف فصمم على ان يرميهم بالفيلق الثاني ولكن رجال هذا الفيلق كانوا منهوكي القوى فلم يثبتوا

ورأى محمود مختار باشا انه عاجز عن مقابلة الجيوش البلغارية بفيلقه فانسحب على مهل

ولما طلع فجر ٣١ منه كان عبد الله باشا قد عاد الى سافز كوى وجيشه بدأ بالتقهقر على كل الخطوط

***

وقال الماجور فون هو شو ختر وهو من الضباط الالمانيين المتوظفين في الجيش العثماني. وقد تتبع الحركات الحربية بنفسه وكان مرافقاً هذا الجيش:

لم يكن محمود مختار باشا راغباً في اتخاذ خطة الهجوم قبل تنظيم جيشه تنظيماً تاماً ووصول النجدات اليه ولكنه اضطر الى الائتمار برأي القائد العام ففعل مكرهاً

في ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) بدأت مناوشات المدفعيات على مسافة عشرة كيلو مترات من بونار حصارشرقاً أما التحام الجيشين فتم الساعة الثانية بعد الظهر فتمكن العثمانيون من توقيف زحف البلغاريين على ويزه . وفي صباح اليوم الثاني استأنف الجيش حملته فتقدم المشاة مسافة غير قصيرة والحقت مدفعيتهم بالعدو خسائر كبيرة . وكان الفيلق الثالث متصلاً في ميسرته بالفيلق السابع عشر الذي كان معظمه في قره اغاج ووراءه الى الجنوب الفيلق الاول مشتبكاً بالقتال

وبدأت المدفعية العثمانية باطلاق قذائفها من مسافة ٣٨٠٠ متر على البطاريات البلغارية المنصوبة على مرتفعات بونار حصار جنوباً بشرق . وكان تقدم الميمنة العثمانية بطيئاً ومع ذلك تمكنت من الالتفاف حول الجناح البلغاري وكان ضعيفاً فتراجع البلغاريون شيئاً فشيئاً . على ان مدفعيتهم استمرت تطلق قذائفها بدون ان يكون لها غاية معلومة الى ما بعد الغروب وتأخر وصول الذخيرة المطلوبة الى الفيلق الثالث فاضطر محمود مختار باشا ان يؤخر استئناف الهجوم الى ما بعد الظهر . وكان البلغاريون لم يتحركوا من استحكاماتهم

في هذه المنيهة بلغ محمود مختار باشا تعيينه قائداً عاماً لقسم الشمال في جيش الشرق

اما في الميسرة اي حيث كان الفيلقان الاول والسابع عشر مشتبكين — فكان الموقف حرجاً لان هذين الفيلقين اضطرا ان

يتقهقرا في الليل وبعد ظهر اليوم التالي طلب الثاني منهما نجدة من الفيلق الثالث .

وحمي وطيس القتال في النهار حتى الساعة التاسعة مساء . في هذه الساعة حمل البلغاريون بالحراب حملة صادقة على قلب الجيش العثماني فاضطروه ان يتقهقر . ثم تبعت الميمنة القلب في تقهقره . وبالنظر الى حرج موقف الفيلق السابع عشر قلة الميرة وقرب نفاد الذخيرة في الفيلق الثالث — علاوة على الامطار الغزيرة المتصلة بدون انقطاع — اضطر محمود مختار باشا ان يأمر جيشه نحو الساعة الثالثة من الصباح بالانسحاب الى ويزه . ثم غادر الفيلق مع اثنين من ضباطه الى جونكارملقابلة عثمان باشا وبقيت هيئات اركان حربه في الفيلق الذي كان ينسحب في اول امره بمزيد الانتظام . واتفق في اثناء التقهقر ان مدفعية الفيلق اطلقت بعض قذائفها خطأ على بعض فرقها فاختلت الصفوف واستحوذ على الجنود الذين كانوا يتضورون جوعاً ويرتجفون من البرد ذعر شديد فانتثر عقد انتظامهم وولوا لا يلوون على شيء . فلما عاد مختار باشا في المساء لم يجد غير فرق المؤخرة متقهقرة فعاد الى سراي

وكان جيش الشرق منسحباً ايضاً من جهتين : ثلاثة فيالق (الاول والثاني والرابع) من جنوبي الخط الحديدي بين جورلو وشطلجه . وثلاثة (الخامس والسابع عشر والثامن عشر) من الشمال بطريق سترنجه

وكانت خسائرهم في المدفعية فاحشة جداً حتى قدرت باربعين بطارية على الاقل (م)

***

وقال الليوتنان واغنر مراسل جريدة الرخسبوست :

دخلت موقعة لوله برغاس في دورها الفاصل يوم الثلاثاء بعد معارك عديدة سالت فيها الدماء انهاراً وتكومت جثث القتلى اكواماً وكان النصر يوم الاثنين مرافقاً للبلغاريين في ميمنتهم بجوار لوله برغاس

وابتدأت الموقعة الفاصلة لما تقدمت ميسرة الجيش البلغاري من ناحية بونار حصار زاحفة بعزيمة صادقة ومبدلة خطة الدفاع بخطة الهجوم ولقد حاول العثمانيون ان يسبقوا الميمنة البلغارية التي كانت تهدد خط رجعتهم من سراي الى شطلجة ويحولوا دون تقدمها وذلك بما جنتهم البلغاريين من سراي بطريق ويزه . فافلحوا في دحر طليعة الميمنة البلغارية وردها الى ماوراء ساقية قره اغاج وبونار حصار ولكن البلغاريين حملوا حينئذ حملتهم العامة في مقدمة طويلة فردوا الصفوف العثمانية المتقدمة بهجومهم الفجائي وحملاتهم الصادقة . الا ان العثمانيين تمكنوا من اصلاح ما اختل من صفوف مقدمتهم بامدادها من الاحتياطي ثم نشبت بين الفريقين حرب طاحنة استمرت النهار بطوله ولا سيما في الحراج وما سدل الليل حجابه حتى خرجت صفوف العثمانيين من

الحرب مضعضة وبلا نظام

وزحفت ميمنة الجيش البلغاري حاملة على مواقع العثمانيين بين با با اسكي وبني كوى فاخرجتهم من خطوط الاستحكامات التي على نهري الن دره وارجين واقتفتهم الى لو له برغاس . فاستولى المشاة البلغاريون على معظم هذه الاستحكامات بحد الحراب بينما كان رجال المدفعية يشدون ازرهم و يضطرون العثمانيين في ساعات الشدة والضيق ان يتواروا من النار الحامية التي كانوا يصلونهم بها ثم استولوا على البعض الاخر من غير ان تؤيدهم المدفعية او تعضدهم في هجومهم عليه

قال المكاتب ولا بد لي من الاعتراف بان حملات البلغاريين كانت غريبة في بابها لا تضارعها حملات من قبل وكانت نتائجها كنتائج كل الخطط التي انتهجها الجيش البلغاري لا مثيل لها في تاريخ الحروب وفوق ما كان يتصور الثقات العسكريون عمله ممكناً

• ولم يستطع البلغاريون ان ينالوا من العثمانيين منالاً فاصلاً كل يوم الثلاثاء لان العثمانيين ساقوا كل مامعهم من الاحتياطي الى ساحات القتال

وحمل البلغاريون حملة صادقة قاصدين خرق صفوف العثمانيين في قواق دره وايفان كوى . وكانت حملتهم موجهة بالاكثر الى الجنود الحامية لمناطق الحراج جنوبي الطريق الموصلة بين قرق كليسة وويزه والى الجنود المرابطة في الاستحكامات التي في الشمال الغربي من

لوله برغاس فافلح قسم منها قبل الظهر في اختراق تلك الصفوف ولكن بعد حملات متوالية بذلوا فيها الوفاً من مهج الرجال . وبينما كان هذا القسم يحمل حملاته الشعواء كان القسم الاخر يهاجم لوله برغاس نفسها فتمكن البلغاريون بذلك من رد ميسرة الجيش العثماني وضمها على القلب . وشرع الجيش العثماني كله بالتقهقر الى جورلو بعد ظهر ذلك اليوم على طول الخط من لوله برغاس الى بدركتي والخط الحديدي ايضا فاقتفى البلغاريون اثره مجدين في اللحاق به بقية ذلك اليوم وبعض الليل وكانت ميسرة البلغاريين قد اكتنفت بعد الظهر سائر القوات العثمانية فحملت على جناحيها صباح اليوم الثاني وقاتلتها في موقعة فاصلة فرقت شملها . وفرت الجنود العثمانية بعضها جماعات الى جورلو بطريق جونكارا وبعضها تشتت في جميع الجهات ،

اما الطرق فكانت مغطاة بالاسلحة والملابس والمعدات العسكرية ووقع كثيرون من الجنود العثمانيين في اسر البلغاريين (ه)

وقال مكاتب التيمس :

زحف الفرسان البلغاريون من قرق كليسة وبابا اسكي على لوله برغاس فبلغوها صباح الثلاثاء في ٢٩ اكتوبر. وتبعهم القسم الاكبر من جيشي الجنرال ديمتريافسو الجنرال كوتنشيف فنزلوا مناوحين للجيش العثماني الاكبر بقيادة ناظم باشا

وقدر الثقات الجيش العثماني الاكبر في لوله برغاس بمئة وخمسين الف مقاتل والجيش البلغاري بمثله اي ان الجيشين كانا متكافئين

في العدد ولكنهما كانا متفاوتين في العدد والقوة المعنوية

ولم تنقضِ مدة طويلة على وصول الجيش البلغاري حتى نشب القتال بينه وبين الجيش العثماني في مواقع عديدة، وكان جناحا الجيشين ممتدين على مسافة خمسة وعشرين كيلو متراً وظل القتال مستمراً ثمانية واربعين ساعة لم ينقطع فيها دوي المدافع والبنادق ولا صليل السيوف

وكان البلغاريون ممتلئين حماسة وثقة بمقدرتهم وقوتهم من المواقع السابقة فحملوا على الجيش العثماني حملات صادقات وهجموا على مراكزهم العديدة الممتدة من لوله برغاس جنوباً الى بونارحصار شمالاً فتلقى العثمانيون حملاتهم بجنان ثابت وجأش رابط وصدوهم في البدء مراراً ولكنهم مالبثوا ان ارتدوا رويداً رويداً عن مواقعهم على طول مقدمتهم ثم انقلب ارتدادهم الى تقهقر غير منتظم الى سراي وجور لو فاقتفى البلغاريون اثرهم الى هذين المكانين والحقوا بهم خسارة كبيرة وغنموا منهم عدداً كبيراً من المدافع والرايات ومقادير عظيمة من الذخائر والمهمات الحربية واسروا كثيرين

وغنموا في الجملة قطاراً مؤلفاً من خمس عشرة مركبة مملوءة بالذخائر بجوار لوله برغاس كان ذاهباً الى ادرنه

وقال المكاتب نفسه في موضع آخر :

اتضح لقواد الجيش العثماني مساء الاثنين ان قوة بلغارية مؤلفة من ثلاث فرق كانت تزحف جنوباً قاصدة الهجوم على الخط الحديدي

بين بابا اسكي ولوله برغاس للاستيلاء عليه فعدلوا خطتهم في الحال. وارسلوا الامداد الى حامية هذا الخط من جورلو

وقد قاومت القوة التي بقيادة شوكت طورغود باشا هذه الفرق الثلاث مقاومة شديدة فاضطرتها الى الاقلاع عن الهجوم والرجوع عن عزمها خاسرة ولكنها لم تلبث ان زحفت على لوله برغاس قصد الاستيلاء عليها

وكانت القوة التي بقيادة شوكت طور غود باشا مرابطة وراء البلدة في سفوح الآكام المحيطة بها فارسل البلغاريون الى مقدمتهم ست بطاريات فشرعت باطلاق المدافع الرشاشة على هذه القوة . وهجمت قوة من المشاة البلغاريين على البلدة متقدمة من طرف الوادي المشادة فيه لوله برغاس فلم تفلح وارتدت على اعقابها

واحكم البلغاريون في صباح اليوم الثاني (الثلاثاء)وضع مدافعهم ازاء المواقع العثمانية وشرعوا يطلقونها كلها دفعة واحدة فاجابهم العثمانيون بالمثل ولم ارَ في هذه المباراة المدفعية ان نار العثمانيين كانت اقل شدة اوتمكناً بالبلغاريين من نار البلغاريين بهم بل كانتا متماثلتين في هولها وتمكنها

وحميت نار البلغاريين بعد ظهر ذلك اليوم فاتضح للقواد العثمانيين انهم لم يفعلوا ذلك الا لحماية القوات الجديدة التي كانوا يسوقونها الى خط مرمى النار وان غرضهم من ذلك ان يعززوا القوة التي كانوا يريدون الهجوم بها ويجعلوا هجمتها قوية فعالة . وتبين لهؤلاء القواد ايضا انه

يستحيل عليهم الاحتفاظ بمراكزهم ازاء هذه الحركات فاصدروا امرهم للطليعة بالتقهقر فتقهقرت بنظام تام الى ان انضمت الى قوة من قوات شوكت طورغود باشا كانت تحمي الجسر الحديدي على نهر ارجين • وظلت لوله برغاس ليلة الثلاثاء وكل يوم الاربعاء خالية من غير ان يحتلها احد الفريقين ولكن قنابل البلغاريين اشعلت فيها النار فدمرت قسماً كبيراً منها

وتبلج فجر يوم الاربعاء في ٣١ منه فدوى انفضاء بقصف المدافع ودارت رحى الحرب سجالاً امام الجسر الحديدي وامتدت بين الفريقين على عشرين ميلاً — وبدأ البلغاريون قتالهم ذلك اليوم بان حاولوا الاستيلاء على الجسر (الكوبري) باذلين في ذلك قصارى جهدهم

وكان وراء الجانب الشمالي من الجسر مزرعة ارتفعت فيها المزروعات فاحتل المشاة البلغاريون هذا الموقع المهم ولكن طورغود باشا اسرع الى درء هذا الشر في حينه فأصلى الجنود العثمانيون المتحصنون بجوار الجسر البلغاريين ناراً حامية فاخرجوهم من المزرعة وشتتوا شملهم

وقبل الظهر صب البلغاريون نارهم كلها على موقف الفرقة الثانية عشرة توطئة لهجومهم العام فتكت بها فتكاً ذريعاً ولكن العثمانيين تلقوها ببسالة ورباطة جأش فائقتين

قال المكاتب وقد اضطررت الى مغادرة ساحة الحرب لاسبق غيري في ارسال هذا التلغراف فلقيت في طريقي صفوفاً من الجرحى

بعضهم في مركبات تجرها الثيران و بعضهم على ظهور الخيول والبعض الاخر يسير على الاقدام وقد خارت قواه ووهنت عزائمه والكل قاصدون المستشفى العسكري الرئيسي (*)

الفصل السابع

الزحف على جورلو

زعم البلغاريون ان مطاردتهم للجيش العثماني بعد معركة لوله برغاس كانت شديدة جداً . فقد جاء في برقية من صوفيا بتاريخ ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ما يأتي :

« تنبئ الاخبار الصادرة عن مصدر رسمي بنشوب معركة بين سراي وجورلو فاندحر العثمانيون بعد حرب عوان وارتدوا الى شطلجه اما الخسائر فكبيرة في الجانبين وتفوق خسائر معركة لوله برغاس »

ونسج على هذا المنوال الكولونل واغنر فكتب في وصف هذه المعركة :

« بعد القتال الذي استمر ثلاثة ايام حول لوله برغاس و ويزه وبونار حصار وقتال اليومين الذي اشتبك بعد ذلك في ويزه حيث كان الجناح البلغاري الايسر زحف الجيش الثالث — وهو الذي

كان يؤلف هذا الجناح — من ويزه وسلطان بنجه على استرنجه بنية ان يقطع خط الرجعة على العثمانيين الذين كانوا يحاولون بلوغ خطوط الدفاع في شطلجه

• وكان صفا القلب والجناح الايمن — اللذان كان يؤلفهما الجيش الاول بعد تعزيزه ببعض القوات التي اخذت من جيش الحصار من ادرنة — يزحفان في الوقت نفسه في صفوف عديدة ممتدة على طول الخط الحديدي . وكان أحد هذه الصفوف زاحفاً الى الجنوب ليضرب جناح الجيش العثماني المتحصن في ضواحي جركس كوى ليحمي تقهقر العثمانيين الى شطلجه

• نشبت في جوار هذا الموقع عدة معارك في الثلاثة الايام ٣و٤ و٥ت ٢ وكان العثمانيون يقاتلون تحت امرة القائد العام ناظم باشا بشجاعة ورباطة جأش غير متوقعين بعد الانكسارات الاخيرة فلما رأى ناظم باشا حركة الصف البلغاري الزاحف ليضرب جناحه قابلها بحركة اخرى حاول بها ان يخترق قلب الجيش البلغاري فاخفقت لانصباب قذائف المدفعيات البلغارية وقنابل المشاة على جيشه كالمطر الزاخر. وكان الجيش الثالث القادم من غربي استرنجه قد هاجم في اثناء ذلك قلب الميمنة العثمانية في شمالي بني كوى ورده الى جركس كوى فهذه الحركة حولت اخفاق حركة ناظم باشا الاولى الى انكسار تام فنيت طوابير عديدة من جيشه عن آخرها . وهذا هو سبب الخسائر الهائلة التي اصابت الجيش العثماني في هذه المعركة

« ثم ان تمزق الجناح الايمن من قلب الجيش العثماني كان مدعاة لتقهقره تقهقراً عاماً ولئن كان العثمانيون كانوا لا يزالون محتلين موقعاً منيعاً . فبدأ التقهقر صباح اليوم الخامس من الشهر في جهة الخط الحديدي بجوار سنكلي على نحو خمسة وعشرين كيلومتراً من شطلجه الى الجهة الغربية الشمالية الغربية . وكان الجيش الاول والصف الذي زحف الى الجنوب يطاردان العثمانيين فلم يلبث تقهقرهم ان تحول الى فرار وتمزق شملهم كل ممزق

وعبثاً حاول ناظم باشا ان يجمع جموعه في ساعتين على نحو خمسة عشر كيلومتراً من جورلو شرقاً ليحمي تقهقر جيشه فان الفرق الاحتياطية الاخيرة التي كان امر هذه الحماية موكولاً اليها فنيت تقريباً بحملات البلغاريين بالحراب . ومن هذا الحين شرعت بقايا الجيش العثماني بالتقهقر الى خطوط شطلجه بدون انتظام والبلغاريون في اعقابهم

« اما المعارك التي نشبت شمالي خطوط شطلجه فسالت فيها الدماء انهاراً وخصوصاً في الغابات حيث التحم المتقاتلون جسماً بجسم ثم بلغ منهم التهيج الى حد ان القوا باسلحتهم الى الارض وتعلق بعضهم باعناق بعض . وقد تخلل هذه المعارك حوادث رهيبة تجعل الولدان شيباً فان الجنود العثمانيين حلت عليهم من كل ناحية قوات تزيدهم خمسة اضعاف ففروا لايلوون على شيء في جهة قواق لى بونار ولم يكادوا يصلون اليه حتى كانت نيران البلغاريين مزقتهم كل ممزق (ه) .

تكذيب الرواية

ولقد يتوهم القارئ ان هذه الرواية الصريحة المفصلة لا بدان تكون صحيحة بيد ان مكاتب التيمس كذبها تكذيباً قاطعاً وهذا تعريب روايته :

« انه لمما يدعو الى اليأس ان تكون الصحافة الانكليزية بعد كل ما بذلت من العناء والجهد مخدوعة الى هذا الحد ومصدقة الروايات المقتبسة من مصادر بلغارية على يد اليوتنان واغنر مراسل الريخسبوست الذي زعم حصول معارك متصلة بين العثمانيين والمؤخرة العثمانية وتأثر الاولين للآخرين من لوله برغاس حتى جورلو في حين ان البلغاريين لم يتحركوا من لوله برغاس قبل السابع من الشهر .

« قال المكاتب في ٦ منه صحبت فصيلة استكشاف من الضباط العثمانيين فشاهدنا طلائع الجيش البلغاري لا تزال في لوله برغاس وغادرت المؤخرة العثمانية وقوامها فرقة مشاة جورلو دون ان يتهيأ لها في ستة ايام اطلاق قنبلة واحدة . فلما كان اليوم الثاني — ٧ منه — زحف البلغاريون وكانت فرقة الفرسان العثمانية المستقلة لا تزال في جورلو فلحقت بالمؤخرة . هذا كله رأيته رأي العين حتى كدت اقع اسيراً جزاء تهوري في قبضة كتيبة بلغارية وعلى هذه الصورة اضاع البلغاريون فرصة قلما تسنح لجيش ظافر في حرب لان هذه البقية الباقية من الجيش العثماني لم تهن عزائمها فثبتت وقاومت

البلغاريين مقاومة لا مثيل لها ومن سوء الطالع ان لم يشهد هذه المقاومة غير ثلاثة من المكاتبين الحربيين اما الباقون — الذين كانوا قد ابعدهم الضباط عن مواطن الخطر — فلم يروا الا جيشاً متقهقراً اختل نظامه وساد الاضطراب في صفوفه فكتبوا ما كتبوا غير متثبتين

زحف البلغاريين

«واحتل البلغاريون جورلو ومرادلى بدون مقاومة في يومي ٧ و٨ منه ثم شرعوا في جمع معدات النقل فوجدوا ان العثمانيين بعد اخلائهم رودستو لم يدعوا لهم منها شيئاً. حتى كان الضباط البلغاريون يعرضون ثلاثة جنيهات اجرة الثور لنقل معداتهم من لوله برغاس الى جركس كوى ويخيرون صاحبه بين ان يؤجرهم اياه بهذه القيمة او يبيعه لهم باثني عشر جنيهاً . . . وكان الجيش العثماني قد بدأ بالتقهقر من عشرة ايام فاتجه بدأة ذي بدأ جهة جركس كوى ثم جهة شطلجه بعد ان ثبت من عدم صحة الاشاعة التي تنوقلت بشأن فوز محمود مختار باشا على البلغاريين. اما في الميسرة فالجيش العثماني لم يطلق طلقاً واحداً منذ ٣١ ت ١ (اكتوبر) حتى امس . وكانت طلائع البلغاريين قد وصلت فالتحمت مع فرقة الطليعة العثمانية في قواق كوى

« ومثل ذلك كان نصيب الجناح الايمن العثماني المتقهقر فان البلغاريين لم يتأثروه على الاطلاق » (ه)

***

أما أسباب توقف البلغاريين فكثيرة . منها اعياء الجنود الذين كانت المعارك المتصلة انهكت قوام وأهلكت قسماً كبيراً منهم . ومنها قرب نفاد الذخيرة والميرة . فقد كان البلغاريون يجدون صعوبات طائلة في نقل المؤن والذخائر في بقاع لا طرق فيها . ومنها تأخر النجدات من الجنود الجديدة فان الفرق الاحتياطية اشتركت في القتال وأصابها ما أصاب سواها من النقصان

الخطة البلغارية الجديدة

ورأى القواد البلغاريون أن يرسلوا نظرة الى تنظيم الجيش وتعديل مواقف الفرق قبل متابعة الزحف على شطلجه بعد وصول النجدات من جيش الحصار في أدرنه · وعليه كان موقف الجيش البلغاري امام شطلجه كما يلي :

الى الميسرة الجيش الثالث بقيادة الجنرال ديمتريياف . وفيه الفرقة الخامسة (بقيادة خريستوف) والثالثة (سرافوف) والتاسعة (سراكوف) والرابعة (بوياديافه) والى الميمنة الجيش الاول بقيادة الجنرال كوتنشيف وفيه ثلاث فرق الاولى والسادسة والعاشرة . وفرقة الفرسان

القوات العثمانية

تبين مما تقدم ان الجيش الذي كان تحت إمرة الفريق عبدالله

باشا القائد العام كان يتقهقر بدون أن يزعجه الجيش البلغاري بشيء على الاطلاق . وكان صفين الاول الى الشرق وفيه الفيلق الثالث وسائر الطوابير أوالفرق التي التصقت به أو ضمها هواليه في طريقه من ويزه الى سراي فجركس كوى . والثاني الى الغرب وفيه بقايا الفيالق الثلاثة الاول والثاني والرابع ووجهته شطلجه بطريق جورلو وجنته

على ان الفيلق الثالث كان أحسن هذه الفيالق حالاً وأكثرها انتظاماً . أما الصف الثاني فلم يكن جيشاً بل شراذم متفرقة أخذ الاعياء والجوع وسائر أنواع الحرمان من أفرادها كل مأخذ ثم زادها الزمهرير والبرد وقد استمرت الامطار منهمرة كل الاسبوع الاول من شهر تشرين الثاني بدون انقطاع — فكانت ضغثاً على ابالة

الفصل الثامن

الزحف على شطلجه

قال المستر برتلت مراسل الدايلي تلغراف :

« لم يبق في جورلو في ٣ تشرين الثاني فخرج منها الا تعلق باذيال الفرار . فجمعت امتعتي وقصدت جركس كوى فلم أجد في طريقي — وكانت ثلاثين ميلاً — غير فلول من العساكر معظمهم القوا أسلحتهم وذخيرتهم راضين من الغنيمة بالاياب ورأيت بينهم جرحى

كثيرين كانوا يجرّون أنفسهم جراً من ميدان القتال أي من مسافة أربعين ميلاً . . وكان البرد في الليل قارصاً جداً فاجهز على كثيرين منهم

وكانت الطرق ملأى بجثث القتلى وقد غمرتها الوحول وداستها الاقدام فكان ثمت مشهد يفتت الأكباد . فاسرعت الى جركس كوى وأنا أرجو أن أجد فيها جيشاً منظماً فاذا الارض خالية خاوية ولا أثر للجيش هناك

« وكانت طرقات المحطة غاصة بشراذم الهاربين . يزحم بعضهم بعضاً بالمناكب . هناك أبصرت في احد القطارات الفريق ناظم باشا وهيأة أركان حربه • ورأيت في مركبتين مكشوفتين سيارتين خفيتين • وكان في مركبة أخرى الملحقون العسكريون • هذا القطار كان ذاهباً الى الاستانة • وقد اكتظت مركباته الاخرى بالنساء والاولاد والجرحى بعضهم فوق بعض . وبصرت بقوم يمتطون الخيول وآخرين يركبون الحمير وغيرهم في مركبات تجرها الثيران وقد كدسوا فيها كل ما استطاعوا أخذه من الاثاث والامتعة . هذا المشهد كان مشهد هجرة شعب كامل هو الشعب التركي العائد من أوربا حيث خرج الى اسيا حيث درج »

***

أما مواقف الجيش فكانت كما يلي :

كانت فرقة المؤخرة — ولعلها جيء بها من الاستانة — مرابطة

في ضواحي جورلو وجركس كوى . والى الامام وعن الميسرة فرقة الفرسان بقيادة صالح باشا . والى الميمنة في الغابة وعلى مقربة من استرنجه بعض الكتائب تحمي الفيلق الثالث المتقهقر

وقد قلنا في ما تقدم ان هذه الفرقة لم يزعجها البلغاريون بحركة فاخلت مواقعها في ٦ منه ثم تبعتها فرقة الفرسان . وكان العثمانيون في اثناء ذلك قد انفسح لهم مجال لتنظيم قوات الدفاع في شطلجه بعد ان كانوا تلقوا نجدات اسيوية جديدة من رديف ارضروم وسورية ومن الجيش النظامي في ازمير . ولكنهم كان ينقصهم ضباط كثيرون فكان كثير من الآلايات لا يشتمل الا على ضباط طابور واحد

وتولى القيادة الفعلية الفريق ناظم باشا وزير الحربية فوجه عناية خاصة الى تنظيم وسائل ايصال الذخائر والمؤن الى الجيش . ثم نصب لهم الخيم والسرادقات . ثم نظم المدفعيات واستخدم لها هذه المرة اثنين وخمسين مدفعاً فرنسوياً هي التي ضبطها العثمانيون قبل الحرب وكانت مشحونة للجيش الصربي ثم انتدب مئات أو أكثر من العلماء والمشايخ للوعظ والارشاد وتحريض الشعب على الجهاد بينما كانت مبذولة همة لا تعرف الكلل في تعزيز خطوط الدفاع في شطلجه وتسليحها

وقال مكاتب التيمس : جعل العثمانيون مركز رئاسة جيشهم في خادم كوى وهي قرية واقعة على السفح الشرقي في أكام شطلجه أما رأس سكة حديد الاستانة فبعيد عن خادم كوى والى الغرب منها

وتفرغ قطرات الزاد والذخيرة التي تصل من الاستانة الآن وراء الروابي القائمة عليها استحكامات طوماش وأحمد باشا

وقد تغيرت الحال في الجيش العثماني عما عهدناها في مواقفه السابقة فجميع الجنود — عدا الذين هم في النقطة المتقدمة — ينامون الآن في الخيام و يوزع عليهم الطعام الكافي من الارز والخبز . والفضل في ذلك عائد لتقصير البلغاريين عن اللحاق بهم . ولكن طرأ على الجيش العثماني طارئ جديد لم يكن معروفاً فيه من قبل وأعني به الاوبئة والامراض التي تفتك به فتكها الذريع أو على الاقل تنقص قوته الادبية والمادية

أما البلغاريون فيتقدمون الى شطلجه ببطء واتئاد كأنهم يتلمسون طريقهم تلمس الاعمى لا كما أذيع من أنهم يهاجمون هذه الاستحكامات بالحراب . والظاهر من حركاتهم ان معظم جيشهم محتشد الآن في الروابي بين بلدة شطلجه و بابا برغاس . ومنهم جماعات في الاستحكامات الموقتة غربي بابا برغاس ويظهر انهم اختاروا بنججطاش الهدف الاول لهجومهم ظانين انه أضعف الاستحكامات في خطوط شطلجه ولذلك شرعوا في حفر الخنادق قبالته واقامة الحواجز امام مدافعهم

فاذا قاتلت الجنود العثمانية في الخنادق قتالها في المؤخرة في معركة لوله برغاس أو أحسنت جنود المدفعية المرمى وشدت أزر المشاة كما شدت أزرهم في تلك المعركة خسر البلغاريون كثيراً . لانه ليس في شطلجه وما حولها زراعات من الذرة تحجب البلغاريين عن العيان

بل الارض هناك منحدرات طويلة قليلة الانحدار . ولم يشتهر المشاة البلغاريون الى الآن بالحمية والاندفاع التي اشتهر بها المشاة الروسيون (الموجيك) وهذا هو السبب الاكبر في الخسارة الجسيمة التي لحقت بهم في هذه الحرب . وربما كان هذا هو العامل الاكبر أيضاً في عدم استطاعتهم اجتناء ثمار الانتصارات التي حازوها في المعارك السابقة

الفصل التاسع

شطلجه

شطلجة سلسلة حصون واستحكامات تخترق شبه جزيرة تراقية من بحيرة دركوس في الشمال على ساحل البحر الاسود الى بحيرة بيوك جكمجه جنوباً على شمال بحر مرمرا . وهي قائمة الى الجانب الشرقي من واد يجري فيه نهر قره صو في الجنوب وقره دره في الشمال

والمسافة بين شطلجه والاستانة خمسة وعشرون كيلو متراً

أما طول هذه الخطوط فيتراوح بين ١٥ و ١٦ كيلو متراً وأقيمت حصونها على سفوح سلسلة من الآكام ترتفع نحو خمس مئة قدم عن سطح البحر وتشرف على البلاد الواقعة امامها من جهة الغرب الى مسافة بعيدة . فهي والحالة هذه حصن حصين يرد عن الاستانة غارة المغيرين . وأعلى موضع في هذه الآكام حيث بلدة طاغ يني جه بين

النهرين الصغيرين قترجي دره جنوباً وقره دره شمالا . ويمكن قسمة الوادي هناك الى منطقتين تكثر فيهما المستنقعات والبطائح — التي تتحول في فصل الشتاء الى بحر يصعب اجتيازه — الاولى طولها سبعة الى ثمانية كيلو مترات وتتناول من بحيرة بيوك جكمجه حتى ملتقى النهرين الى منتصف المسافة بين اجتين واورجنلي على مجرى نهر قترجي دره الاسفل . أما ما توسط هاتين المنطقتين في نحو قلب الوادي فارض مكشوفة سهل اجتيازها

ويخترق خط السكة الحديدية بين الاستانة وأدرنه استحكامات شطلجه في موضعين الاول في بلدة شطلجه والثاني في بنجه طاش

وعدد حصون شطلجه الكبرى خمسة وعشرون وضع رسمها سنة ١٨٧٧ الجنرال فون بلوم باشا القائد الالماني في عهد الحرب الروسية العثمانية الاخيرة ووقف الروسيون قبالتها لاول مرة من انشائها سنة ١٧٧٨

وأهم هذه الحصون يتبع القمة الممتدة من شرقي بحيره بيوك جكمجه حتى قره بورنو شرقي بحيرة دركوس ويبلغ ارتفاعها نحو مئتي متر

على انه لم يتسع الوقت العثمانيين لتحصين هذه القلاع كما يجب ولكن حصون الشمال كانت أحسن حظاً فطوقت باسلاك حديدية

وكانت الحكومة العثمانية قد استدعت في سنة ١٨٨٢ الى الاستانة الجنرال بريالمون لاستشارته في تنظيم خطوط الدفاع فارتأى تحويل خمسة من قلاع شطلجه الى قلاع عصرية . ولكن هذا

التحويل كان يقتضي مبالغ كبيرة فبقيت الحالة القديمة كما كانت . الى ان رأى الباب العالي ان الحرب على الابواب فباشر انشاء البطاريات والخنادق حول القلاع

وكانت قد نقلت بعض مدافع شطلجه الى أدرنه فاستعيض عنها بكل ما تيسر نقله من المدافع الثقالة والمدافع الكبيرة الثابتة في حصون البوسفور

وهذه أسماء حصون شطلجه المهمة من الشمال الى الجنوب :

أمين شهر . دلي يونس . وأمامه ميجي طابية . دفتنوغلو طابية أرضية طابية . تشار بلجر . كوزل جلي طابية . (وهذان الحصنان متقدمان قليلاً الى الامام . ووراءهما بين الاثنين) كوروقراق ثم جرمن طابية . أو كلالي توجي طابية . ا كبونلر . (والى الامام) غازي باجير (والى جنوبيها) قراقول قطة . ثم الى جنوبي ا كبونلر كرددره فنجق طابية . فأبرق طابية . فمحمود باشا (غرباً بجنوب) فحمودية (امامها الى الغرب . ثم الى جنوبي محمود باشا) توماش الاولى . وتليها توماش الثانية . وامامها الى الغرب حميدية الاولى . تليها حميدية الثانية . ثم أحمد باشا (جنوبي توماش الثانية) فنجه اغج طابية . فكلور باير في شمالي بحيرة جكمجه . ثم في جنوبي البحيرة الى الشرق حصنان يتقدم أحدهما الآخر ويعرفان باسم بيوك جكمجه

مواقف العثمانيين في شطلجه

جعل الفيلق الاول في جهة أحمد باشا الى جنوب خطوط الدفاع وكان موقفه قليل الخطر ، وكان الفيلق الثاني منتشراً من أحمد باشا الى جاسورين . والفيلق الثالث من جاسورين الى البحر . وكان موقفه أكثر تعرضاً للخطر من سائر الجيوش . وأبقي الفيلق الرابع خلف الثاني احتياطاً • كما أبقيت فرق الرديف خلف الفيلقين الاول والثالث كقوة احتياطية أيضاً

أما المعسكر العام فكان في خادم كوى

مواقف البلغاريين

بعد ان استراح البلغاريون من مشاق معارك لوله برغاس لموا شعثهم واستأنفوا الزحف في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) وكان الجيش الثالث متجهاً جهة جركس كوى أوسترنجه والى ميمنته الجيش الاول وكان قلبه زاحفاً على چورلو

على ان قوات من الجناح في الميمنة القصوى بلغت البحر واحتلت مواقع رودستو وسرفيلى واركلي • ولم يلق البلغاريون مقاومة الا في رودستو التي كانت مركزاً لنقل ميرة الجيش وكان فيها طابور موكول اليه حماية ما كان هنالك من مقادير المؤونة وكانت الدارعتان مسعودية وحميدية والطراد عصر توفيق في مينائها

ففي ٩ منه ظهرت الفصائل البلغارية ثم تلتها في اليوم الثاني قوة كبيرة هاجمت البلدة . بيد ان العثمانيين كانوا قد اتسع لديهم الوقت فانزلوا الى البحر كل ما كان لديهم من الميرة ثم أبحرت الحامية بعد ذلك . فلما دخل البلغاريون المدينة في ١٠ منه وجدوها خالية خاوية ولم يلقوا مقاومة الا من بطاريات السفن العثمانية في البحر

وفي الوقت نفسه كانت فرقة الجنرال كوتنتشيف هبطت نهر مارتزا واحتلت ديموتيكا وسوفلي بدون مقاومة

أما الفرق السبع فكانت مستتبعة زحفها شرقاً فجابت الغابة الواقعة جنوبي استرنجه في طرقات متخربة ومسالك متوعرة مستصحبة بلوكاً من المدافع عيار ١٢٠ م

وفي ١٠ منه جاز الجيش الثالث جدار انسطاسيا وهو سور قديم بني على عهد الملوك البيزنطيين لصيانة عاصمتهم من هجمات البلغاريين في ذلك العهد ولكنه أصبح اليوم متخرباً من كل جهاته . ولم يهتم العثمانيون بمكافحة أعدائهم في هذه الجهات الصالحة لحرب المناوشات بل انسحبت احدى كتائبهم في ١٠ منه من قلفا كوى من امام طلائع الجيش الثالث . وفي ١١ منه غادرت كتيبة أخرى كرد كوى امام طلائع الجيش الاول الذي كان يتتبع الخط الحديدي وفي ١٢ منه بلغت الصفوف البلغارية خط طرفه وقلفا كوى وكرد كوى . ودخلت قوة من الميمنة القصوى سلبفري واتجهت منها جهة اونوط كوى حيث أنشئت استحكاماتها لحماية ميمنة الجيش في ما اذا حاول

العثمانيون انزال قوات جديدة من البحر الى البر . وفي التاريخ نفسه بدأت طلائع الخصمين بالاشتباك من بحيرة دركوس حتى شطلجه امام خطوط الدفاع التي أقامها العثمانيون في هذا الموقع المنيع

وقضت الصفوف البلغارية أربعة أو خمسة أيام في اجتياز الغابة. وكان الجيش الثالث قد جعل معسكره العام في أرمني كرى . والجيش الاول في فنار . ثم قضت هيأة أركان الحرب أيام ١٤ و ١٥ و ١٦ في استكشاف مواقف العثمانيين وفي تعرف تلك الارض واختيار المراكز الموافقة لنصب المدفعيات لحماية هجمات الجيوش . وقد تخللت هذه الاستكشافات مناوشات خفيفة فعرف البلغاريون ما كانوا يرغبون في معرفته من خطة العثمانيين في دفاعهم والمناطق التي يجب أن يحاولوا منها اختراق صفوفهم بعد ان رأوا انهم عاجزون عن الالتفاف حولها

وعولت هيأة أركان الحرب على مباشرة الهجوم من ناحيتين احداهما في الجنوب وثانيهما في شمال بقعة المستنقعات حول قترجي دره بين اجتين وارجونلي . الاولى يقوم بها الجيش الاول فيوجه حملته على شطلجه حتى قلعة محمودية . والثانية يقوم بها الجيش الثالث ويوجه حملته على قلعة اردي طابية وثكناتها (غربي بجنلي) التي تتقدمها الاستحكامات الواقعة شمالي اورجنلي والاستحكامات الواقعة جنوبي شرقي لازاركوى

على ان المواقع البلغارية كانت تشرف في بعض جهاتها من

مسافة مئة متر فقط على المواقع العثمانية فكان الاولون يبصرون بكل سهولة كل ما كان يجري في داخل الخطوط العثمانية ولئن كانت المسافة في جهات أخرى بعيدة جداً خصوصاً حيث كان الجيش الاول الذي جعل في السهل بطارياته المدفعية الموكولة اليها أمر حماية هجمات المشاة

***

في هذه الاثناء أرسل العثمانيون رسلاً الى المعسكر البلغاري يفاوضون في عقد الهدنة . بيد ان القواد البلغاريين رفضوا لانهم لم تكن لهم صفة المفاوضة في مثل هذا الشأن فلم ير الباب العالي بداً من ارسال اقتراحه الى عاصمة البلغار فأجابته حكومتها انها ستعرض اقتراحه على حلفائها الصربيين واليونانيين والجبليين

مواقف الفرق البلغارية تجاه شطلجه

وأتم البلغاريون تأهبهم في ١٦ منه فكانت فرقهم مرابطة على الشكل التالي :

الجيش الاول — كانت الفرقة السادسة الى الميسرة غربي اجيتين والفرقة الاولى في القلب امام شطلجه . والفرقة العاشرة الى الميمنة متأخرة قليلاً . وفي الجناح الاقصى فرقة الفرسان · وقد قلنا ان قوة من هذا الجيش احتلت أرنؤوط كوى وتحصنت لمقاومة حركة انزال

جنود عثمانية الى البر تحت حماية الاسطول العثماني ومنها من الالتفاف حول مؤخرة الجيش

الجيش الثالث — جعل هذا الجيش في الخط الاول فرقتين : التاسعة عن الميمنة غربي كستانيا وفي جكناجا والثالثة عن الميسرة غربي لازار كوى . وبقيت الفرقتان الرابعة والخامسة في الخط الثاني. الاولى عن الميمنة في جهة أكلان حيث تألبت بعد ان تلقت وحدها صدمات الايام الثلاثة ١٤ و١٥ و ١٦ منه . والثانية عن الميسرة في ضواحي طرفه

في ليل ١٦ — ١٧ منه زحفت طلائع فرق الخط الاول لصد الطلائع العثمانية المرابطة في آخر الوادي ليتسنى للجيش الاول أن ينصب في السهل بطارياته المدفعية لحماية حملات المشاة في النهار . وزحفت الفرقة الاولى في الجنوب بغية الاستيلاء على ممر الخط الحديدي على نهر قره صو في جهة بلسايز كوى

حملات الجيش الاول

فلما كان النهار (١٧ منه) تقدمت الصفوف البلغارية الاولى من مجاري الانهر الصغرى غربي الحصون العثمانية . ثم نحو منتصف الساعة العاشرة بدأت المدفعيات موسيقاها على طول الخط. أما الجيش الاول فحشد قوته الكبرى في الميسرة ثم حمل بالفرقة السادسة على قلعة محمودية بين اجتين ومصب قره صو قترجي . واستؤنفت في الجنوب الحملات

التي بدئ بها ليلاً — ولكن على غير جدوى — من ضواحي ياز بورغاس على بها سيسكوى

وكانت الدارعتان العثمانيتان مسعودية وبربروس في خليج جكمجه فكسرتا حدة هجوم البلغاريين بقذائفهما وساعدتهما على ذلك الامطار المنهمرة بدون انقطاع علاوةً على وجود البلغاريين في أرض مكشوفة موحلة

وبعد الظهر أنزل من الزوارق في بحيرة جكمجه نحو مئتي عثماني تحت حماية الدوارع ولكنهم ما كادوا يتقدمون مئة خطوة حتى أصلاهم البلغاريون ناراً حامية فقتل منهم من قتل وأسر من أسر وكانت باقية في البحيرة زوارق ملأى بالجنود فلما رأى هؤلاء ماحل برفاقهم عادوا على الاعقاب راضين من الغنيمة بالاياب

أما في الشمال فبدت للبلغاريين بدأة ذي بدء بارقة أمل. بيد ان المدفعيات العثمانية في الفيلق الثاني — التي كانت محجوبة عن أبصار رجال المدفعية البلغاريين وبعيدة عن مرمى قذائفهم — تمكنت هذه المرة من تبديد رميها فنجحت في صد هجمات الزاحفين. وفي اثناء ذلك قام العثمانيون في جنوبي نكاز كوى بهجمة دحروا بها البلغاريين واضطروهم الى ترك بطاريتين مدفعيتين في السهل كانتا تحميان جيشهم المهاجم . واستمر العثمانيون والبلغاريون يتنازعون هذه المدافع ثلاث مرات متوالية اذ كان يستحيل جرها بدون خيول .
واقتصرت الحركات الحربية في الجيش الاول بعد ظهر ذلك اليوم

على التنازع حول هذه القطع الى ان قارب الغروب فحمل العثمانيون مرة أخرى طمعاً بأخذ هذه الغنائم فلم يفلحوا . وأدرك الفريقين الليل وهم في المواقف التي كانوا فيها في الصباح لا تقدموا ولا تأخروا

أما تجاه الجيش الثالث فكان خط الدفاع الاول قائماً على الآكام المحاذية لخط توزع المياه ويحميه حصنان أحدهما الى الجنوب الشرقي من لازاركوى والاخير شمالي أورجنلي . و بين هذين الحصنين خنادق وامام خط الدفاع كله خنادق أخرى . ثم وراء هذا الخط خط الدفاع الاصلي وفيه القلاع المبنية على القمتين ١٧٢ و ٢٠٧

وقد أقيمت في جوار القمة الاولى قوة مدفعية كبيرة . وأقيمت قوة مدفعية ثانية شمالي قرج علي وجنوبيها . وقوة ثالثة بين اردي‌بطاية والخط الاول

وعلى الجملة فقد كانت البقعة أكثر موافقة للحركات الحربية منها امام الجيش الاول لكونها محمية بقوات مدفعية كبيرة . ولهذا كانت حملات البلغاريين في الجناح الايسر أشد مراساً منها في الجناح الآخر وكانت تعضدها مدفعيات الفرقة الثالثة المنصوبة في الجنوب الغربي من لازاركوى • ومدفعيات الفرقة التاسعة المنصوبة على القمم غربي كناكيا • وبعض بطاريات الفرقة الرابعة على القمم غربي كستانيا علاوة على بعض مدافع من عيار ١٢٠ مليمتراً.

وكان يقابل الجيش الثالث البلغاري الفيلق الثالث العثماني الذي استمر افراده رابطي الجأش لم تضعضع عزائمهم النكبات السابقة

خصوصاً بعد مالقوا من شبه الفوز في الوقائع التي اشتبكوا فيها مع البلغاريين في جوار لوله برغاس

فعند نحو الساعة العاشرة استولت الفرقة الثالثة على لازار كوى وتقدمت بعد الظهر من الاستحكامات القائمة الى الجنوب الشرقي من هذه القرية فأصلتها البطاريات العثمانية ناراً شديداً فلم تتمكن من بلوغ النابة القائمة الى الشرق الا بكل جهد . على انها استهدفت في هذا الموضع للقذائف العثمانية المنصبة عليها من الخنادق ومن البطاريات وعجزت مدفعيتها عن مقابلة المدفعية العثمانية فلما ادركها الليل كانت باقية في موضعها كأنها سمرت فيه تسميراً

وكانت الفرقة التاسعة عن الميمنة قد زحفت من جهة كستانيا على الاستحكامات شمالي اورجنلي . فحمل اللواء الاول (الآلايان الرابع والسابع عشر) حتى بلغ قترجي دره وهناك بدأت أن تنصب عليه من الخنادق القائمة في سفح تلك الاستحكامات ومن مواقف المشاة العثمانيين ومن مدفعياتهم نار حامية فلم تقوَ البطاريات البلغارية على اسكاتها . ومع كل ذلك تمكن اللواء الاول من بلوغ ضفة قترجي اليسرى بعد ما لحقت به خسائر كبيرة . بيد ان تقدمه وخسارته لم يجدياه نفعاً لانه اضطر أن يلازم موقفه غير قادر على التقدم ولا على التأخر بسبب عدم وصول نجدات اليه

فشل الفرقة الثالثة

أما الفرقة الثالثة والفرقة التاسعة فصدر لها الامر بان تقوما بحملات ليلية رجاء بلوغ الغاية التي عجز البلغاريون عنها في حملات النهار فزحفت الفرقة الثالثة في الساعات الاخيرة من ليل ١٧ — ١٨ تشرين الثاني واستولت على الخنادق العثمانية في الجنوب الشرقي من لازار كوى وعلى الاستحكامات التي كانت الخنادق تحميها . فلما طلع الفجر انتهز محمود مختار باشا فرصة تلبد الضباب فزحف بجيشه على البلغاريين فزعزع صفوفهم . واتفق ان المدفعيات البلغارية أذهلها الضباب عن مواقف العثمانيين فجعلت ترمي بقذائفها الصفوف البلغارية نفسها فتقهقر البلغاريون مسرعين واسترد العثمانيون مواقعهم الاولى على ان بعض كتائب منهم تقدمت الى ما وراء قره دره ولكنها ما لبثت ان عادت الى لا زار كوى

وفي هذه المعركة جرح الفريق محمود مختار باشا مرتين

فشل الفرقة التاسعة

أما في الفرقة التاسعة فان فريقاً من احتياطي الآلاي الرابع هاجموا في نحو الساعة ١١ من مساء ١٧ منه الاستحكامات القائمة شمالي آورجونلي و بلغوها . فاستأنف العثمانيون الكرة عليهم فلم يفلحوا . فلما طلع الفجر وتلبد الضباب رأى الآلاي الرابع نفسه هدفاً لقذائف

البطاريات العثمانية في خراج علي من الامام والجناح . وهدفاً لقنابل الرماة حامية أو رجو نلي من خلف فلم يطق على النارين صبراً فتقهقر وتقهقر معه الآلاي السابع عشر الذي كان رفيقه الآلاي الرابع قد انفصل عنه لمباشرة الهجوم

وكانت بطاريات كتانيا قد عاودت الاشتراك بالقتال فحمت تقهقر الآلايين الرابع والسابع عشر الذين كانت البطاريات العثمانية تتعقبهما

وتوقفت الحركات الحربية عند هذا الحد بقية نهار ١٨ منه في ناحيتي الفرقتين الثالثة والتاسعة . فان خسائر البلغاريين في ذينك اليومين بلغت العشرة الالاف بين قتيل وجريح . أما خسائر العثمانيين فكانت أقل من ذلك قليلاً

هذه كانت خسائر الجيشين ذلك اليوم ولم تلتحم فيه غير الطلائع فقد كان البلغاريين امام شطلجه سبع فرق لم يشترك منها في القتال على طول الخط غير نصفها . وما كان هجوم أحد آلايات الفرقة الرابعة في صباح ١٨ منه الا بقصد املاء فراغ في موقف مهم متسبب عن تقهقر الآلايين الرابع والسابع عشر لا بقصد الاستيلاء على موقع معين عنوة . وعلى الجملة فقد كانت حرب يومي ١٧ و ١٨ منه حرب استطلاع واستكشاف ليس الا كلفت الخصمين خسائر كبيرة . وعلم البلغاريون ان العثمانيين أصبحوا في مواقفهم الجديدة أثبت من الجبل الراسخ وكانت قد بدأت المفاوضات بعقد الهدنة وتفشت الاوبئة

بين الجنود وغصت مستشفيات الدول الخمس المتحاربة بالجرحى والموبوئين فاوقفت الحركات الحربية في الجانبين . اما البلغاريون فتقهقروا بمعظم قواتهم زهاء ستة كيلو مترات وأخلوا السهل والاكام التي كانوا قد نصبوا فيها مدفعياتهم واكتفوا باحتلال الا كام القائمة غربي الوادي بعد ان أنشؤوا فيها الاستحكامات وتحصنوا

وتم هذا التقهقر في الثلاثة الايام بين ١٩ و ٢١ منه تحت حماية البطاريات المدفعية ومؤازرة المؤخرة البلغارية المتحصنة في الخنادق

أما العثمانيون فكادوا لا يصدقون عيونهم فارسلوا طلائع الاستكشاف ثم تقدموا الى الامام فحصلت مناوشات خفيفة أهمها امام قلعة محمودية حتى محطة شطالجه حيث تمكن آلاي البرنس دي باتنبرغ من صد العثمانيين

ثم في ٢٢ منه وصلت الى اجبتين كوكبة من الفرسان العثمانيين أرسلت للاستطلاع فقابلتها البطاريات البلغارية بقذائفها . وفي الليل غافلت قوة من الأكراد حامية هذه البلدة فاخذت بعض الاسرى ونحو مئة بندقية . وكانت هذه آخر الحركات الحربية امام شطالجه قبل الهدنة

أدرنه تحت الحصار

قلنا ان الباب العالي باشر منذ ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) مفاوضة الحكومات البلقانية في عقد هدنة . وكانت أدرنه باقية تحت الحصار فطالت المفاوضات بشأنها الى ان حصل الاتفاق في اليوم الثالث من شهر كانون الاول (دسمبر)

وندع للجزء الثاني وصف حصار أدرنه وما أبداه جنودها الابطال من ضروب الشجاعة والاستبسال في القتال تحت امرة قائدهم الغازي الفريق شكري باشا وكل آت قريب

الفصل العاشر

صك الهدنة

بناء على اقتراح فخامة الصدر الاعظم كامل باشا عقد هدنة اجتمع الموقعون أدناه :

الدكتور ستيفان دانيف رئيس مجلس النواب البلغاري الحامل الوسام الملكي البلغاري وسام القديس اسكندر . والجنرال ميشال سافوف معاون قائد الجيش البلغاري العام الحامل الوسام الوطني البلغاري ووسام الاستحقاق العسكري . والجنرال ايفان فتشيف رئيس هيأة أركان الحرب في الجيش البلغاري الحامل الوسام الملكي البلغاري وسـ

الاستحقاق العسكري . المفوضون لهذه الغاية تفويضاً مطلقاً من قبل جلالة ملك البلغار قائد الجيش البلغاري العام والمنتدبون لتمثيل الجيوش الصربية والجبلية . فريق أول

والفريق ناظم باشا ناظر الحربية العثمانية وقائد الجيش العثماني العام الحامل الوسام السلطاني المجيدي من الدرجة الأولى . ورشيد باشا ناظر التجارة العثمانيـة الحـامل الوسام السلطاني العثماني المرصع من الدرجة الاولى • والاميرآلاي علي رضا بك رئيس دائرة في هيأة أركان الحرب العثمانية العامة الحامل الوسام العثماني من الدرجة الثانية • المفوضون من قبل جلالة السلطان تفويضاً تاماً . فريق ثان

وتم بينهم الاتفاق على ما يأتي :

أولاً عقدت هدنة بين القوات المسلحة البلغارية والصربيـة والجبلية من جهة وقوات السلطنة العثمانية من جهة ثانية حتى يتمكن من مباشرة المفاوضات لعقد الصلح بين الدول المتحاربة

ثانياً تعتبر الهدنة مستمرة في كل المدة التي تقتضيها مفاوضـات الصلح والى ان تنتهي هذه المفاوضات اما بعقد الصلح أو بتوقفها

ثالثاً تـكون مفاوضات الصلح في لندن وتبدأ بعـد توقيع هـذا الصك بعشرة أيام

رابعاً اذا اتفق ان هذه المفاوضات أخفقت فيتحتم على كل فريق من القوات المتحاربة أن يعلن فسخ الهدنة قبل أربعة أيام مع تعيين تاريخ وساعة استئناف القتال • وتبدأ هذه الايام الاربعة من الساعة

السابعة من المساء الذي يلي مكاشفة القائد العام في احد الفريقين القائد العام في الفريق الآخر

خامساً تستمر الجنود المتحاربة محتلة مواقعها الحالية نفسها . وتقام منطقة متحايدة بالاتفاق المتبادل بين الضباط الذين يندبهم لهذا العمل القائدان العامان في الجيشين المتحاربين

سادساً تبدأ الهدنة من ميعاد توقيع هذا الصك . فاذا جازت صفوف أحد الفريقين المتحاربين خط الحدود بعد عقد هذه الهدنة فيتحتم عليها ان تعود الى مواقعها الاولى

سابعاً تتعهد الحكومة العثمانية بان ترفع الحصار عن موانئ البحر الاسود . وان تطلق حرية المرور للسفن لدخول هذه الموانئ . وان لا تعارض تموين الجيوش البلغارية من البحر الاسود . وتتعهد ايضاً بان تطلق حرية المرور على الخط الحديدي في منطقة قلاع أدرنه للقطارات العسكرية البلغارية في مجيئها من بلغاريا أو في عودتها اليها

ثامناً تبتدئ الهدنة منذ اليوم العشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر حساباً شرقياً) سنة ألف وتسع مئة واثنتي عشرة الساعة السابعة مساء

وعلى هذا جرى وضع هذا الصك وتوقيعه في شطلجه في أربع نسخ في اليوم العشرين من شهر تشرين الثاني سنة الف وتسع مئة واثنتي عشرة (حساباً شرقياً)

ملاحظة

أما تموين الجيوش البلغارية المنصوص عنه في الفقرة السابعة من هذا الصك فانه يبتدئ من اليوم الذي يباشر فيه بمفاوضات الصلح

س ٠ دانيف	الجنرال فتشيف
الجنرال سافوف	م ٠ رشيد
ن ٠ ناظم	علي رضا

تملص اليونان من الهدنة

أما اليونانيون فاتخذوا رفض الباب العالي تسليمهم يانينا — وكانت لم تسقط بعد — حجة للانفصال عن حلفائهم وعدم القبول بعقد الهدنة فاستمرت الحرب نشبة بينهم وبين العثمانيين في البر والبحر ٠ على ان تملصها هذا لم يمنعها من الاشتراك في مفاوضات الصلح التي ابتدأت في العاصمة الانكليزية في السادس عشر من شهر كانون الاول (دسمبر)

والمرجح ان اليونان لم تتملص من الاشتراك في الهدنة الا باتفاق مع حلفائها حتى يبقى الاسطول اليوناني حاصراً السواحل العثمانية على بحر ايجه والبحر اليوني فلا يتهيأ للحكومة العثمانية أن ترسل مؤناً الى يانينا واشقودرة اللتين لم تستطع الجيوش اليونانية والجبلية ان تحصرها

حصراً تاماً ولا ان تجدد ذخيرتها التي قاربت النجاز أو ان تفسح مجالاً للنجدات العثمانية في اسيا الصغرى لان تصل الى الاستانة بطريق البحر . وعلى الجملة فان تملص اليونان كان نافعاً الحكومات المتحالفة من كل جهة ومضراً بالحكومة العثمانية من كل جهة . فادركت في حالتها هذه أهمية السيادة البحرية ووجهت عناية مخصوصة الى ان تكون لها الارجحية على الاسطول اليوناني كما سيجيء في فصل الوقائع البحرية ان شاء الله

الفصل الحادي عشر

أسباب الفوز والفشل

فوز البلغاريين

أعلنت الحرب في الثامن عشر من شهر تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٢ وفي ٢٤ منه دخل البلغاريون قرق كليسه وتوغلت جيوش حلفائهم الصربية واليونانية والجبلية في الولايات العثمانية ولم يكد ينقضي الشهر حتى كانت جيوش تراقية العثمانية تتقهقر بعد معارك لوله برغاس وجورلو الى الحصون العثمانية في جتالجة على مسافة أربعين كيلو متراً من الاستانة

ولقد لغط الكتاب العسكريون كثيراً في أسباب هذا الانتصار

وهذا الفشل وكانت أنباء الفشل والخذلان على الاخص على كل لسان وفي رأس كل قلم وألقى معظم الكتاب تبعته على انقسام الاحزاب السياسية في البلاد العثمانية وتفرق كلمتها وعلى اشتغال رجال الجيش بالسياسة وتلاهيهم بها عن الجيش . ومهما يكن من الامر فان الاسباب التي أفضت الى انتصار البلغاريين لم تكن بمعزل عن ان يكون لها شأن كبير في الوصول الى تلك النتيجة

أعلن البلغاريون الحرب بعد ان تعمدوها سنين طويلة وأخذوا الاهبة لها على مهل . فان هذه الامة التي كانت الى عهد قريب ولاية عثمانية كان لا هم لها ولا شاغل يشغلها غير مناجزة سيدها القديم العداوة واصلائه حرباً عواناً . فأعدوا لخوض الحرب العدة اللازمة وتأهبوا لها أدبياً ومادياً باذلين في هذا السبيل كل مرتخص وغال . وكانت القاعدة التي جعلها كل جندي بلغاري قبلة أفكاره وهي « الفوز على تركيا واخراجها من أوربا » أساس الاستعدادات التي قامت بها بلغاريا منذ خمس وعشرين سنة الى هذا اليوم

ولقد سبق لنا ان قلنا ان أسباب الحرب الجوهرية كانت « مطامع كامنة وعداوات متوارثة واحقاداً متقدة في الصدور » وكانت هذه الاحقاد لا تزداد الا تأصلا ويزداد معها الميل الى الانتقام . قال الليوتنان واغنر : أول ما قرع سمعي في بلغاريا كانت ذكرى الفظائع التي ارتكبها الاتراك في مقدونية لا في السنوات الاخيرة بل منذ خمس وثلاثين سنة حين جازت الجيوش الروسية

البلقان وامامها جيوش بلادنا وشبكا متقهقرة فلم يلهها ما هي فيه عن الانتقام من سكان البلاد التي تجتازها بقتلوا الاولاد على أحضان أمهاتهم والرجال تحت أبصار زوجاتهم والعجائز في أسرتهم . فلم يكن في بلاد بلغاريا كلها من لم يرزأ بامه أو أبيه أو أخيه أو أخته سواء كان في بلدة ستارازا كورا أو في سواها . فهذه البغضاء المتأصلة في صدور البلغاريين كانت من أهم أسباب فوزهم على خصومهم

وقد قيل ان الوزارة البلغارية ترددت قليلاً حين أوشكت أن تعلن الحرب مخافة أن لا تلقاها الامة البلغارية بالتحمس المرجو بيد انها ما لبثت ان أدركت ان الامة هي الطالبة للحرب وانها لا تتأخر عن الثورة ضد الحكومة اذا ظلت على ترددها فلم يسع الحكومة الا ان تحقق رغبات الشعب . ولما أصدرت أوامرها بتعبئة الجيش اقبل البلغاريون الى التجند من كل حدب وصوب حتى أربى عدد المتقدمين منهم على العدد المطلوب لحمل السلاح مرات عديدة . ومن أراد شيئاً أحسن الاستعداد له ومن أحسن الاستعداد كان فوزه مضموناً

أسباب فشل العثمانيين

قوام الحرب ثلاثة امور : إعدادها وادارتها وتنفيذها . فاذا لحق الخلل واحداً من هذه الامور الثلاثة كان وحده كافياً للتسبب في الفشل . قال الكولونل بوكايل : أما الادارة العثمانية فلا ندري به

مقدار التبعة التي توجهها اليها لان هيآت أركان الحرب لم تبسط بعد آراءها . وأما التنفيذ فكل ما علم بشأنه حتى الآن ينحصر في ما كتبه فريق من المكاتبين العسكريين شهود العيان . بقي أمر اعـداد الحرب وقد عرف القاصي والداني انه كان بالغاً الدرجـة القصوى من الخلل والنقص حتى ليصح أن يقـال انه لم يكن ثمت استعداد للحرب على الاطلاق

قال المستر برتليت مكاتب الدايلي تلغراف : حاول رجال الدوائر العسكرية في الاستانة أن يموهوا الحقيقة على الناس مؤملين ان شجاعة الجنـدي العثماني تكفي . فخدع كثيرون بدأة ذي بدء وكنت أنا في الجملة . بيـد ان أوهامي ما لبثت ان اضمحلت حين وصولي الى المعسكر . وليس من ينكر ان الجندي العثماني لا يزال ذلك الجندي الشجاع المضروبة بسالته الامثال ولولا هذه الشجاعة الخارقة لما استطاع الثبات في معركة لوله برغاس ثلاثة أيام متواليـة . ولذلك قلـت على الجندي العثماني التي تبعة الفشل بل على كبار المأمورين وأصحاب المناصب العالية في عاصمة السلطنة الذين نفختهم الكبرياء فامتهنوا الامم البلقانية أي امتهان . ظن هؤلاء الموظفون ان الجيش العثماني أرجحية كبرى على جيوش الدول المتحالفة ولم يدركوا ان هذه الارجـحية كانت حبراً على ورق ليس الا . فقوة الجيش العثماني والحالة هذه انما كانت وهماً عالقاً بالافكار وخدعة من أكبر الخدع . واني لأؤكد ان الجندي العثماني لو استطاع أن ينال قطعة

واحدة من البقسماط في يومه لما تقهقر امام العدو الزاحف خطوة واحدة فهو بالجوع قد غلب وليس بالحرب

« ثم لم تكن في الجيش العثماني هيأة أركان حرب صالحة لادارة بلدة صغرى . . . وكان القواد على ما يظهر يجهلون مبادئ الحرب العصرية الاولية . . . ولم تكن في الجيش ادارة صالحة لتوزيع الميرة والذخيرة . . . وكان تحت يد الجيش العثماني خط حديدي كبير ومع ذلك فان المأمورين العسكريين وهم على مسافة خمسين ميلاً فقط من الاستانة لم يستطيعوا أن يقدموا الغذاء للواء واحد من ألوية الجيش . . . وهكذا باتت أربعة فيالق كبرى هدفاً للجوع القاتل . . . وهكذا كان الجنود يساقون الى الحرب من غير أهبة أو استعداد . لم يكن في الجيش العثماني ادارة صحية صالحة ولا مستشفى نقال . وصحب الجيش بعض الاطباء الجراحين ولكنهم لم تكن معهم أدواتهم الجراحية . . . فكان كل جندي ذاهب الى الحرب على ثقة من انه اذا أصيب بجراح فان دون نجاته خرط القتاد

« ثم ان المدفعيات ألقيت في ميادين القتال وليس معها من القذائف ما يكفيها لبضع ساعات . ولا جعلت وراءها في مسافة خمسين ميلاً قوة احتياطية كائنة ما كانت . فلم يكد يمر يومان على اعلان الحرب حتى كان الجيش العثماني قد خسر أكثر مدافعه

« دعي الى حمل السلاح فلاحو الاناضول الاغبياء وبينهم عدد كبير لم يحمل بندقية في عمره فنظموا كتائب وطوابير وسيقوا الى

الاستانة فسلمتهم الدوائر العسكرية بنادق موزر ومقداراً من القراطيس (الخرطوش) دون تمرين أو تعليم فلما وصلوا الى ميدان القتال أفرغوا كل ما يحملون في ساعة واحدة وبقوا صفر الايدي ... هذا هو الجيش الذي عبأته حكومة الاستانة وأطلقت عليه اسم «الجيش الذي لا يغلب» (ه)

***

وقد زاد هذا المشهد القاتم بعض خيالات المسيوجانرود مكاتب الطان قال: كان لانتظام الجنود المسيحيين في الجندية العثمانية تأثير سيء. وقد شاهدت يوم وصولي الى معسكر جورلو نحو الف من الجنود الهاربين. وقد قال أحدهم وهو رومي لخادمي: إننا نموت في الجيش جوعاً وقوادنا غير أكفاء فلا نود أن نعود الى القتال. واذا حاولوا اكراهنا فان لدينا بنادق وقراطيس فندافع عن أنفسنا».

ثم بعد معركة لوله برغاس رأينا في شوارع جورلو هؤلاء الاروام يعملون مناضد القهوات ويدعون الفارين الى التمرد

***

وقال مكاتب التيمس: لم تكن لجيش في العالم من أوائل التاريخ الى الآن ادارة أسوأ من ادارة الجيش العثماني في هذه الحرب فقد كان يصعب على الانسان أن يعين موقف اللواء أو الفرقة أو الجيش أو يتثبت من قوتها الحقيقية بل كان هذا التعيين والتثبت ضرباً من المحال حتى قبل نشوب القتال لان الفيالق والفرق والالوية

والآلايات كانت مختلطة بعضها ببعض اختلاط الحابل بالنابل حتى كان يستحيل على القائد العثماني أن يعرف عدد الذين يقودهم وما معه من المعدات

وعلاوة على ذلك فانه لم تكن هناك وسائل المخابرة بين الجيوش المتفرقة الا بطريق الاستانة . وكذلك المخابرة بين أقسام الجيش الواحد في ساحة الحرب فالتخاطب بينها كان مقتصراً على الاسلاك البرقية الممدودة على خطوط السكة الحديدية

وحدثني ضابط من هيأة أركان الحرب في الجيش الرابع قال : لو تيسر لنا الطعام والذخيرة أو لو كنا نرجي وصول شيء منهما لحافظنا على مراكزنا من لوله برغاس الى جركس كوى ولم نسلم بمركز منها الا بعد قتال شديد ولكن الجوع عض جنودنا بنابه وفرغت الذخيرة منهم فاضطررنا ان نتقهقر

حديث مختار باشا الغازي

وحادث المسيو جيفرياي مكاتب جريدي الأيكو دي باريز الغازي أحمد مختار باشا في هذا الصدد وهذا ما صرح به الغازي : ان حزب تركيا الفتاة قد قلب كل شيء رأساً على عقب . فقد كان لدينا في الماضي ضباط ترقوا من بعد ان خدموا كجندي بسيط وآخرون تخرجوا في المكاتب . فلم يرضهم ذلك وأول مافعلوه حين تقلدوا الاحكام انهم بدؤوا بتوزيع معاشات التقاعد (الاحالة على

المعاش) على الاكثرين من الضباط وتعيين غيرهم في وظائف ملكية واتخذوا عوضاً عنهم ضباطاً من فتيان المدارس . حتى بلغ عدد الذين أدخلوا الى الجيش في مدة ثلاث سنوات الفاً وخمس مئة ضابط وكلهم من الفتيان غير المجربين . ثم لما نشأت الحرب لم يكن في الطابور وهو عندنا ثماني مئة مقاتل سوى سبعة ضباط . . . وكان يكون فيه من قبل ستة عشر أو سبعة عشر . فكيف يتهيأ لمثل هؤلاء الجنود كائنة ما كانت شجاعتهم أن يتحركوا بدون زعماء يقودونهم ؟ ثم كان الضابط من قبل لا شاغل له غير جيشه أما اليوم فان ضباطنا الفتيان يحسبون أنفسهم في برلين فاذا انتهت خدمتهم أغمدوا سيوفهم وانصرفوا

« على اني توفقت الى ان أجمع في بدء الحرب لصد البلغاريين مئتين وثلاثين الف مقاتل . ولم تكن اليونان أوالجبل الاسود ليهمانني فوجهت عنايتي الى توقيف زحف البلغاريين . بيد ان ادارة الميرة لم تكن منظمة فلبث كثيرون من الجنود الشجعان بغير قوت ثلاثة أيام وماذا تريدان يصنع جيش خال من الضباط ومن القوت . لم يكن اقرب اليهم من الفرار ففعلوا (ه)

كلمة لمونتسكيو

وعلى الجملة فمهما يكن من أمر الادارة والتنفيذ فهيهات ان يتهيأ للجيش نجاح وهو على ما وصفنا من سوء الاستعداد . قال مونتسكيو

في كتابه « عظمة الرومانيين وانحطاطهم » : « تبدو في كل مملكة أسباب عامة سواء كانت أدبية أو طبيعية تساعد على ترقيها أو ثباتها أو انحطاطها ويكون كل ما يتأتى من الحوادث مترتباً على هذه الاسباب العامة وناتجاً عنها . فاذا اتفق ان معركة — وبالتالي سبباً خاصاً — أفضت الى سقوط دولة فان وراء هذا السبب الخاص من غير بد سبباً عاماً قضى على هذه الدولة بالسقوط في معركة واحدة » (م)

الفصل الثـــاني عشر

جمعية الهلال الاحمر المصرية

تنويهاً بفضل القائمين بهذا العمل الانساني المبرور تثبت في هذا الموضع التقرير الذي وضعته اللجنة التنفيذية ورفعه دولة البرنس يوسف باشا كمال رئيس اللجنة الادارية الى سمو البرنس محمد علي باشا رئيس جمعية الهلال الاحمر المصرية وهذا هو بحروفه :

تقرير اللجنة التنفيذية

صاحب السعادة رئيس جمعية الهلال الاحمر المصرية دولتلو أفندم حضرتلري

بناء على قرار وطلب جمعية الهلال الاحمر المصرية باحدى جلساتها

المنعقدة تحت رئاسة دولتكم أتشرف بان أقدم لكم تقريراً عن أعمال اللجنة التنفيذية في تجهيز البعثات الطبية التي أرسلت في خدمة الدولة العلية في حربها مع دول البلقان الثلاثة في الثلاثة أشهر التي آخرها دسمبر (ك ١) سنة ١٩١٢ وكشفاً مصدقاً عليه من حضرات أعضاء اللجنة المالية مبيناً به المبالغ التي صرفت في هذا الغرض

لما خالج ضمير بعض ذوي الحيثيات تأليف جمعية هلال أحمر مصرية عطفاً وحناناً على بؤساء وجرحى القتال في الحرب المذكورة وكانت الحاجة ماسة الى تأليف بعثات طبية لتمريض الجرحى في هذه الحرب التي تأجج لهيبها وقتئذ تشكلت جمعية الهلال الاحمر المصرية والتمست من سموكم قبول رئاستها فتفضلتم بقبولها وقد كان هذا داعياً لانضمام كثير من العلماء والكبراء الى عضوية الجمعية . وفي أول اجتماع بسراي دولتكم بمنيل الروضة الذي كان بتاريخ ٢٤ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩١١ انتخب من هؤلاء الافاضل هيأة مجلس ادارة للنظر في شؤون الجمعية ومن هؤلاء انتخبت اللجنة التنفيذية لتنفيذ ما يقرره مجلس الادارة المذكور

وفي يوم ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٢ اجتمع في حفلة الشاي بسراي دولتكم الوجهاء والاعيان من الوطنيين والاجانب من ذوي البر والمروءة وقد اكتتب الجميع يومئذ بسخاء وذلك لمساعدة الجمعية . فكان هذا بادئ بدء لاقبال الامة على الاكتتاب الذي كان ولم يزل بكرم حاتمي مما جعل الجمعية تقوم باعمال هامة سيأتي تفصيلها بعد

البعثة الاولى

ولما كان من الضروري الاسراع في ارسال أول بعثة الى ميدان القتال فوساطة دولتكم لرئاسة الجيش البريطاني والجيش المصري وقتئذ لطلب المساعدة في طلب اللوازم للبعثة المذكورة أتت بفوائد جمة لانجازها بكل سرعة . لانه بناء على ذلك قد استعرض كل من الجيش الانجليزي والجيش المصري لهذا الغرض شكل ونظام مستشفيات الميدان النقالي لهيأة الجمعية فوقع الاختيار على مستشفى نقالي من الجيش المصري نظراً لطاقة مالية الجمعية وقتئذ . وقد كلفت اللجنة التنفيذية بعد الاتفاق على أخذ المستشفى المذكور باستلامه واستكمال باقي معداته ثم تأليف موظفيه من أطباء وممرضين ثم مشترى الاغذية والدواب اللازمة لحل هذا المستشفى النقالي اثناء وجوده في ميدان القتال حيث انه أعد لهذا الغرض أي مؤاساة الجرحى في ميدان الحرب مع التنقل من نقطة الى نقطة حيث يكون القتال

وبعد اتمام تجهيزها على الصورة المذكورة صار ترحيل هذه البعثة في قطار خاص من محطة مصر يوم الاربعاء ٦ نوفمبر (ت ٢) ١٩١٢ الى الاسكندرية ومنها الى الاستانة . أما الاطباء فقد سافروا على الوابور الروماني في يوم الجمعه ٨ نوفمبر ١٩١٢

أما مصاريف هذه البعثة فهي كما يأتي :

أسماء الموظفين

الدكاترة : سليم بك موصلي . أمين افندي معلوف . محمد افندي توفيق . حنا افندي القسوس . نقولا افندي حداد . نادر افندي زيتون . ومأمور البعثة اليوزباشي أحمد افندي حوده و ٦٢ ممرضاً و ٧٠ بغلاً

المصاريف

مليم	جنيه	
٥٥٠	١١٤٨	ثمن حيوانات ٥٣ بغلاً
٦٠١	٣٦٢	تعيينات ومؤونة مواشي
٢٧٧	٢٩٢	ملبوسات
٢٤٩	١٣٠٢	مهمات
٧٦٩	٣٠٦	أدوية وآلات جراحية
٦٠٠	٥	مصاريف نثرية
٨٢٣	١٤٧	مصاريف نقل وسفريات
٧٢٥	٣٩٨	ماهيات

فيكون المجموع ٣٩٦٤ جنيهاً و ٥٩٤ مليماً

البعثة الثانية

ولم تكتف الجمعية بارسال هـذه البعثة الاولى بل قرر مجلس ادارتها تأليف بعثة ثانية كاملة المعدات لتكون مستشفى مركزياً كامل الشروط لمؤاساة الجرحى الذين يصلون من ساحة القتال الى الاستانة فقرر في جلسته المنعقدة في ١١ نوفبر ١٩١٢ تأليف بعثة ثانية على الشكل المذكور وعندئذ قامت اللجنة التنفيذية بعمل الترتيبات اللازمة في تجهيز ما يلزم هذه البعثة من آلات جراحية وأجهزة تعقيم وتطهير وأغذية وتعيين الاطباء والاجزاجية والمرضين والمرضات وغيرهم من الموظفين باقرب ما يمكن من الوقت وبعد اتمام تجهيزها صار ترحيلها من مصر يوم الجمعه ٢٢ نوفبر سنة ١٩١٢ على قطار خاص الى الاسكندرية ومنها الى الاستانة على الوابور الروماني

أما موظفو هذه البعثة فهم كالآتي : —

أسماء الموظفين

البروفسور رايش . وحضرات الدكاترة : ستيفن . علي بك ابراهيم . توفيق افندي عمر . بهجت افندي سليم . حسن افندي ابراهيم مسعود . عبد الحليم افندي محفوظ . دكتوران المانيان . أحدهما بكتريولوجي . عشر ممرضات المانيات . مأمور — احمد بك توفيق . مساعدة المأمور الست فاطمه ظهره توفيق . مئة وخمسون ممرضاً

المصاريف

مليم	جنيه	
٢٤٥	١٠٧٠	تعيينات
٩٢٢	٢٨٨	ملبوسات
٩٥٠	[illegible]	معمات
٢٧٤	٧٧٧	أدوية وآلات جراحية
٧١٠	٦	مصاريف نثرية
٤٢٨	٤٤١	مصاريف نقل وسفريات
٥٠٠	٤٥٥	ماهيات

فيكون المجموع ٥٤٠٧ جنيهات و ٧٩ مليماً

البعثة الثالثة

هذا ولما رأت الجمعية ان الامراض الوبائية انتشرت بين العساكر العثمانية على ما جاءت به الاخبار التلغرافية قرر مجلس ادارتها بجلسته المنعقدة في أول دسمبر (ك ١) سنة ١٩١٠ ارسال بعثة طبية ثالثة الغرض منها مقاومة تلك الامراض الوبائية وتخفيف وطأتها بين العساكر والمهاجرين وكلف اللجنة التنفيذية بتأليف هذه البعثة مع ارسال مندوب مسؤول برتب شهري يسافر مع البعثة المذكورة ليستلم الاشغال من سعادة محمد باشا الشريعي بالاستانة . وقد قامت هذه

اللجنة بتجهيز لوازم هذه البعثة من أطباء وأجزاجية وممرضين وموظفين وأدوية وأغذية ومهمات ثم أعدت لها قطاراً خاصاً قام بها من محطة مصر في يوم الجمعه ٦ دسمبر سنة ١٩١٢ الى الاسكندرية ومنها الى الاستانة على الوابور الروماني

وهذا بيان موظفي البعثة الثالثة ومصاريفها :

أسماء الموظفين

الدكاترة : محمود بك طاهر . عثمان بك رضوان . محمد افندي العرومي . محمود افندي كامل . محمد افندي عبد السلام الجندي أنيس افندي أنسي . عبد المجيد افندي رشدي . محمد افندي صدقي محمد افندي عابد . علي افندي سامي . توفيق افندي شحلاوي محمد افندى فضلي . محمد افندى سالم و ٢١ ممرضاً

المصاريف

مليم	جنيه	
٨٥٥	٢٧٢	تعيينات
٥٨٠	١٣٢	ملبوسات
٤٦٠	٤٤	مهمات
١٠	٣٩٠	أدوية وآلات جراحية
٦٨٠	١٣٨	مصاريف نقل ومفريات

٥٠٠ ٣٧٩ ماهيات

فيكون المجموع ١٣٥٨ جنيها و ٨٥ م

وقد انتدبت حضرة حنفي بك ناجي أمين صندوق الجمعية ليرافق هذه البعثة الى الاستانة لاجل التفتيش على البعثات الطبية الموجودة هناك ويكون واسطة في تسليم ما بعهدة الشريعي باشا الى مندوب الجمعية المسؤول وهو محمد بك كامل الذي سافر مع البعثة ومعه كاتب وساعي

وهذه البعثات الثلاث الآنفة الذكر موجودة الآن بالاستانة كل منها بالمركز والوظيفة المعين من أجلها قائمين بأعمالهم خير قيام

البعثة الرابعة

ومن عهد قريب وصلت أخبار بوجود ١٨٠٠ من الجرحى البائسين بسلانيك فقرر مجلس الادارة بجلسته المنعقدة في ١٥ دسمبر ١٩١٢ ارسال بعثة رابعة مع الوابور المسمى البحر الاحمر لنقل هؤلاء الجرحى الى ازمير ثم تمريضهم لحين الشفاء وكلف اللجنة التنفيذية بتأليف هذه البعثة . فأخذت اللجنة التنفيذية في مباشرة هذا العمل فارسلت أولاً مندوبين من قبلها الى بور سعيد لمعاينة وابور البحر الاحمر المذكور لمعرفة استعداده للسفر من عدمه فتبين بعد الفحص انه يحتاج لمصاريف كثيرة حتى يصير مستعداً للسفر فقامت الجمعية بتدارك هذا النقص ثم أخذت اللجنة في هذه الاثناء بمشترى لوازم

هذه البعثة من مفروشات وملبوسات وأدوات وأدويةوأغذيةوآلات جراحية ثم تعيين الاطباء والاجزاجية والممرضين والموظفين اللازمين لها . وقد تجهزت وصار ترحيلها من محطة مصر في ٢٨ دسمبرسنة٩١٢ الى بور سعيد لتقوم منها على وابور البحر الاحمر الى سلانيك للقيام بمأموريتها وهي نقل الجرحى من سلانيك الى أزمير

وهذا بيان موظفي البعثة الرابعة ومصاريفها :

أسماء الموظفين

الدكاترة : محجوب بك ثابت . أحمد بك سعيد . نصر افندي فريد . سامي افندي كمال . محمد افندى الحسيني . أجزاجي — توفيق افندى شوكت . معاون — علي افندي فريدون و ٢٤ ممرضاً

المصاريف

مليم	جنيه	
٤٧٥	٢٧٥	تعيينات
٢٩٠	١٩٠	ملبوسات
٩٣٢	١٦٨	مفروشات
١٩٣	٥٤٨	مصاريف نقل وسفريات
٢٥٠	١٩٠	ماهيات
٦٩٥	٢٤١	أدوية وآلات جراحية

٢٨٧ ٦٩٥ مصاريف تصليح وابور البحر الأحمر

فيكون المجموع ٢٣١٠ جنيهات و ١٢٢ مليماً

وجملة المنصرف من ٢٠ اكتوبر سنة ٩١٢ لغاية ١١ يناير (ك ٢) ١٩١٣ هو كالآتي :

مليم	جنيه	
٥٩٤	٣٩٦٤	البعثة الأولى
٠٧٩	٥٤٠٧	البعثة الثانية
٠٨٥	١٣٥٨	البعثة الثالثة
١٢٢	٢٣١٠	البعثة الرابعة
٢٧٠	١٠١	مصاريف الادارة العمومية والمكتب من

تلغرافات ومطبوعات ومرتبات عهدة طرف مذكورين

مليم	جنيه	
٥٦٢	٦٤	طرف مدحت بك سامي للمصاريف النثرية
	٢٠٠٠	طرف شريعي باشا تحت تقديم الحساب
٥٠٠	١٤٦٢	« كمال بك « « «
٧٥٠	٢٠٩	« محجوب بك « « «
٧٥٠	٤٨	« الاميرشكيب « « «
٢٥٠	٣٩	« الشيخ سليمان « « «
٢٥	٩	مصاريف نقل وسفريات
١٥٠		تلولون ارسال صرنقود

فيكون المجموع ٣٨٣٤ جنيهاً و ٤٨٧ م

وفي هذه البعثات الاربع المذكورة بهذا التقرير قد قام كل عضو من اللجنة التنفيذية بما نيط به من العمل سواء كان من الوجهة الطبية أو المالية أو الادارية أو الكتابية بما يستحق عليه الشكر الجزيل تلقاء العناية والجهد وصرف الوقت في سبيل نجاز هذا العمل الانساني وذلك منهم كان لمحض عمل الخير مع الممنونية والانشراح التام

وفي الختام أرجو التفضل بقبول فائق احترامي افندم

عن اللجنة التنفيذية

يوسف كمال

انتهى الجزء الثاني ويليه جزء ثالث تتناول ابحاثه تتمة أخبار هذه الحرب وما تلاها من حرب الحلفاء بعضهم مع بعض وكل آت قريب

فهرست

ى الرابع

الجزء الاول

صفحة

١ تمهيد

كلمة لجامع هذه الصفحات . نبوءة كاتب

الفصل الاول

٤ شبه جزيرة البلقان

الفصل الثاني

٧ شعوب البلقان

الفصل الثالث

١٧ المسألة الشرقية

الفصل الرابع

٢٨ قبل الحرب

الفصل الخامس

٣٣ المفاوضات الرسمية

الفصل السادس

٤٥ [illegible]

صحيفة

الفصل السابع

٥٨ حـ ن البلغاري

الفصل الثامن

٦٦ التعبئة البلغارية

الفصل التاسع

٧١ تهات الوزارة البلغارية

الفصل العاشر

٧٠ قواد الجيش البلغاري

الفصل الحادي عشر

٨٣ الوقائع البلغارية الاولى

الفصل الثاني عشر

٩٠ وقائع الجيش البلغاري الثاني

الفصل الثالث عشر

٩٨ وقائع الجيش الثالث

الفصل الرابع عشر

صفحة

الفصل الخامس عشر

١٢٤ وقائع الجيش البلغاري الرابع

﴿ فهرست الجزء الثاني ﴾

الفصل الاول

٣ وقائع الجبل الاسود

ملك الجبل . جنديته . خطابه . القوات العثمانية المدافعه
الجيوش الجبلية . قلعة طرابوش . حصار اشقودره

الفصل الثاني

٢٥ وقائع الجيش الصربي

الجندية الصربية . القوات العثمانية . الوقائع . دخول برشتـ
معركة كومانوفو . دخول اسكوب . معارك بريليب ومنا

الفصل الثالث

٤٦ الوقائع اليونانية

الجيش اليوناني . وقائع الجيش الشرقي . احتلال سرفيجه
الزحف على سالونيك . التسليم . وقائع الفرقة الخامسة . الزحف
على يانينا . حصونها . حصارها . تسليمها

صفحة

الفصل الرا[illegible]

٧٢ الاختلاف على سا[illegible]ك

تقرير الجنرال دنكليس اليوناني • تقرير [illegible] تيودوروف البلغاري

الفصل الخامس

٧٨ الزحف على [illegible] برغاس

القوات العثمانية المدافعة • ا[illegible] الحربية الاولى • احصاء الجيوش المتحاربة

الفصل السادس

(١) ٨٢/٨٨ أقوال المكاتبين

في وصف معركة لوله برغاس

الفصل السابع

[illegible] الزحف على جورلو

رواية الكولونل واغنر • تكذيبها • زحف البلغاريين • خططهم الجديدة • القوات العثمانية

---

(١) اضطرتنا وفرة الاشغال في المطبعة الى طبع الملازم الاخيرة في مطبعة اخرى فحصل بسبب هذا الانتقال خطأ في أرقام الصفحات للملزمتين (السادسة والسابعة) ولكنه خطأ «على الهامش» يسهل [illegible]حه ولا يمس جوهر الكتاب في شيء • فاقتضى التنبيه

صفحة

الفصل الثامن

الزحف على شطلجه ٩١ ١٠٨

تشتت العثمانيين • مواقف جيوشهم • بطء البلغاريين في ال

الفصل التاسع

جتالجه ٩٥ ١١١

وصف الموقع وأسماء حصونه • مواقف العثمانيين • موا

البلغاريين • مواقف الفرق البلغارية تجاه جتالجه • حملا

الجيش الاول • فشل الفرقة الثالثة • فشل الفرقة التاسعة

الفصل العاشر

صك الهدنة ١٢٥

تعريب صك الهدنة • تملص اليونان من الهدنة

الفصل الحادي عشر

أسباب الفوز والفشل ١٢٩

أسباب فوز البلغاريين • أسباب فشل العثمانيين • حديث مح

باشا الغازي • كلمة لمونتسكيو

الفصل الثاني عشر

جمعية الهلال الاحمر المصريه ١٣٧

تقرير اللجنة التنفيذية بعثاتها الاربع مع أسماء موظفيها و بيان نفق

DATE DUE

949.6:A311A:c.1
العقاد ،سليم
تاريخ الحرب البلقانية المصور بين ال
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES